أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين

تأليف
الدكتور محمد حسين محاسنة
استاذ التاريخ الاسلامي
في جامعة مؤتة



دار الكتاب الجامعي
العين - ٢٠٠١

أضــواء
على تاريخ العلوم عند المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

" ولتكنْ منكُمْ أُمَّةٌ يدعون إلى الخيرِ ويأمرون بالمعروفِ وينهون عن المنكرِ وأولئكَ هُمُ المفلحون "

صدق الله العظيم

(سورة آل عمران : ١٠٤)

أضواء

على تاريخ العلوم عند المسلمين

تأليف

الدكتور محمد حسين محاسنة

أستاذ التاريخ الإسلامي

في جامعة مؤتة

دار الكتــاب الجامعي

العين

٢٠٠٠ - ٢٠٠١

الطبعة الأولى

٢٠٠٠ - ٢٠٠١

دار الكتـــاب الجامعي

العين الإمارات العربية المتحدة

ص.ب. ١٦٩٨٣ هاتف :٧٦٦٤٨٤٥

فاكس : ٧٥١٢١٠٢ -٣- ٠٠٩٧١

E-mail : bookhous@emirates.net.ae

الإهداء

إلى روح أخي رضوان الطاهرة .

وإلى أرواح شهداء الأمة الأبرار .

أهدي هذا العمل . . . .

محمد المحاسنة

المحتـــويـــات

ب-تدوين الحديث النبوي الشريف .

ج-علوم الحديث :

-علم الجرح والتعديل .

-علم رجال الحديث .

د-تقسيم الحديث وتصنيفه .

هـ-علم الفقه .

و-مصادر الفقه الإسلامي .

ز-المذاهب الفقهية .

١-المذهب الحنفي .

٢-المذهب المالكي .

٣-المذهب الشافعي .

٤-المذهب الحنبلي .

٦-الفصل الرابع : المذاهب الكلامية في الدولة العربية الإسلامية.

أ-علم الكلام .

ب-المعتزلة .

ج-مسألة خلق القرآن .

د-مذهب الجبر .

هـ-مذهب الاختيار .

و-المرجئة .

ز-الأشاعرة .

٧-الفصل الخامس : التعليم والمؤسسات التعليمية عند المسلمين .

أ-التعليم في صدر الاسلام .

ب-المؤسسات التعليمية عند المسلمين .

-القصور الاسلامية
-المساجد الاسلامية .
ب-الفنون الاسلامية .

١٠-الفصل الثامن : أثر الحضارة الاسلامية وتفاعلـــها مـــع الحضـــارات الأخرى :

أ-الحضارة اليونانية .
ب-الحضارة الهندية .
ج-الحضارة الفارسية .
د-أثر الحضارة الاسلامية في الحضارات الأخرى .
هـــ-وسائل انتقال الحضارة الاسلامية إلى أوروبا.

١١-الخاتمة .

١٢-قائمة المصادر والمراجع .

المقدمة

تعتبر الحضارة الإسلامية من الحضارات العالمية التي قدمت للبشرية ما استطاع الإنسان أن يسخّره لمنافعه وحياته، وأن يبني عليه ما هيأ للإنسان خطوات التقدم والتطور في العصور التالية إلى هذا اليوم، ولعل الباحث في منجزات الحضارة الإسلامية يتمكن الإفادة منها وتطوير إمكاناته وقدراته على الإبداع كلما عاود الدراسة فيها دراسة جادة وواعية .

أردت من هذه الدراسة أن أقدم لطلاب العلم والمعرفة صورة واضحة للحضارة الإسلامية بمنجزاتها العلمية والأدبية، لهذا ركزت هذه الدراسة على العلوم عند العرب والمسلمين .

اشتملت الدراسة على تمهيد وثمانية فصول وخاتمة، تضمن الفصل الأول منها التعريف ببعض المفاهيم الحضارية عند المسلمين،كالحضارة والثقافة والإسلام، واشتمل الفصل الثاني على التعريف بالقرآن الكريم وعلومه، مبيناً وقت نزوله وكيفيتها وأسباب ذلك، وما طرأ على القرآن الكريم خاصة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم من جمع وكتابة والداعي إلى ذلك، ثم العلوم التي ظهرت في العصور الإسلامية والتي ارتبطت بالقرآن خاصة علمي القراءات والتفسير .

وتضمن الفصل الثالث البحث في علوم الحديث، وتدوينه، وما ارتبط به من علوم كالجرح والتعديل وعلم رجال الحديث التي أصبحت ضرورة كبرى للمحدثين ليتمكنوا من تمييز الحديث الصحيح من غير الصحيح، كما اشتمل على بيان مصادر الفقه الإسلامي، والمذاهب الإسلامية المرتبطة به وهي المذاهب السنية الأربعة الحنفي والمالكي والحنبلي والشافعي .

وجاء الفصل الرابع للبحث في علم الكلام وظهور المذاهب الدينية الناتجة عن الانقسام والخلافات التي حدثت بين المسلمين نتيجة الظروف والعوامل الدخيلة، والأفكار التي تسربت من الداخلين الجدد في الإسلام أو من الجماعات

المغرضة التي أرادت القضاء على الإسلام لأنه حرمها من سلطانها أو سيطرتها على شعوبها، حيث جاء الإسلام ليساوي بين الجميع، وهذا لا يرضي الكثيرين خاصة أبناء الأسر الحاكمة أو أبناء الأغنياء والأشراف .

بينما جاء الفصل الخامس لدراسة المؤسسات التعليمية في الإسلام وتطورها من المساجد والمدارس والمستشفيات، وتناول الفصل السابع العلوم والآداب عند المسلمين، واشتمل على البحث في علوم اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإنسانية كالتاريخ والجغرافيا والفلسفة والعلوم الرياضية كالحساب والهندسة والجبر والعلوم الطبيعية والكيمياء والفلك بالإضافة إلى الترجمة من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية لكل ما استطاع المسلمون الحصول عليه للإفادة منه وتسخيره لمنفعة المجتمع الإسلامي .

أما الفصل السابع فاشتمل على البحث في العمارة الإسلامية والفنون مشيرا إلى نماذج من العمارة بأقسامها المختلفة كعمارة المدن والمساجد والقصور، وتضمن الفصل الثامن والأخير البحث في تفاعل الحضارة الإسلامية مع الحضارات الأخرى، وكيفية انتقالها إلى أوروبا وقدرة الأوروبيين على الإفادة منها إفادة كبيرة، وبيان وسائل الاتصال الحضاري بين المسلمين وأوروبا .

أرجو الله تعالى أن ينفع بما كتبنا وأن يهدي أبناء أمتنا العربية والإسلامية لما يعيدها إلى القيام بدورها، والقدرة على بناء ما يفيدنا ويجعلنا أمة عظيمة كما كانت يوم قادها عظماء ممن وازنوا بين مقومات استمرارها في دينها ودنياها، انه سميع مجيب .

محمد المحاسنة

مؤتة في ٢٠٠٠/٩/٩

تمهيــد

نظرة الإسلام للعلم والعلماء

نظرة الإسلام للعلم والعلماء

اهتم الإسلام بالعلم منذ البدايات الأولى لرسالة الإسلام ، فقد بدأت الدعـــوة إلى الإسلام عندما نزل على النبي محمد ﷺ قوله تعالى : (اقرأ باسم ربك الــذي خلق ❋خلق الإنسان من علق ❋اقرأ وربك الأكرم ❋الذي علّم بـــالقلم ❋علّــم الإنسان ما لم يعلم ❋)[١].

ووردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو إلى الاهتمام بالعلم ، وتبيّن قــدر العلماء وفضلهم ، وكذلك تضمنت أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم الدعــوة إلى طلب العلم والإشارة إلى تكريم العلماء والإعلاء من شأنهم .

ففي القرآن الكريم ورد قوله تعالى : (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ❋)[٢]، وقوله : (وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم ❋يقولــون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكّر إلاّ أولوا الألباب ❋)[٣]، وهذا إشارة إلى فضيلة العلم وأهميته .

وجاءت بعض الآيات الشريفة التي تهتم بتوقير العلماء وتدعــو إلـــى رفــع شأنهم والارتقاء بهم إلى أعلى الدرجات ، قال تعالى : (يرفع الله الذين آمنوا منكـم والذين أوتوا العلم درجات ❋)[٤]، وقال أيضاً :(شــــهد الله أنـــه لا إلـــه إلاّ هـــو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط ❋)[٥].

---

[١] سورة العلق : الآيات ١-٥ .

[٢] سورة الزمر : الآية ٩ .

[٣] سورة آل عمران : الآية ٧ .

[٤] سورة المجادلة : الآية ١١ .

[٥] سورة آل عمران : الآية ١٨ .

وفي معرض الحديث عن طلب العلم وردت في القرآن الكريم آيات منها قوله تعالى :(وقل ربي زدني علماً ﴿)[1]، وقوله :(وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلاّ العالمون ﴿)[2]، وقوله أيضاً:(وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلا ﴿)[3].

وكما اهتم القرآن بالعلم والعلماء كذلك جاءت أحاديث الرسول ﷺ تدعو إلى طلب العلم وتبين دور العلماء ومكانتهم ، فالرسول ﷺ رغم أنه لا يقرأ ولا يكتب إلا أنه أولى العلم والعلماء اهتماماً خاصاً وحث المسلمين على طلب العلم ورفع منزلة العلماء ، فقد رويت أحاديث كثيرة في هذا الباب منها:(طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) ، و (اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد) ، و(اطلبوا العلم ولو في الصين) .

وعن ثابت بن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :(من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار فلينظر إلى المتعلمين ، فوالذي نفسي بيده ما من متعلم يختلف إلى باب عالم إلاّ كتب الله له بكل قدم عبادة سنة ، وبنى له بكل قدم مدينة في الجنة ، ويمشي على الأرض والأرض تستغفر له ، ويمسي ويصبح مغفوراً له،وشهدت الملائكة لهم بأنهم عتقاء الله من النار) .

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال :(فضل العالم على العابد بسبعين درجة بين كل درجة عدو الفرس سبعين عاماً) ، وبذلك جعل درجة العالم أعلى من درجة العابد ، وهذا تكريم ما بعده تكريم . أما الصحابة فقد ورد عن بعضهم ما يدعو إلى الاهتمام بالعلم وأهله وفضلوه على المال ، فورد عن علي بن أبي طالب أنه قال :(العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، العلم حاكم والمال محكوم عليه ، المال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق أي يزيد)[4].

---

(1) سورة طه : الآية ١١٤ .

(2) سورة العنكبوت : الآية ٤٣ .

(3) سورة الإسراء : الآية ٨٥ .

(4) محمد رضا : الإسلام والمدنية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٦م ، ص١٠ .

وورد لفظ العلم في شعر علي بن أبي طالب قال :

ما الفخر إلاّ لأهل العلم أنهم على الهدى لمن استهدى أدلاّء
وقدر كل امرئ ؟ كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حياً أبداً الناس موتى وأهل العلم أحياء

وورد عن الحسن بن علي أنه قال : (يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء) .

وقال أحد الشعراء(1) :

نعم الأنيس إذا خلوت كتاب تلهو به إن خانك الأحباب
لا مفشياً سراً إذا استودعته وتفاد منه حكمة وصواب

وقال شاعر آخر :

العلم يحيي قلوب الميتين كما تحيا البلاد إذا مسها المطر
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه كما يجلي سواد الظلمة القمر

وبهذا يكون الإسلام قد ميز العلماء على سائر الناس ، وتفرد بهذا على باقي كتب الديانات ، وانعكس هذا على قادة الأمة الإسلامية من الخلفاء والسلاطين أو الملوك والأمراء ، الذين جعلوا العلماء في الطليعة ، فقرّبوهم وأغدقوا عليهم من الهبات والأموال وسائر النعم وعيّنوهم في أعلى مناصب الدولة(2).

لذلك أقبل الناس على الدراسة والعلم ، وانقطع له بعضهم وأمضوا حياتهم في طلب العلم والتنقل لأجل ذلك ، فشجعهم الخلفاء والأمراء وهيأوا لهم الأجواء المناسبة للدراسة حتى أن بعض الخلفاء كانوا يقدمون لهم من الأموال بوزن المؤلفات التي يؤلفونها ، فأقبل علماء المسلمين على دراسة علوم الدين الإسلامي كالقراءات القرآنية والتفسير والحديث والفقه وعلوم اللغة والآداب والتاريخ والجغرافيا والفلك والطب والأدوية والنبات والفيزياء والكيمياء وجميع فروع العلم والمعرفة فقدموا للبشرية ذخيرة هائلة من نفائس الكتب في العلوم والآداب .

---

(1) انظر محمد رضا : الإسلام والمدنية ، ص١٢ .
(2) ن . م ، ص٨ .

الفصل الاول

مفاهيم الحضارة والاسلام

أ-الحضارة .

ب- رأي ابن خلدون في الحضارة .

ج-شروط الحضارة

د-المدنية .

هـ-الثقافة .

و-الاسلام .

الحضـــــارة

الحضارة في اللغة من حَضَرَ ، والحضور ضد المغيب والغيبـــة ، يقـــال : حضر يحضر حضوراً وحضارة ، وكلمته بحضرة فلان وبمحضر منه أي بمشـهد منه[1].

والحضر خلاف البدو ، والحاضر خلاف البادي ، فالحاضر هو المقيم فـــي المدن والقرى والبادي المقيم بالبادية ، والحضارة الاستقرار في مساكن دائمـــة ، قال القطامي :

فمن تكن الحضارة أعجبته   فأي رجال بادية ترانا

والحَضَرُ والحَضْرَةُ والحاضرة هي المدن والقرى والريف، وسميت كذلـــك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار، والحضـــارة والحاضرة : الحي العظيم أو القوم، وحي حاضر إذا كانوا نـــازلين علـــى مـــاء عدّ،ويقال للمقيم على الماء حاضر ، وهو ضد المسافر ، وفلان حاضر بموضـــع كذا أي مقيم به[2].

والحضارة اصطلاحاً هي كل ما يرتبط بحياة الاستقرار عند الإنسان من نظم سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية وفنيّة .

فنظام الحكم وقدرة الإنسان على توفير وســـائل لحمايتـــه وضمـــان أمنـــه واستقراره ، وتقديم الخدمات اللازمة لعيشه ، وما يمارسه من نشـــاط اقتصـــادي بتوفير وسائل زراعية أفضل ونظم ري مناسبة ، وتحسين في أســـاليب الإنتـــاج الزراعي والعمل في الصناعة وإنتاج الملابس وبناء البيوت لتكون مـــأوى لـــه ،

---

(1) ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ج4 ص196 . مادة : حضر .

(2) ن . م ، ج4 ص197- 198 .

ومعرفة الإنسان للعلوم والآداب وتسجيله للأحداث ، وأسلوب تعامله مع الآخرين، ووجود نظام أخلاقي وديني يحكم حياة الناس كلّ ذلك من مظاهر الحضارة .

واعتبر ابن خلدون الحضارة غاية العمران، والبداوة أصل العمران وسابقة للحضارة [1].

وتحدث كثير من العلماء عن الحضارة، فابن خلدون عرّفها : بأنها أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرفه وتفاوت الأمم في القلّة والكثرة تفاوتاً غير منحصر[2].

وقال أبو الأعلى المودودي : (إنما هي نظام متكامل يشمل كل ما للإنسان من أفكار وآراء وأعمال وأخلاق في حياتهم الفردية أو العائلية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية)[3].

أما ديورانت فيقول بأنها نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة في إنتاجه الثقافي[4]، بينما يرى توينبي أنها حصيلة عمل الإنسان في الحقل الاجتماعي والمناقبي ، وهي حركة صاعدة وليس وقائع ثابتة وجامدة ، وهي رحلة حياتية مستمرة[5].

ويرى بعض الدارسين أن لفظ الحضارة يقابل **Civilization** التي تعود إلى الجذر اللاتيني **Civites** وتعني مدينة أو **Civis** وتعني ساكن المدينة[6]. وتتألف

---

(1) ابن خلدون : المقدمة ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ص١٢٢ .

(2) ن . م ، ص١٢٠-١٢١ .

(3) أبو الأعلى المودودي : الحضارة الإسلامية ، أسسها ومبادئها / مجلة الإسلام والحضارة ، مجلد١ ، الرياض ١٩٧٩م ، ص٢٨٨ .

(4) ول ديورانت : قصة الحضارة ، زكي نجيب محمود ، لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٥٦م ، ج١ ص٣ المقدمة.

(5) توينبي : الحقيقة الحضارية ، ص١٢، ٢٨ .

(6) انظر. جورج حداد : المدخل إلى تاريخ الحضارة ، مطبعة الجامعة السورية ١٩٨٤م ، ص١٧ ، نصر محمد عارف : الحضارة ، الثقافة والمدينة ، المعهد العالمي للفكر ١٩٩٤م ، ص٣٣ .

الحضارة من أربعة عناصر هي الموارد الاقتصادية، النظم السياسية، التقاليد الخُلقية، ومتابعة العلوم والفنون .

وتبدأ الحضارة حيث ينتهي الاضطراب والقلق لأنه إذا أمِن الإنسان من الخوف تحررت في نفسه دوافع التطلّع وعوامل الإبداع والإنشاء[1].

وفي كتاب الحضارة لحسين مؤنس أن الحضارة ثمرة كلّ جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواءً أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصود وسواءً أكانت الثمرة مادية أم معنوية[2]. أما البوطي فاعتبر الحضارة ثمرة التفاعل بين الإنسان والكون والحياة[3].

وتبدأ الحضارة عندما يبدأ الاستقرار البشري، وبدأ استقرار الإنسان عندما بدأ بالزراعة لأن الزراعة تطلبت منه الإقامة إلى موسم الحصاد وجني المحصول حيث بدأ الإنسان يتحول من حياة التحرّك الدائم والتنقل والتوحش إلى حياة الاستئناس والاستقرار ثم تبع ذلك التعاون والتآزر بين المقيمين وتبادل الأفكار والمعلومات في مختلف شؤون الحياة . ولم تقف الحضارة عند العمل بالزراعة وإنما امتدت لتشمل كل ما يستطيع العقل البشري الوصول إليه من تطور، وقدرته في السيطرة على مظاهر الطبيعة واستثمارها لمنفعته .

ولا تخلو جماعة إنسانية من وجود الحضارة، فلكل أمة حضارة، إلاّ أن مستوى الحضارة يختلف من أمة لأخرى ومن جماعة لأخرى، فمن يستطيع تطوير قيمه وأفكاره وقدرته على الإنتاج والإبداع تكون حضارته متطورة راقية،ومن لا يستطيع ذلك تكون حضارته جامدة وبسيطة .

والحضارة هي الحياة الراقية التي ظنّ سكان المدن أنها لا تكون إلا في المدينة حيث تجتمع الثروات والكفاءات التي تنتجها مناطق الريف، وفيها توجد

---

(1) ديورانت : قصة الحضارة ج١ ص٣ ، نصر محمد عارف : الحضارة ، ص٣٩ .

(2) حسين مؤنس : الحضارة ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٧٨م ، ص١٣ .

(3) محمد سعيد البوطي : منهج الحضارة الإنسانية في القرآن ، دار الفكر ، دمشق ١٩٨٧م ، ص١٩ .

الصناعات وتظهر الاختراعات والإبداعات وما يتبعها من ترف ورخاء، ويحصل التبادل في المنتوجات والأفكار، وفيها يترك بعضهم الإنتاج المادي ويتحوّل إلى الاهتمام بالإنتاج الروحي أو العقلي من علم وفلسفة وأدب وفن، فالحضارة تبدأ في القرى حيث تتوفر شروطها إلا أنها تزدهر في المدن[1].

وللحضارة ثلاثة عناصر أساسية هي الإنسان والحياة والكون[2]، فالإنسان هو العنصر الأول ومركز الثقل فيه هو العقل والتفكير والوجدان، والحياة هي البعد الزمني ويعبر عنه أحياناً بالحياة وأحياناً بالعمر، أما الكون فيقصد به المكونات المتنوعة المختلفة الخاضعة لتسخير الإنسان .

---

(1) جورج حداد : المدخل إلى تاريخ الحضارة ، ص١٧ .

(2) انظر محمد سعيد البوطي : منهج الحضارة الإنسانية في القرآن ، ص٢٠ .

رأي ابن خلدون في الحضارة

أطلق ابن خلدون على الحضارة اسم (دورة العمران)، وكما سبق فهو يعتبر البداوة أصل العمران، والحضارة غاية العمران، فالبداوة هي المرحلة الأولى من حياة كل جماعة إنسانية، والبدو برأيه أقرب إلى الخير من أهل الحضر[1]،والتطور الاجتماعي الحضاري عند ابن خلدون يبدأ عند أهل البداوة ويتطور هؤلاء حتى يصيروا حضراً، والبداوة تشمل أهل البادية (الرعاة) والفلاحين وهم أهل الزراعة، وأن الحضارة في تطورها تمر بأدوار قد تكون ثلاثة أدوار أو أربعة أو ستة، لكن الحضارة مهما بلغت من التطور والرقي فإنها تعود إلى التلاشي والهبوط، ويسمي أدوار الحضارة أدوار شرف، فالتاريخ والحضارة عنده دورة متصلة وصراع دائم على الملك والرئاسة ، وأنها إذا خرجت من شعب انتقلت إلى شعب آخر من أهل العصبية .

---

[1] انظر ابن خلدون : المقدمة ، ص١٢٣ وما بعدها ، حسين مؤنس : الحضارة ، ص١٥٢-١٥٣ .

شـــــروط الحضـــــارة

١- **الشروط الجغرافية** : إذ ان الأحوال الإقليمية كالبرد القـــارص والحـــرّ الشديد لها تأثير على الحضارة ، فهي إما أن تبعث النشاط الفكري والفني والعلمي إن كانت مناسبة أو تؤدي إلى الخمول والجمود وتضعف الإنتـــاج إن لـــم تكـــن مناسبة، وكذلك للمطر والجفاف ولخصوبة التربة وغناها بالمعادن الأثر الفاعل في بعث النشاط الاقتصادي وتطور الحضارة أو انحطاطها، والموقع الجغرافـــي لـــه دوره أيضاً فالبتراء وتدمر وبعض مدن إيطاليا كان تطور حضارتها أو تدهورهـــا عائد لموقعها على طرق التجارة العالمية أو فقدانها لهذا العامل[1].

٢- **الشروط الاقتصادية** : فالأمة التي تبقى في دور التنقل يصعـــب عليـــها الوصول إلى درجة راقية من الحضارة ، لأن البدوي المتنقل يشغل وقته وجـــهده في مغامرات الصيد والغزو، ولا يجد الوقت الكافي للإنتاج، وحتى يتفرّغ لذلـــك لا بد أن يتمكن من تأمين الغذاء المنتظم كي يجد الوقت للبحث عـــن العلـــم والأدب والفن والترف والرخاء .

ولما كانت الزراعة أول مظاهر الحضارة ، فإن الإنسان يبدأ بحرث الأرض وزراعتها ليؤمن مستقبله ثم يجد الوقت بعد ذلك لكي يتمدن ويبني بيتـــه ومعبـــده ومدرسته، ويخترع الأدوات اللازمة لإنتاجه[2]، والتوجه بعد ذلك لأمور الصناعـــة والتجارة .

٣- **الشروط السياسية** : وهو أمر ضروري ، فالجماعة التي تريد الوصول إلى درجة من الحضارة والرقي يجب أن يتوفر لها نظام سياسي يحميـــها، لكـــي تعمل بأمان واطمئنان .

---

[1] جورج حداد : المدخل إلى تاريخ الحضارة ، ص١٨-١٩ .

[2] ن . م ، ص١٩ .

٤- **النظام الاجتماعي والديني :** فلا بد من نُظُـم أخلاقيـة توحّـد النـاس بإعطائها قواعد النظام والتوجيه في السلوك، ووجود اعتقاد أو إيمان يرفع الخلـق ويعطي الحياة أهمية خاصة .

٥- **النظام الفكري والتعليمي :** ويتضمن وجـود لغـة كوسـيلة للتبـادل الفكري،وتربية أو وسيلة لنقل حضارتها وتراثها لإيصاله من الآباء إلى الأبناء .

ولا تنحصر الحضارة بقوم أو جماعة دون أخرى، فيمكـن أن تظـهر فـي مجتمع أو في أي جماعة مهما اختلفت ألوانها وأشكالها وفقرهـا أو غناهـا ، إذا توافرت لها الشروط المناسبة ، أي أنه لا توجد لها شروط عرقية بحيـث تكـون مقصورة على أمة دون أخرى أو على جنس دون غيره من الأجناس البشرية .

المدنيـــّة

اعتبر الدارسون المدنيّة والحضارة شيئاً واحداً ، والمدنيّة في اللغة من مدَن، ومدن بالمكان : أقام به ومنه المدينة ، وفلان مدّن المدائن كمــــا يقـــال : مصّــر الأمصار ، والمدينة الحِصْنُ يبنى في أصطُمَّة الأرض ، وكل أرض يبنــــى بــها حصن في أصطّمتِها فهي مدينة ، ومدن المكان : أي أقام به ، ومدن الرجـــل إذا أتى المدينة[١].

ويذكر جورج حداد أن لفظ Civility استعمل للدلالـــة علــى المدنيّــة ، وأن الحضارة أو المدنيّة هي الحياة الراقية التي ظنّ سكان المدن أنها ممكنة فقط فـــي المدينة ، ففي المدينة تجتمع الثروات والكفاءات التي تنتجها مناطق الريف ، وفيها توجد الصناعات وتظهر الاختراعات وما يتبعها من ترف ورخاء ، وفي المدينـــة يحصل التبادل في المنتوجات والأفكار وتظهر القوى المولّدة نتيجة احتكاك الأفكار ، وفيها يترك بعضهم الإنتاج المادي ويهتمون بالإنتاج الروحي أو العقلـــي مــن فلسفة وأدب وفن ، فالحضارة تبدأ في القرى إلاّ أنها تزدهر في المدن[٢].

والمدنية هي مرحلة متطورة من مراحل الحضارة ذلك لأن التطـــور يزيــد بازدياد سكن المستقرين في الحاضرة ، والمدنية لفظ يطلق على استقرار أكبر مما هو في الحاضرة (الريف) ، وكلما زاد عدد المستقرين زادت إمكانيـــات الإبــداع والإنتاج ، فيبدأ التقدم ليشمل مجالات العلوم والآداب ، وتطويــــر الآلـــة لزيــادة الإنتاج[٣].

---

[١] ابن منظور : لسان العرب ، ج١٣ ص٤٠٢-٤٠٣ . مادة : مدن .

[٢] جورج حداد : المدخل إلى تاريخ الحضارة ، ص١٧ .

[٣] محمد محاسنة : بناء الدولة العربية الإسلامية ، ص١٥ .

وللمدينة عناصر أساسية أهمها اثنان أن يكون لها سور وفيها معبد، وهـــذه إشارة إلى ضرورة توفر عنصرين لا تكون بغيرهما أو بغير أحدهما، فالسور دليل وجود نظام دفاعي وقوة عسكرية، والمعبد دليل وجود نظام عقائدي ودين يشـــغل الحياة الروحية عند الناس .

الثقـــــافـــــة

الثقافة لغة من ثقِف : ثقِفَ الشيء ثَقْفاً وثِقَافاً وثُقُوفة : حَذَقَه ، ورجل ثَقْـفٌ وثَقِفٌ : حاذق فَهِمٌ، وأتبعوه فقالوا : ثَقْفٌ لَقْفٌ، ورجل ثقف لقف إذا كان ضابطـاً لما يحويه قائماً به ، ويقال : ثَقِفَ الشيء وهو سرعة التعلم ، وثَقُفَ الرجل ثقافـة أي صار حاذقاً[1].

والثقافة اصطلاحاً : هي طريقة الإنسان في الحياة وقدرته على العيش في ضوء البيئة والظروف التي يعيشها[2]، وعليه فإن لكل شخص ثقافته، لكـن هـذه الثقافة تختلف في درجة تطورها، فللعامل ثقافته وللمزارع ثقافته، وللطبيب والمهندس والمعلم ...كل له ثقافته في مجال تخصصه ...وهكذا .

وتحدث كثير من الدارسين عن الثقافة ، وفرقوا بينها وبين الحضارة ، فأعادها بعضهم إلى اللفظ اللاتيني **Culture** وهي تعني حرث الأرض وزراعتها[3]، وأشار تايلور إلى أنها المركب الذي يشتمل على جوانب المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف إضافة إلى القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع[4].

---

(1) ابن منظور : لسان العرب ، ج9 ص19 ، مادة : ثقف .

(2) حول هذا انظر جورج حداد : المدخل إلى تاريخ الحضارة ، ص17 .

(3) انظر **Philip Wiener: Dictionary of the History of Ideas, New York 1973, p613,**

نصر محمد عارف : الحضارة ، ص19 .

(4) **Tylor. E. B: Primitive Culture, New York 1924, p1 .**

وانظر توفيق اليوزبكي : دراسات في النظم العربية الإسلامية ص21 .

أما كلايد كلوكهون فقال بأنها الميراث الاجتماعي الذي يحصل عليه الفرد من مجموعته التي يعيش فيها، وهي معلومات الجماعة البشرية مخزونة في ذاكرة أفرادها أو في الكتب والمواد والأدوات[1].

وبينهم من أشار إلى أن الثقافة تعني تنقية الفطرة البشرية وتشذيبها وتقويم اعوجاجها، ثم دفعها لتوليد المعاني الكامنة فيها، وإطلاق طاقاتها لتنشئ المعارف التي يحتاج إليها الإنسان، وهي مفهوم يفتح الباب أمام العقل البشري لكل المعارف والعلوم النافعة الصالحة ، ولا يدخل فيه تلك المعارف أو العلوم والقيم التي تفسد وجود الإنسان ولا تتسق مع مقتضيات التهذيب[2] فيما يعتبرها آخرون التنظيم لأنماط السلوك والأفكار والمشاعر .

وهناك من يعتبرها ما استطاع الإنسان الوصول إليه من الدراسة والتحصيل العلمي، فيقيسون ثقافة الإنسان بمقدار المرتبة العلمية التي حصل عليها ، غير أن هذا تعريف ضيق، وليس بالضرورة أن يكون المتعلم صاحب ثقافة متميزة،ولكن الذي لا شك فيه أن التعليم يمكن أن يساهم في تنمية الثقافة وتطويرها.

وتشتمل الثقافة على جانبين هما :

١- **الجانب المادي** : ويشمل كل ما استطاع الإنسان إنتاجه وصنعه كالأدوات والأسلحة وأواني الطبخ والملابس والبناء وغير ذلك .

٢- **الجانب غير المادي** : ويشمل اللغة والعادات والتقاليد والقيم والأخلاق.

وللثقافة عناصر عمومية وعناصر خصوصية، فالعمومية هي التي ترتبط بالعادات والتقاليد والأفكار واللغة وأنماط السلوك المشتركة، وتكون هذه العناصر

---

(1) كلايد كلوكهون : الإنسان في المرآة ، ترجمة شاكر مصطفى، المكتبة الأهلية بغداد ١٩٦٤م ص٢٤،٣٧ وما بعدها .

(2) انظر نصر محمد عارف : الحضارة ص٣١ .

عامة بين أفراد الثقافة الواحدة ، والعناصر الخصوصية هي المتعلقة بالجماعات المهنية والطبقات الاجتماعية والجنس .

والارتباط بين الثقافة والحضارة كبير جداً حتى أن لفظ الثقافة Culture يستعمل للدلالة على الحضارة والمدنيّة في اللغات الأجنبية ، ويرى جورج حداد أن الحضارة لها مفهوم أوسع إذ تضم النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفكري والفني، بينما الثقافة تعني مجموعة العادات والمعلومات وأساليب المعيشة، وأن الحضارة تضم النظام الاجتماعي الذي يشجع الإنتاج الثقافي[1].

وتتغير الثقافة والحضارة بتغير المفاهيم والأمور المصطلح عليها، ولا تولد الثقافة مع الناس وإنما يتعلمونها، لذلك فإن من يولد ويترعرع في بلاد غير بلاد آبائه فإن ثقافته تنشأ غريبة عن ثقافة بلاده الأصلية، إلا إذا تعلم ثقافة بلاده تعلّماً[2].

---

[1] جورج حداد : المدخل إلى الحضارة ص١٨ .

[2] ن . م .

الإســـــلام

الإسلام لغة من السَّلْمُ وهــو الاستســلام، والتســالم التصــالح، والمســالمة المصالحة ، والسَّلْمُ : الانقياد ، واستسلم : انقاد[1]، والإسلام هو الصلح والأمان أو الطاعة والإذعان ، وهو الخلوص أو التعرّي من الآفــات الظــاهرة ، والسَّــلْمُ : الإسلام ، قال امرؤ القيس بن عابس[2] :

فلست مبدّلاً بالله ربّاً.... ولا مستبدلاً بالسّلْمِ دينا

والإسلام شرعاً : توحيد الله سبحانه وتعــالى بالانقيــاد والخضــوع لــه ، وإخلاص الضمير والإيمان بالأصول الدينية التي جاءت من عنده ، وهــو ديــن الأنبياء والمرسلين من لدن آدم عليه السلام حتى رسالة محمــد ﷺ التــي ختــم بــها الرسالات السماوية ، وهو دين التوحيد الذي انفرد بتنسيقه بيــن شــؤون المــادة وشؤون الروح ، فوازن بين مستلزمات الحياة الدنيا ومتطلبات الحياة الآخرة[3].

واشتمل الإسلام على قواعد للسلوك والأخلاق في الحياة الفردية بين النــاس وحضّ على الالتزام بها ، وبيّن الطرق التي تهذّب نفس المسلم ، وحــدّد وظيفــة الأسرة وأفرادها وعلاقاتهم ، وحدّد طرق الكسب والإنفاق ومفهوم الملكية والعلاقة بين الحاكم والمحكوم وحقوق المواطنين في دولة الإسلام وقواعد الحرب والسلم .

وجعل الله سبحانه وتعالى الإسلام في مقابلة الكفر والشرك ، قــال تعــالى : (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيّين أربابــاً أيــأمركم بــالكفر بعــد إذ أنتــم مسلمون﴾)[4]، وقال أيضاً : (﴿قل أغير الله أتخذ وليّاً فاطر السموات والأرض

---

[1] ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ج١٢ ، ص٢٩٣ . مادة : سلم .

[2] ن . م ، ج١٢ ص٢٩٥ . مادة : سلم

[3] صبحي الصالح : النظم الإسلامية ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٠م ص٥٧ .

[4] سورة آل عمران : الآية ٨٠ .

وهو يُطْعِمُ ولا يُطْعَم قل إني أمرت أن أكون أوّل مــن أسلم ولا تكونن من المشركين ﴾)[١].

والإسلام دعوة لنقل الناس من حياة البؤس والشقاء التي عاشتها البشرية وسيطرت فيها مظاهر الطبيعة وقوى الشرّ على عقول الناس ، إلى حياة الأمن والاستقرار والسعادة ، وذلك بتحرير الإنسان من كافة العبوديات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وجعل عبوديته لله وحده ، والمساواة بين جميع الناس بإسقاط الفوارق الطبقية بين بني البشر ، واعتبار التقوى أساس المفاضلة بينهم ، قال تعالى : (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون ﴾)[٢].

لقد بعث الله محمداً ﷺ فدعا الناس إلى التوحيد وحارب الأصنام ، ولمّا انتهى من فتح مكة أمر أصحابه بكسر الأصنام ، وكان في الكعبة (٣٦٠) صنماً مخصصة لأحياء العرب ، فمرّ ﷺ ومعه قضيب فجعل يهوي به إلى كل صنم منها فيخر على وجهه ، وهو عليه السلام يقول : (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) ، وأنشد في ذلك تميم بن أسد الخزاعي[٣] :

وفي الأصنام مُعْتَبَرٌ وعلمٌ.......لمن يرجو الثوابَ أو العقابا

وأخرجت جميع الأصنام من المسجد وأحرقت ومحيت كل صورة بالكعبة ، ونادى رسول الله ﷺ بمكة : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع صنماً إلا كسره ، فكسروا الأصنام التي كانت في بيوتهم .

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٤ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٦٤ .

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، بيروت ، ج٥ ص٨٠ ، محمد رضا : الإسلام والمدنية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٦م ، ص٢٦ .

ثم بعث عليه الصلاة والسلام السرايا لكسر الأصنام التي كانت حول الكعبة، لأن بعض الناس اتخذوا لهم أصناماً جعلوا لها بيوتاً يعظمونها ويطوفون بها كما يطوفون بالكعبة ، وكان لكل حي من أحياء العرب صنم فمنها العزى ومناة وسواع وبوانة وذو الكفين .

فالعزّى صنمٌ ببطن نخلة لبني شيبان وبني اسد بن عبد العزّى ، خرج إليه خالد بن الوليد في ٢٥ رمضان سنة ٨هـ وهدمه ، ولما رجع سأله رسول الله ﷺ : هل رأيت شيئاً ؟ قال : لا ، قال عليه السلام : فارجع فاهدمه ، فرجع خالد إلى الصنم فهدم بيته وكسر الصنم ، فجعل السادن يقول : أعُزّى اغضبي بعض غضباتك فخرجت إليه امرأة حبشية عريانة مُوَلْوِلَة ، فقتلها وأخذ ما فيها من حلية، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك ، فقال : تلك العُزّى ولا تُعبَد العُزّى أبداً[١].

وسواع صنم لهذيل كان بأرض يقال لها رُهاط من بطن نخلة على بعد ثلاثة أميال من مكة ، وكان سدنته من بني لحيان ، بعث إليه رسول الله ﷺ عمراً بن العاص بعد فتح مكة ، فلما وصل إليه سأله السادن ما تريد ؟ فقال : أمرني رسول الله ﷺ أن أهدمه ، فقال له السادن : لا تقدر على ذلك ، فقال له عمرو : أنت في الباطل ، ثم تقدم منه فكسره وأمر أصحابه فهدموا بيت خزانته فلم يجدوا فيه شيئاً، ثم قال عمرو للسادن : كيف رأيت ؟ قال : أسلمت لله[٢].

ومناة صنم كانت بالمشلل وهو جبل على ساحل البحر ، وهي من أقدم الأصنام كانت للأوس والخزرج وغسان بعث إليها الرسول ﷺ سعد بن زيد الأنصاري الأشهلي فهدمها[٣].

---

[١] الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ج٣ ص٦٥ ، محمد رضا : الإسلام والمدنية ، ص٢٧ .

[٢] الطبري : تاريخ الملوك والرسل ، ج٣ ص٦٦ ، محمد رضا : الاسلام والمدنية ، ص٢٧ .

[٣] انظر الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٣ ص٦٦ ، محمد رضا : الإسلام والمدنية ، ص٢٧ .

وعندما أراد عليه الصلاة والسلام التوجه إلى الطائف بعث الطفيل بن عمرو الدوسي في سرية إلى ذي الكفيّن وهو صنم عمرو بن حُمَمَةَ الدّوْسي وكان من الخشب ليهدمه ، وأمره أن يستمد قومه ويوافيه بالطائف ، فخرج سريعاً إلى قومه فهدم ذا الكفين وجعل يحشّ النار في وجهه ويحرقه ويقول[1] :

يا ذا الكفّين لست من عبّادكا.....ميلادنا أقدم من ميلادكا

إنّي حششت النار في فُؤادكا

وقضى على الأصنام التي كان العرب يعبدونها ويتقربون إليها فيقدمون لها القرابين ويتبركون بها .

وجاء الإسلام لتقويض الأنظمة الاجتماعية الجائرة وإقامة نظام اجتماعي عادل يشمل أحكام الإسلام في التشريع المالي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي، وتهذيب أخلاق الإنسان والرقي به عن الأهداف المادية ذات الإطار الضيق .

وتمكن الإسلام الذي حمل رسالته المصطفى ﷺ أن يوجد للأمة العربية كياناً جديداً موحداً تسوده المحبة والإخاء بعد أن كانوا جماعات متفرقة ومتنازعة، وانتشر بينهم العدل بدلاً من الظلم والجور ، وحفظ لهم لغتهم العربية، فقد نزل القرآن بلغة العرب . قال تعالى : (﴿ إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾)[2].

وجعل الإسلام للعقل الإنساني محلاً لائقاً به ، فقد أعطاه حرية التفكير والتعبير ، ودعا الإنسان إلى الإقبال على الدراسة والعلم لقوله تعالى : (﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴿ خلق الإنسان من علق ﴿ اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم ﴾)[3]

---

[1] ابن سعد : الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، ج٢ ص١٥٧ ، محمد رضا : الإسلام والمدنية ، ص٢٨ .

[2] سورة يوسف : الآية ٢ .

[3] سورة العلق : الآيات ١-٥ .

ودعوة الإسلام دعوة عالمية سامية قائمة على أساس الاعتبارات الروحية المتمثلة بوحدة العقيدة والفكر، وهي تتجاوز الجنس واللون وكل الاعتبارات المادية، فالمسلمون نشروا دين الإسلام في الجزيرة العربية ، ثم نقلوه إلى بقاع الأرض وتمكنوا بدعوتهم أن يبسطوا سلطان دولة الإسلام في كل البلاد ، فأزالوا دولتي الفرس والروم وقضوا على جبروتهما، فساد الإسلام والسلام في ربوع الكون .

واختلف الدارسون في التفريق بين الإسلام والإيمان ، فمنهم من يعتبر الإسلام والإيمان أمرين مختلفين ، باعتبار الإسلام هو الاعتراف باللسان ، لقوله تعالى : (﴿ قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾)[1]، أما الإيمان فهو الاعتراف مع الاعتقاد بالقلب والوفاء بالفعل[2].

وهناك من يقول بأنهما شيء واحد استناداً إلى أحاديث نبوية ، فقد ورد عنه ﷺ أنه قال : (بُني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وحج البيت وصوم رمضان)[3].

كما ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : (هل تدرون ما الإيمان ؟ شهادة أن لا إله إلا الله ، واقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت...)[4].

من هنا يظهر الارتباط الكبير بين الإسلام والإيمان ، ويصعب الفصل بينهما لأن كلاً منهما يؤدي إلى غاية واحدة ، وأوضح ابن تيمية العلاقة المتينة بينهما،

---

[1] سورة الحجرات : الآية ١٤ .

[2] انظر محمد أحمد الخطيب ومحمد عوض الهزايمة : دراسات في العقيدة الإسلامية ، دار عمار ، عمان ١٩٩٠م ، ص٣٤-٣٥ .

[3] البخاري : الصحيح ج١ ص٦٣ .

[4] انظر مسلم بن حجاج القشيري : الصحيح ، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٩٥٥م ، ج١ ص٤٨ .

فقال بأن الإسلام والإيمان يجتمع فيهما الدين كلّه[1]. وأشار بأن النبي ﷺ جعل الدين ثلاث درجات أعلاها الإحسان وأوسطها الإيمان وثالثهما الإسلام،وبهذا يكون الإسلام والإيمان درجتان من درجات الدين، ففي المسند عن أنس عن النبي ﷺ : (الإسلام علانية والإيمان في القلب)، فإعلان الشهادتين يكفي لأن يكون الإنسان مسلماً ، وأما ما في قلبه فلا يعلمه إلاّ الله سبحانه وتعالى وصلاح القلب يعني صلاح الإنسان لقوله عليه الصلاة والسلام : (إن الحلال بيّن، وإن الحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام،كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وأنّ لكل ملك حمى،ألا وأن حمى الله محارمه، ألا وأن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه ، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه ألا وهي القلب)[2].

[1] انظر ابن تيمية : الإيمان ، دار إحياء العلوم ، بيروت ١٩٨٤م ، ص٢٧ وما بعدها .

[2] مسلم : الصحيح ، ج٣ ص١٢١٩-١٢٢٠ .

الفصل الثاني

القرآن الكريم وعلومه

أ-التعريف بالقرآن الكريم .

ب-تنجيم القرآن الكريم .

ج-جمع القرآن الكريم وتدوينه .

د-نسخ القرآن الكريم في خلافة عثمان .

هـ-المكي والمدني .

و-علوم القرآن الكريم .

-علم القراءات .

-علم التفسير .

التعريف بالقرآن الكريم

القرآن لغة مصدر قرأ يقرأ بمعنى جمع يجمع ، وقرأ الشيء قرءا وقراءة وقرآناً[1] أي جمعه ، ويقال من قرِأ ويقرؤ بمعنى تلا ما حفظه أو كتبه من الكلام، قال تعالى : (﴿إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴾)[2].

وقارن الشيءُ الشيء مقارنة وقِراناً : اقترن به وصاحبه ، واقترن الشيء بغيره وقارنته قرآناً : صاحبته، وقرنت الشيء بالشيء : وصلته ، والقرآن الجمع، والقران الجمع بين الحج والعمرة[3]. والقراءة ضم الحروف بعضها إلى بعض في الترتيل ، والقرآن كالقراءة مصدر قرأ قراءة قرآناً .

قال الأشعري : " القرآن مشتق من قرن لقرن السور والآيات والحروف " . أما الفراء فرأى أن اللفظ مشتق من قرائن أي أشباه ونظائر لأن الآيات يصدق بعضها بعضاً ويشابه بعضها بعضاً[4].

والقرآن في الاصطلاح : هو كلام الله سبحانه وتعالى المنزل على سيدنا محمد ﷺ باللغة العربية ، المعجز المتعبد بتلاوته ، المنقول بالتواتر والمكتوب في المصاحف المبدوء بسور الفاتحة والمختوم بسورة الناس[5].

وعُرف القرآن الكريم بأسماء عديدة ورد ذكرها في القرآن الكريم أشهرها:-

---

(1) انظر ابن منظور : لسان العرب ، ج١٣ ص٣٣٦ ، مادة : قرن

(2) سورة القيامة : الآيات ١٧-١٨ .

(3) ابن منظور : لسان العرب ، ج١٣ ص٣٦ . مادة : قرن

(4) محمد أمين فرشوخ : المدخل إلى علوم القرآن والعلوم الإسلامية ، دار الفكر العربي ، بيروت ١٩٩٠م ، ص١١ .

(5) انظر إبراهيم موسى عبد الله : هداية الرحمن في علوم القرآن ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ١٩٩٢ ج١ ص١٩، أمير عبد العزيز : دراسات في علوم القرآن ، دار الفرقان ، عمان ١٩٨٣م ، ص١٠ ، زكي محمد أبو سريع : أنوار البيان في علوم القرآن ، ص٦ ، أبو ضيف مجاهد حسن : القول المبين في مباحث من علوم كلام رب العالمين ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ١٩٨٧م ، ص١٧٧ .

١- **القرآن الكريم** : قال تعالى : (❃ إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ❃)[١]، وقال أيضاً : (❃فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ❃)[٢]، ووردت تسمية القرآن بهذا الاسم في ثلاثة وسبعين موضعاً من القرآن الكريم .

٢- **الفرقان** : لأنه الكلام الذي يفرّق بين الحق والباطل ، قال تعالى في كتابه العزيز : (❃تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ❃)[٣].

٣- **الكتاب** : لقوله عزّ وجل : (❃ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ❃)[٤]، وقوله : (❃حم والكتاب المبين ❃)[٥]، وقوله أيضاً : (❃نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه ❃)[٦].

٤- **النور المبين** : قال تعالى : (❃يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبينا ❃)[٧].

٥- **التنزيل** : قال عزّ وجل : (❃وإنه لتنزيل رب العالمين ❃)[٨].

---

[١] سورة الزخرف : الآية ٣ .

[٢] سورة النحل : الآية ٩٨ .

[٣] سورة الفرقان : الآية ١ .

[٤] سورة البقرة : الآية ٢ .

[٥] سورة الدخان : الآيات ١-٢ .

[٦] سورة آل عمران : الآية ٣ .

[٧] سورة النساء : الآية ١٧٤ .

[٨] سورة الشعراء : الآية ١٩٢ .

٦- الذِكـر : أي العلاء والشرف ، قال تعالى : (﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له مُنكِرون ﴾)[1].

لقد بعث الله سبحانه وتعالى الأنبياء والمرسلين إلى الأمم والأقوام وزودهم بالمعجزات التي تشهد على صحة ما حملوا من رسالات ودعوات ، وكانت معجزات الأنبياء والمرسلين من جنس ما امتازت به الأقوام التي بعثوا فيها حتى إذا تحدّوهم للإتيان بمثلها وعجزوا عن ذلك قامت عليهم الحجة ولزمهم اتباع المرسلين ، فموسى عليه السلام جاء قومه بعصا تنقلب إلى حيّة لأن قومه برعوا في صناعة السحر ، فلما جمع له فرعون السحرة وغلبهم موسى جميعاً ألقى السحرة ساجدين قالوا : آمنا برب العالمين رب موسى وهارون ، وجعل لموسى إبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله لأن قومه برعوا في الطب وبلغوا فيه الذروة ، وعلى ذلك أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على محمد ﷺ فكان معجزته الكبرى ، وجعله بلسان قومه العرب الذين وصلوا أعلى درجات البيان والبلاغة ، قال تعالى : (﴿وإنه لتنزيل رب العالمين ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ بلسان عربي مبين ﴾)[2].

وكان أول ما نزل على النبي ﷺ من القرآن الكريم أول سورة العلق : (﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾)[3]، ثم نزل قوله تعالى : (﴿ يا أيها المدّثر ﴾ قُم فأنذر ﴾ وربك فكبّر ﴾)[4]، ثم صار ينزل منه شيء فشيء بحسب الوقائع والنوازل[5]، فكان آخر ما نزل منه قوله تعالى : (﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توّفى كلّ نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾)[6].

---

[1] سورة الأنبياء : الآية ٥٠ .

[2] سورة الشعراء : الآيات ١٩٢-١٩٥ .

[3] سورة العلق : الآيات ١-٢ .

[4] سورة المدثّر : الآيات ١-٣ .

[5] انظر أبو شامة : المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٥م ص٣١ .

[6] سورة البقرة : الآية ٢٨١ .

وهناك من قال أن آخر ما نزل قوله تعالى : (﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام لكم دينا ﴾)[1]، ونزلت في حجة الوداع قبل وفاة الرسول ﷺ بأقل من ثلاثة شهور ، وقال آخرون بأن آخر ما نزل قوله تعالى : (﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴿فإن تولّوا فقل حسبي الله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾)[2]، غير أن الأرجح أن آخر ما نزل هو قوله تعالى : (﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله...﴾) ، وابتدأ نزول القرآن الكريم في السابع والعشرين من رمضان سنة ٦١٠م وهو تاريخ مبدأ البعثة النبوية ، وانتهى نزوله قبيل وفاة الرسول سنة ١٠هـ/٦٣٢م .

وللقرآن الكريم منافع وفضائل كثيرة لمن يقرؤه ويتلوه منها أنه يكون حفظاً لصاحبه من الفزع الأكبر يوم القيامة ، ويحفظ قرّاءه وحفّاظه من عذاب النار يوم القيامة ، كما يحفظ قارئه من الفتن والشرور في الدنيا ويشفع له يوم القيامة فيكون في أعلى الدرجات من الجنّة[3].

كما أن للقرآن مقاصد وأهداف كثيرة منها[4] :-

١- الدعوة إلى العقيدة الصحيحة القائمة على عبادة الله تعالى ، وهي ترفع من شأن الإنسان وتحترم كرامته ، وتحمله على سلوك الخير ، قال تعالى : (﴿أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ﴿ فتعالى الله الملك الحق لا إله إلاّ هو رب العرش الكريم ﴾)[5]

---

(١) سورة المائدة : الآية ٣ .

(٢) سورة التوبة : الآيات ١٢٨-١٢٩ .

(٣) انظر إبراهيم موسى عبد الله : هداية الرحمن في علوم القرآن ج١ ص٧-١٠ .

(٤) ن . م ، ص٢٤-٣٥ .

(٥) سورة المؤمنون : الآيات ١١٥-١١٦ .

٢- تحرير العقول البشرية من العبودية لغير الله وحملها على التأمل والتفكير والتدبر فيما خلق الله تعالى ، لقوله : (﴿أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء ﴾)[١]، وقوله : (﴿وفي الأرض آيات للمؤمنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾)[٢].

٣- توجيه العقول للانتفاع بما أودع الله في الكون واستثماره لخير الإنسان ومنفعته .

٤- وضع النظم والقوانين المختلفة الكفيلة بإصلاح الحياة ، من تشريعات اقتصادية واجتماعية والدعوة إلى العفو والتسامح وتنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم وتحريم الظلم وصيانة الحقوق .

٥- نبذ الكفر والشرك بكافة صوره وأشكاله حتى يتمكن الإنسان من الاهتداء إلى عبادة الله وسلوك طريق الفلاح والنجاح ، قال تعالى : (﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴿ بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾)[٣].

---

[١] سورة الأعراف : الآية ١٨٥ .

[٢] سورة الذاريات : الآيات ٢٠-٢١ .

[٣] سورة الزمر : الآيات ٦٥-٦٦ .

تنجيم القرآن الكريم

المقصود بتنجيم القرآن الكريم : نزوله مفرقاً ، أي على أوقات ، فقد كانت الكتب السماوية تنزل على الأنبياء جملة واحدة ، إلاّ أن القرآن الكريم بدأ نزوله على سيدنا محمد ﷺ منجماً بحسب الحوادث ومقتضيات الأحوال ، واستمر نزوله على مدى ثلاث وعشرين سنة[١]. قال تعالى : (﴿ وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزّلناه تنزيلا ﴿ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ﴿ إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرّون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ﴾)[٢]، وكان نزوله منجماً لحكم وفوائد عديدة منها :

١- تثبيت فؤاد النبي الذي تعرّض لأذى المشركين وتكذيبهم له رغم ما عرف عنه من صدق وأمانة ، فقد اشتهر بين أهل مكة جميعاً بالصادق الأمين ، لكنهم تناسوا ذلك عندما نزل عليه القرآن وكُلّف بالدعوة الإسلامية ومن الطبيعي أن يتأثر عليه الصلاة والسلام فهو من البشر ، لذلك أراد الله سبحانه وتعالى أن يقوّي عزيمته ويمدّه بالعون ويحيطه بألوان الرعاية[٣].

ورد على الكافرين الذين طلبوا منه أن ينزل القرآن جملة واحدة لأن ذلك ينفر الناس من قبوله لكثرة ما فيه من الأوامر والنواهي ، قال تعالى : (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا)[٤].

---

[١] انظر رؤوف شلبي : جواهر العرفان في الدعوة وعلوم القرآن ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ١٩٨٦م ، ص٢٧، زكي أبو سريع : أنوار البيان ، ص٩٩،١٠٤ ، محمد الزفزاف : التعريف بالقرآن والحديث ، ص٤٣ .

[٢] سورة الإسراء : الآيات ١٠٦-١٠٨ .

[٣] انظر زكي أبو سريع : أنوار البيان ، ص١٠٥-١٠٧، محمد الزفزاف : التعريف بالقرآن والحديث ، ص٤٤.

[٤] سورة الفرقان : الآية ٣٢ .

٢- تيسير حفظ النبي ﷺ واستيعاب الصحابة لآيات القرآن حفظاً وفهماً وعملاً ، خاصة إذا علمنا أن الأمة التي نزل فيها القرآن الكريم أمة قليلة القراءة والكتابة ، لذلك أراد الله سبحانه وتعالى الرحمة بعباده وعدم تكليفهم أكثر من طاقاتهم ، قال تعالى : (﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾)[١]، وقال أيضاً : (﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ﴿ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴿ ثم إن علينا بيانه﴾)[٢]، وعن ابن مسعود أنه قال : (كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهنّ حتى يعرف معانيهن والعمل بهن)[٣]، فنزوله منجماً يساعد على حفظ الآيات وفهم الأحكام ، كما يخفف من المشقة التي كان يتعرض لها المسلمون ، ويعوّد على الصبر والاحتمال حتى لا يتطرق اليأس إلى قلوب المسلمين[٤].

٣- التدرّج في التشريع ، فالإنسان لا يستطيع امتثال الأوامر وتجنب النواهي دفعة واحدة ، لذلك اقتضت حكمة الله تعالى التدرج فيها حتى يتمثلوا أمره ويتقبلوا ما يطلب منهم ، فلم يحرّم شرب الخمر دفعة واحدة وإنما تدرّج في ذلك فبدأ بتحريمها وقت الصلاة ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون)[٥]، فلما صار بالإمكان تقبل تحريمها نزل قوله تعالى : (﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾)[٦].

---

[١] سورة البقرة : الآية ١٨٥ .

[٢] سورة القيامة : الآيات ١٦-١٩ .

[٣] انظر ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، دار الحديث ، القاهرة ١٩٨٨م ، ج١ ص٤ .

[٤] أحمد علي الملا : أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية ، دار الفكر ، ص١٨ .

[٥] سورة النساء : الآية ٤٣ .

[٦] سورة المائدة : الآيات ٩٠-٩١ .

٤- الإجابة على الأسئلة التي توجه للنبي ﷺ فكان أعداء الإسلام يوجهون له أسئلة لاختبار صدقه ، فكانوا يسألون عن أصحاب الكهف وعن الروح وعن ذي القرنين وأمور كثيرة ، قال تعالى : (﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا﴾)[١]، وقال أيضاً : (﴿ يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾)[٢]، وقال جلّ شأنه : (﴿ ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ﴾)[٣]، وقال أيضاً : (﴿يسألونك عن الأهلّة قل هي مواقيت للناس والحج ﴾)[٤]، والإجابة على هذه الأسئلة فيها إقناع لمن يسأل إن كان كافراً وتربية أخلاقية بالمعروف إن كان المناقش أو السائل مسلماً .

٥- إظهار رحمة النبي ورأفته بالناس ، ومدى حرصه على تبليغ الدعوة والأخذ بأيدي الناس لإبعادهم عن النار والمسير بهم إلى طريق السلامة ودخول الجنة ، قال تعالى : (﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعلّه يزكى أو يذكّر فتنفعه الذكرى ﴿ أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك الاّ يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى ﴾)[٥].

٦- تقويم الانحراف في التصور أو السلوك أو تصحيح الأخطاء التي تقع فيها الأمة ، ففي غزوة حنين اصبح المسلمون كثرة بعد أن كانوا قلّة فاغتروا بكثرتهم وزيّن لهم الشيطان أنهم قادرون على تحقيق النصر لكثرة العدد ووفرة المال وركنوا إلى ذلك[٦]، فرد الله على اغترارهم بذلك ، قال تعالى : (﴿ويوم

---

[١] سورة الكهف : الآية ٩ .
[٢] سورة الإسراء : الآية ٥٨ .
[٣] سورة الكهف : الآية ٨٣ .
[٤] سورة البقرة : الآية ١٨٩ .
[٥] سورة عبس : الآيات ١-١٠ .
[٦] انظر أمير عبد العزيز : دراسات في علوم القرآن ، ص٢٥ ، زكي أبو سريع : أنوار البيان ص١٢١ .

حُنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ۞ ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذّب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ۞ ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم ۞)[١].

٧- عرض قضايا الدعوة الإسلامية يحتاج إلى وقت طويل ليفسح المجال أمام التفكير والتدبّر[٢].

٨- الرد على القضايا والمشكلات التي كانت تحدث زمن النبوة ، فكانت الآيات تنزل لتعالج القضايا والمشكلات التي قد يتعرض لها المسلمون وتجد لها الحل الأمثل .

٩- الكشف عن أعداء الله المنافقين وإماطة اللثام عن وجوههم ، وكشف نواياهم الخبيثة ، قال تعالى : (۞إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ۞ وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ۞ يرآءون الناس ولا يذكرون الله إلاّ قليلا ۞ مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ۞)[٣].

١٠- دلالة على إعجازه وأنه من عند الله سبحانه وتعالى ، فرغم نزوله منجماً في ثلاث وعشرين سنة إلاّ أنه مكتمل الوحدة لا خلل فيه ولا نقصان فهو محكم البناء متين الأسلوب لا تناقض فيه[٤]، قال تعالى : (۞ كتاب أحكمت آياته ثم فصّلت من لدن حكيم خبير ۞)[٥]، فنزوله منجماً دليل على صدق مصدرية القرآن الكريم أي أنه من عند الله عزّ وجل لأن الأحداث التي تقع لا يقضي فيها

---

[١] سورة التوبة : الآيات ٢٥-٢٧ .

[٢] رؤوف شلبي : جواهر العرفان ، ص٢٨ .

[٣] سورة النساء : الآيات ١٤٢-١٤٣ .

[٤] زكي أبو سريع : أنوار البيان ، ص١٢٩-١٣٠ .

[٥] سورة هود : الآية ١ .

رسول الله ﷺ من تلقاء نفسه وإنما بما يأتي به الوحي[1]، قال تعـالى : (﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلاّ أن يشاء الله ﴾)[2].

---

[1] رؤوف شلبي : جواهر العرفان ، ص٣٢ .

[2] سورة الكهف : الآية ٢٤ .

جمع القرآن وتدوينه

المقصود بالجمع هو حفظ القرآن في الصدور وكتابته في السطور ، وقد بدأت هذه المهمة في حياة الرسول حيث جُمع حِفظاً وكتابة ، وقد تكفّل الله سبحانه وتعالى بحفظه وجمعه قال تعالى : (﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إنّ علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إنّ علينا بيانه﴾)[1].

فأقبل المسلمون على رسول الله ﷺ يتعلمون منه أمور دينهم ويتدارسون كتاب ربهم ويتلونه آناء الليل وأطراف النهار ، وكان عليه الصلاة والسلام يقرأ القرآن على المسلمين كما أمره الله سبحانه وتعالى وكان جبريل يعارضه إياه في كل عام مرّة ، وعارضه إيّاه في العام الأخير مرتين[2]، عن عائشة وفاطمة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول : (إن جبريل كان يعارضني القرآن في كل سنة مرّة ، وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلاّ حضر لأجلي)[3].

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام كلما نزل عليه شيء من القرآن أمر بكتابته ويطلب من الكُتّاب الذين يكتبونه أن يضعوا الآيات في الأماكن المناسبة لها، فإذا نزلت آيات مفرّقة يقول : ضعوا هذه في سورة كذا[4]، وممن اشتهر بكتابة آيات القرآن الكريم : أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان

---

[1] سورة القيامة : الآيات ١٦-١٩ .

[2] الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ، القاهرة ١٩٥٩م ، ج١ ص٢٣٤ .

[3] البخاري : الصحيح ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ١٩٩٨م ، ص٩٩٤ .

[4] أبو شامة المقدسي : المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٥م ، ص٣٣ .

وعلي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وأبان بن سعيد وخالد بن الوليد وأُبي بن كعب وزيد بن ثابت وغيرهم[1].

وبما أن أدوات الكتابة لم تكن متيسرة للمسلمين في عهد النبي ﷺ لذلك كانوا يكتبون على ما تيسر لهم من الرقاع والعسب والأكتاف واللخاف والاقتاب[2]، إلاّ أن ما كتبه الصحابة لم يكن مرتب السور والآيات إلاّ ما كان مكتوباً في القطعة الواحدة ، ولم يكن مجموعاً في مكان واحد وإنما موزعاً عند بعض الصحابة ، فمن كان يكتب سورة أو عدة سور يحتفظ بما يكتب عنده .

وبعد وفاة الرسول ﷺ سنة ١١هـ/٦٣٢م ، قامت حركة المرتدين في الجزيرة العربية وأطرافها ، فلما وقعت معركة اليمامة سنة ١٢هـ/٦٣٣م اشتدّ القتل في الصحابة ومات من حُفّاظ القرآن الكريم خلق كثير يقال أنه زاد على خمسمائة رجل ، فخشي عمر بن الخطاب أن يكثر القتل في القرّاء في بقية المواطن فيضيع بموتهم ، فتوجه إلى الخليفة أبي بكر وطلب منه أن يجمع القرآن في مكان واحد وفي صحف مجموعة بدل أن كانت مفرّقة ، فقال أبو بكر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فقال له عمر : هذا والله خير ولم يزل يراجعه حتى شرح الله صدره لذلك ووافق عمر على رأيه[3].

---

(1) كامل موسى وعلي دحروج : التبيان في علوم القرآن ، دار بيروت المحروسة ، بيروت ١٩٩٢م ، ص٣٩ ، علي حسن رضوان : مباحث في علوم القرآن، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ١٩٩٢م ، ص٩ .

(2) الرقاع : جمع رقعة وتكون من الجلد أو القماش ، والعسب جمع عسيب وهو طرف الجريد العريض ويؤخذ من النخيل ، والأكتاف جمع كتف وهي العظام العريضة وتؤخذ من أكتاف الحيوانات كالإبل والبقر والغنم ، واللِخاف جمع لخفة وهي الحجارة الرقيقة ، والأقتاب جمع قتب وهي الخشب الذي يوضع على ظهر البعير يركب عليه (انظر الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت ١٩٥٧م ، ج١ ص٢٣٣) .

(3) انظر أبو شامة : المرشد الوجيز ، ص٤٨-٤٩ ، محمد علي الحسن : المنار في علوم القرآن ، مطبعة الشرق ، عمان ١٩٨٣م ، ص٩٠ .

واستدعى الخليفة أبو بكر زيد بن ثابت وطلب منه القيام بجمع القرآن فتردد أول الأمر لأنه كان يرى أنه أمر محدث لأن الرسول ﷺ لم يفعله ، إلاّ أن الخليفة لا زال يراجعه حتى أقنعه وشرح الله صدره لذلك[1]، وكان اختيار أبي بكر اختياراً موفقاً فقد كان من أشهر الصحابة إتقاناً لحفظ القرآن وأداءً لقراءته وضبطاً لإعرابه ولغته ومن أكثر من كتب لرسول الله ﷺ ، كما شهد العرضة الأخيرة للقرآن الكريم في حياة النبي ﷺ[2]، هذا بالإضافة إلى ما اتصف به من الخصال الطيبة وسلامة الإيمان وعدالته وأمانته مما لم يجتمع لغيره من أكابر الصحابة .

وتتبع زيد القرآن الكريم يجمعه من العُسُب واللخاف وصدور الرجال حتى وجد آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري[3] ولم يجدها مع أحد غيره هي قوله تعالى : (﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم..... ﴾)[4]، وأودعت الصحف عند أبي بكر ثم عند عمر في حياته ثم عند حفصة بنت عمر[5].

وكان زيد حريصاً أن يقوم بجمع القرآن بدقة متناهية ، وتشدد في الأمر زيادة في الحيطة والحذر ، فمع أن القرآن كان محفوظاً في صدور الصحابة ، إلاّ أنه كان يشترط إضافة إلى ذلك أن يكون مكتوباً في الصحف ويشهد شاهدان على أن ذلك كتب بحضرة المصطفى ﷺ أو بين يديه حتى لا يتطرّق الشك إلى أيّة آية من آيات القرآن الكريم ، ووجد آخر سورة التوبة وهما آيتان مع أبي خزيمة الأنصاري ولم يجدها مع أحد غيره ، فقبل زيد أن يلحق هاتين الآيتين بسورة

---

(1) البخاري : الصحيح ، ص٩٩٢ ن أبو شامة : المرشد الوجيز ن ص٤٩ .

(2) أبو شامة : المرشد الوجيز ، ص٦٩ .

(3) هو أبو خزيمة بن أوس بن زيد من بني النجار شهد بدراً وأحداً والخندق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي في خلافة عثمان بن عفان (انظر ابن سعد : الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ج٣ ص٤٩٠) .

(4) سورة التوبة : الآيات ١٢٨-١٢٩ .

(5) أبو شامة : المرشد الوجيز ، ص٤٩ ، الترمذي : السنن ، ج١١ ص٢٥٨ .

التوبة رغم أنه لم يتوفر له إلاّ شهادة أبي خزيمة ، فاعتبر شهادته بشـــهادتين لأن رسول الله ﷺ جعل شهادته بشهادة رجلين[1].

[1] البخاري : الصحيح ، ص٥٤٢ ، محمد أمين فرشوخ : المدخل إلى علوم القرآن ، ص١١٩ .

نسخ القرآن في خلافة عثمان

اتسعت فتوحات المسلمين في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنـــه واتسعت معها الدولة الإسلامية ، وتفرّق المسلمون في البــلاد المفتوحـــة وبينـــهم أصحاب رسول الله ﷺ ممن كانوا يقرأون القرآن ويعلّمونه للناس من الداخليـــن في الإسلام على الأحرف السبعة وكلّ يُعلِّم على حسب ما تَعلَّم من القراءة والنــاس يأخذون بقراءة من اشتهر بينهم من الصحابة .

ونتج عن ذلك أن المسلمين كانوا إذا جمعتهم المجامع أو اجتمعوا على جــهاد عدوّهم وقرأوا القرآن وسمعوا من بعضهم ما لا يعرفـــون مـــن وجـــوه القـــراءة تنازعوا واختلفوا وجادل كل منهم غيره في قراءته خاصة وأن كثيراً من الأعـــاجم من غير العرب دخلوا في الإسلام ، وانتشر الخلاف في القـــراءة حتـــى وصـــل الحجاز والمدينة المنورة فبلغ ذلك عثمان فقال : أنتم عندي تختلفون فمن نأى عني من الأمصار أشدّ اختلافاً[1].

وعندما غزا أهل الشام وأهل العراق لفتح أرمينيا وأذربيجان أفزع حذيفة بين اليمان اختلافهم في القراءة وتجريح بعضهم في ذلك حتى شاهد رجلاً مـــن أهـــل الكوفة يفارق صلاته خلف إمام من أهل الشام لقراءته بقـــراءة مخالفـــة ويتنحـــى ليصلي منفرداً ، فاستعظم حذيفة ما كان يراه واستأذن بالسفر إلى عثمان خاصـــة وأنه رأى أنهم يكفِّرون بعضهم بعضاً في ذلك .

ووصل حذيفة إلى المدينة فحثّ عثمان على اتخاذ خطوة لوقف الاختـــلاف بين المسلمين في قراءة القرآن ، فقال له : يا أمير المؤمنين : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى[2].

---

[1] الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ، مطبعة عيسى بابي الحلبي ، القاهرة ، ج١ ص٢٤٩ ، علي حسن رضوان : مباحث في علوم القرآن ، ص١٨ .

[2] البخاري : الصحيح ، ص٩٩٢ ، زكي أبو سريع : أنوار البيان في علوم القرآن ، ص٢٩٥ .

رأى عثمان أن يعالج هذه المشكلة قبل أن يتفاقم خطرها فجمع أهل الـــرأي من الصحابة واستشارهم فاستقر رأيهم على نسخ الصحف الموجودة عند حفصة أم المؤمنين في مصحف يكون مرجعاً للمسلمين على صيغة واحدة يلتقي فيها جميـــع المسلمين .

واختار الخليفة أربعة من الصحابة لتنفيذ المهمة هم زيـــد بـــن ثـــابت مـــن الأنصار وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير من المهاجرين[1]، ثم أرسل إلى حفصة لتبعث له الصحف المكتوب فيـــها القـــرآن فأرسلت بها إلى عثمان ، ووضع عثمان رضي الله عنه خطة دقيقة محكمة تســـتند إليها اللجنة الرباعية ليتم نسخ القرآن الكريم بالشكل المناسب تضمّنت ما يلي :-

١- عدم كتابة أي شيء إلاّ إذا تأكدوا أنه قرآن كريم ثبت بالتواتر واتفق مـــع العرضة القرآنية الأخيرة على رسول الله ﷺ .

٢- الاقتصار على حرف واحد في النسخ وهو حرف قريش ، لأن عثمـــــان رضي الله عنه قال لهم : إذا اختلفتم مع زيد في شـــــيءٍ مـــن القـــرآن فاكتبوه بلسان قريش[2].

٣- استبعاد ما نسخت تلاوته .

٤- ترتيب آياته وسوره بحسب ما ورد عن الرسول ﷺ وهـــو الـــترتيب المعروف اليوم .

٥- تجريده من النقط والشكل بخلاف ما كان مكتوباً عند بعض الصحابة .

٦- تجريده من كلّ الشروحات والتفاسير التي سبق ودوّنها الصحابـــة بيـــن الآيات .

---

(١) البخاري : الصحيح ، ص٩٩٢ ، كامل موسى وعلي دحروج : التبيان في علوم القرآن ، ص٤١ ، محمد محمد أبو شهبة : المدخل لدراسة القرآن الكريم ، الطبعة الثانية ، ص٢٧٤-٢٧٥ .

(٢) البخاري : الصحيح ، ص٩٩٢ .

وبعد الانتهاء من نسخ القرآن رد الصحف التي كتب عنها إلى حفصة ، وأرسل بنسخ المصحف المكتوب إلى الأمصار الإسلامية ثم أمر بما سوى ذلك من القرآن أن يحرق ، وكان ذلك سنة ٢٥هـ/٦٤٦م وهي السنة التي غزا فيها المسلمون أرمينية[١].

وأرسل عثمان بالنسخ الجديدة إلى الأمصار الإسلامية ، فأرسل نسخة إلى الكوفة ونسخة إلى البصرة ونسخة إلى الشام ونسخة إلى مكة المكرمة ونسخة إلى البحرين ونسخة إلى اليمن ونسخة إلى مصر وأبقى في المدينة نسخة ، وسميّت النسخة التي أبقاها عنده بالمصحف الخاص أو المصحف الإمام .

وإذا أخذنا بهذا الرأي يكون عثمان قد نسخ سبع نسخ[٢] من المصحف الشريف وزّعها على الأمصار الإسلامية عدا النسخة التي حبسها لنفسه[٣]، ورأى آخرون أن عثمان نسخ أربع نسخ من القرآن واحدة عنده وثلاث إلى الكوفة والبصرة والشام ، وهناك من قال إنها خمس نسخ وواحدة عنده فهي ست نسخ ، لكن إذا أراد عثمان أن يسد باب الاختلاف في القراءة الذي تخوّف منه المسلمون، فلا بد أنه أرسل بنسخة إلى عاصمة كلّ ولاية من ولايات الدولة الإسلامية الكبرى، وهذا يدعونا إلى القول أن عثمان بعث إلى مراكز الولايات الكبرى بسبع نسخ وجعل له نسخة هي المصحف الإمام ، أو أن تكون النسخة التي أبقاها لنفسه وسمّاها المصحف الإمام هي نسخة المدينة المنورة فيكون عدد النسخ فيما سواها ست فقط .

---

(١) الطبري : الرسل والملوك ، ج٤ ص٢٤٦ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٣ ص٤٣ .

(٢) انظر حول هذا الموضوع ما ورد عند الزركشي : البرهان ، ج١ ص٣٠٣ ، زكي أبو سريع : أنوار البيان ، ص٢٩٨ ، علي حسن رضوان : مباحث في علوم القرآن ص٢٠ ، محمد علي الحسن : المنار في علوم القرآن ص٩٣، محمد أبو شهبة : المدخل لدراسة القرآن الكريم ، ص٢٨٠ .

(٣) لأن النسخة التي حبسها لنفسه هي النسخة الأصلية التي طلب من الصحابة أن تقوم بكتابتها أول الأمر والنسخ الأخرى أخذت عنها (انظر كامل موسى وعلي دحروج : التبيان في علوم القرآن ، ص٤٨-٤٩ .

وبعد أن وزع عثمان المصاحف على الأمصار أمر بما سوى ذلك أي ما كتبه الصحابة لأنفسهم قبل ذلك وطلب أن يحرق تماماً حتى لا يبقى له أثر وذلك لسببين هما[1] :-

١- إغلاق منافذ الفتن والاختلاف بين المسلمين .

٢- أن تصبح النسخ المكتوبة في خلافة عثمان والمتفق عليها هي المرجع الذي يحتكم إليه المسلمون وقت النزاع .

وسميّت الطريقة التي كتبت بها المصاحف في خلافة عثمان بالرسم العثماني وهي الطريقة التي أوصى بها سيدنا عثمان رضي الله عنه ونفذها زيد بن ثابت باتفاق اللجنة القرشية ، وهي القراءة التي يقرأ بها المسلمون اليوم بعد أن أدخلت عليها بعض التحسينات خاصة بعد إدخال التنقيط حيث كانت المصاحف العثمانية خالية من النقط والشكل[2]. ورتّبت آيات القرآن الكريم في السور كما ورد عن النبي ﷺ وكما كان يقرأها له جبريل عليه السلام ، فترتيب الآيات توقيفي من الرسول ﷺ ، وكان يقف على رؤوس الآيات تعليماً لأصحابه أنها رؤوس آيات، وكان يحدد لهم اين يضعوا الآيات في السور[3].

أما ترتيب السور فهو اجتهادي ، حيث كانت المصاحف الموجودة عند الصحابة مختلفة من حيث ترتيب السور ، فمصحف علي بن ابي طالب كان مرتباً حسب النزول ومصحف ابن مسعود مبدوء بالبقرة ثم النساء وآل عمران ، ولما جُمع المصحف في عهد عثمان أمرهم أن يوالوا الطوال ، ثم المئين ثم المثاني[4] ثم المفصل وهي السور القصار[5].

---

(1) زكي أبو سريع : أنوار البيان ن ص٣٠١ .

(2) انظر رؤوف شلبي : جواهر العرفان ، ص٣٨١ .

(3) الزركشي : مناهل العرفان ، ج١ ص٣٤٠ .

(4) المثاني هي التي تقل آياتها عن مائة آية .

(5) انظر زكي أبو سريع : أنوار البيان ص٣٠٥-٣٠٦ ، محمد الزفزاف : التعريف بالقرآن ، ص١٠٨ .

وكان المسلمون يقسمون القرآن إلى سبعة أقسام يسمى كلّ منها سبعاً ، ويبدو أنّ كلاًّ من الحجاج بن يوسف والمأمون العباسي اهتموا بتقسيم القرآن إلى ثـــلاث وأرباع وأعشار ، وكان تقسيم القرآن إلى أقسام معروفاً منذ عـــهد الرســول ﷺ واستمر بعد ذلك .

أما تقسيم القرآن إلى أجزاء وأحزاب وأرباع على ما هو معــروف اليـوم ، ووضع علامات دالّة على ذلك في المصاحف فهو يعود إلى القرن الرابع الهجري.

المكي والمدني

مرّت الدعوة الإسلامية بمرحلتين هما :-

١- **المرحلة المكيّة** : وتمتد من بداية الدعوة ســـنة ٦١٠م حتـى الــهجرة النبوية سنة ٦٢٢م ، وكان المسلمون في مكة المكرمة ، وتتميز هذه الفترة بالقلّــة والضعف ، وتعرّض المسلمون فيها للشدّة والإيذاء والكيد ، والرسول ﷺ يدعوهم إلى الصبر والصفح .

٢- **المرحلة المدنيّة** : وتمتد من هجرة الرسول ﷺ إلى يـــثرب (المدينــة المنورة) سنة ٦٢٢م حتى وفاته عليه الصلاة والسلام سنة ١١هـ/٦٣٢م ، وفيــها كان الأمر بالقتال والنصر للمسلمين وتعرضهم لكيد المنافقين وتأليب اليــهود ، إلا أن المسلمين تمكنوا من نشر الإسلام وتوسيع دائرته والرد على الأعداء .

وكان نزول القرآن خلال هاتين المرحلتين فسمي ما نزل خلال الفترة الأولى أي قبل الهجرة بالمكي ، وما نزل بعد الهجرة وانتقــال المســلمين إلــى المدينــة بالمدني ، وهناك من قال بأن المكي ما كان خطابه موجهاً لأهل مكة والمدني مـــا وقع خطاباً لأهل المدينة ، وهناك من رأى أن المكي ما نزل بمكة وضواحيها مثل عرفات والحديبية ومنى وغيرها ، وإن نزل بعد الهجرة ، والمدني ما نزل بالمدينة

وضواحيها مثل بدر وأحد وقباء وغيرها وإن نزل قبل الهجرة[1]، غير أن الأرجح والذي عليه جمهور علماء المسلمين هو الرأي الأول فالمكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بغير مكة ، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بغير المدينة حيث اعتمد فيه الترتيب الزمني لمراحل الدعوة فالآية الكريمة (﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾)[2] آية مدنية مع أنها نزلت في عرفات بحجة الوداع .

وعدد السور المكيّة اثنتان وثمانون سورة (٨٢) ، والسور المدنيّة عشرون سورة (٢٠) أما بقية السور وعددها اثنتا عشرة سورة (١٢) فهي موضع خلاف، فالسور المدنية : البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة ، الأنفال، التوبة، النور ، الأحزاب ، محمد ، الفتح ، الحجرات ، الحديد ، المجادلة ، الحشر ، الممتحنة ، الجمعة ، المنافقون ، الطلاق ، التحريم ، والنصر .

والسور المختلف فيها هي : الفاتحة ، الرعد، الرحمن، الصّف، التغابن، المطففين، القدر،البيّنة،الزلزلة، الإخلاص، الفلق، والناس،أما بقية سور القرآن الكريم فهي مكيّة .

---

[1] انظر أمير عبد العزيز : دراسات في علوم القرآن ن ص٥٧-٥٨ ، محمد أمين فرشوخ : المدخل إلى علوم القرآن ، ص٣٤ .

[2] سورة المائدة : الآية ٣ .

علوم القرآن الكريم

هي العلوم والأبحاث التي تهتم بالقرآن الكريم وتدور حول فهم معانيه وشرح ألفاظه وإعرابها ومعرفة أسباب نزوله ، وحفظه وجمعه وترتيبه في المصاحف وتفسيره وبيان مجمله ومبهمة[1]، وتشتمل علوم القرآن فروعاً كثيرة أبرزها :-

١- علم القراءات

٢- علم التفسير

٣- علم أسباب النزول

٤- علم التجويد

٥- علم المكي والمدني

٦- علم الناسخ والمنسوخ

٧- علم إعجاز القرآن الكريم

٨- علم المحكم والمتشابه

٩- علم غريب القرآن الكريم

١٠- علم الرسم القرآني

١١- علم إعراب القرآن

١٢- علم القصص القرآني ، وعلوم أخرى

وسنتناول بدرجة أساسية علمي القراءات والتفسير وتدوين القرآن الكريم .

لقد تصدّى علماء المسلمين لدراسة كتاب الله العزيز ، وزاد الاهتمام بذلك منذ شرح الله صدر سيدنا أبي بكر وعثمان بن عفان وزيد بن ثابت لجمع القرآن الكريم وكتابته . وبدأت جهود العلماء المسلمين في دراسته منذ زمن مبكر وعلى

---

(1) زكي أبو سريع : أنوار البيان في علوم القرآن ، ص١٣ ، محمد أمين فرشوخ : المدخل إلى علوم القرآن ، ص٩ .

يد العلاّمة علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي المتوفى سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٩م[1]، الذي ألّف كتاب (البرهان في علوم القرآن) وهو كتاب قيّم في ثلاثين مجلداً ، وألّف علم الدين السخاوي المتوفى سنة ٦٤١هـ/١٢٤٤م كتابه (جمال القراء) ، كما ألّف أبو شامة المتوفى سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٧م كتاب (المرشد الوجيز فيما يتعلق بالقرآن العزيز) .

وفي القرن الثامن الهجري كتب الشيخ بدر الدين الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ/١٣٩٢م كتابه المعروف (البرهان في علوم القرآن) ، ووضع العلاّمة جلال الدين البلقيني المتوفى سنة ٨٢٤هـ/١٤٢٣م كتاباً سمّاه (مواقع العلوم من مواقع النجوم) ، ثم أضاف جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م كتابه المشهور (الإتقان في علوم القرآن) .

ثم جاء علماء في العصر الحديث فوضعوا مجموعة من الكتب منها كتاب (التبيان في علوم القرآن) للشيخ طاهر الجزائري ، وكتاب (إعجاز القرآن) لمصطفى صادق الرافعي ، وكتاب (البرهان في علوم القرآن) للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني[2].

---

[1] ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٣ ص٣٠٠-٣٠١ .

[2] انظر رؤوف شلبي : جواهر العرفان ، ص١٠-١١ .

علم القراءات

قرأ الكتاب قراءة وقرآناً وقرأ الشيء قرآناً جمعه وضمّه[1]، وهي ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل ، والقراءات جمع قراءة ، وقراءة مصدر قرأ ، واصطلاحاً هو العلم الذي يبحث في كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ، والاختلاف في قراءته لحمايته من التحريف والتغيير[2]، والتوصل إلى القراءة الصحيحة السليمة بالنص الذي أوحي به إلى رسول الله ﷺ لأن معاني الكلمات قد تتغير بتغير قراءتها بسبب خاصيّة الحرف العربي ، فالكلمة الواحدة قد تُقرأ بأكثر من شكل تبعاً لوضع التنقيط والشكل ، وهذا قد يؤدي إلى تغيير المعنى .

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يقرأون القرآن بالقراءة التي أقرّهم عليها رسول الله ﷺ إلى أن وقع الاختلاف بين القرّاء في زمن عثمان بن عفان وَعَظُمَ الأمر على الأمة وكتب الناس من الأمصار إلى عثمان لتدارك الناس قبل تفاقم الأمر عندما قدم حذيفة بن اليمان من غزو أرمينية وطلب منه ذلك ، فجمع عثمان الصحابة وشاورهم في جمع القرآن على حرف واحد ليزول الخلاف وتتفق الكلمة[3].

وكانت قراءة الصحابة من المهاجرين والأنصار واحدة وهي القراءة التي قرأها رسول الله ﷺ على جبريل مرتين في العام الذي قبض فيه ، ويقال أن زيد

---

(1) انظر لسان العرب ، ج١ ص١٣٠ .

(2) انظر حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ج٢ ص١٣١٧ ، محمد محاسنة : بناء الدولة العربية الإسلامية ، مطبعة البهجة ، اربد ١٩٩٩م ، ص٢١٦ .

(3) أبو شامة : المرشد الوجيز ، ص٦٨ .

ابن ثابت شهد هذه القراءة التي بيّن فيها ما نسخ وما بقي[1]، وسميّت هذه القــراءة بقراءة زيد بن ثابت لأنه كتبها لرسول الله ﷺ وقرأها عليـــه وشـــهد العرضـــة الأخيرة لذلك اعتمده أبو بكر في جمع القرآن ، وولاّه عثمان كتابة المصاحف .

وأنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم بلغة قريش ومـــن حـــاورهم مـــن فصحاء العرب ثم سمح للعرب الذين نزل عليهم أن يقرأوه بلغاتـــهم ولـــم يكلّـــف بعضهم الانتقال من لغة إلى أخرى لمشقة ذلك عليهم ولأن العربي إذا فارق لغتـــه التي طبع عليها تدخل عليه الحمية من ذلك فتأخذه العزّة[2]، فقد ورد عـــن النبـــي ﷺ أن القرآن نزل على سبعة أحرف[3]، وفسّرها العلماء بأنها سبع لغـــات مـــن لغات العرب وذلك ان القرآن نزل بلغة قريش وهذيل وتميم وأزد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر[4]، وعوّل المهاجرون والأنصار ومن تبعهم في قراءة القرآن علـــى العرضة الأخيرة التي عرضها رسول الله ﷺ على جبريل ، ثـــم عـــول عليـــها عثمان عندما أمر زيد بن ثابت بكتابة القرآن ، وكان زيد شهد العرضة الأخـــيرة مع رسول الله ﷺ .

---

(1) أبو شامة : المرشد الوجيز ، ص٦٨-٦٩ .

(2) أبو شامة : المرشد الوجيز ، ص٩٥ .

(3) انظر البخاري : الصحيح ، ص٩٩٣ ، أبو سريع : أنوار البيان ، ص١٩٢-١٩٥ .

(4) أبو شامة : المرشد الوجيز ، ص٩٤ .

وبعد توسع الدولة الإسلامية وامتداد حركة الفتوح الإسلامية ، ظهرت في الولايات الإسلامية قراءات متعددة ، وكانت جميع هذه القراءات ترجع إلى حرف واحد هو الحرف الذي جمع عليه القرآن في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومنشأ هذه القراءات يعود إلى الاختلاف في اللهجات وكيفية النطق بها وذلك كالترقيق والتفخيم والإمالة والإدغام والإظهار والمد والقصر والوقف والوصل والتشديد والتخفيف وغير ذلك من طرق الأداء[1].

وقد وضع العلماء المسلمون شروطاً وضوابط للقراءة حتى يطمئن إليها القلب وتكون معتمدة منها :

١-التواتر : وهو النقل الصحيح عن جمع لا يمكن معه تواطؤهم على الكذب[2] وعلى ذلك لا تصح القراءة غير المتواترة وإن كانت مشهورة .

٢- موافقة اللغة العربية : فلا تصح القراءة التي لا تتفق مع قواعد اللغة العربية .

٣- أن تكون القراءة موافقة لرسم المصحف العثماني .

٤- أن تكون القراءة صحيحة الإسناد ، والقراءة سنة متبعة يجب الالتزام بها، وهي تثبت عن طريق النقل لا عن طريق الرأي أو الاجتهاد .

واشتهر من القراء الذين ظهروا في البلاد الإسلامية سبعة من القراء هم :

١- **الإمام نافع** : هو أبو رويم نافع بن عبد الرحيم بن أبي نعيم الليثي ولد سنة ٧٠هـ/٦٩٠م وتوفي بالمدينة سنة ١٦٩هـ/٧٨٦م ، وهو أسود اللون أصله من أصفهان ، وكان إذا تكلم يشم من فمه رائحة المسك قرأ على سبعين من التابعين وانتهت إليه رئاسة القرّاء بالمدينة المنورة[3].

---

[1] انظر أمير عبد العزيز : دراسات في علوم القرآن ، ص٩٤ .

[2] السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ج١ ص١٠٢ .

[3] ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٥ ص٣٦٨-٣٦٩ .

٢- **ابن كثير** : هو عبد الله بن فيروز المكي ، ولد سنة ٤٥هـ/٦٦٦م وتوفي سنة ١٢٠هـ/٧٣٩م ، وهو إمام القراءة في مكة لم ينازعه فيها أحد حتى مات[١].

٣- **أبو عمرو بن العلاء البصري** : وهو زبان بن العلاء بن عمار المازني التميمي البصري ، وقيل اسمه يحيي ولد سنة ٦٨هـ/٦٨٨م وتوفي سنة ١٥٤هـ/٧٧١م ، وكان إمام البصرة ومقرئها ، وكان إماماً في العربية والإقراء[٢].

٤- **ابن عامر** : هو عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصبي إمام أهل الشام ، ولد سنة ٢١هـ/٦٤٣م وتوفي بدمشق سنة ١١٨هـ/٧٣٧م ، كان إماماً كبيراً وقاضياً ، تولى مشيخة الإقراء بدمشق ، كما تولى قضاءها في خلافة الوليد بن عبد الملك[٣].

٥- **عاصم الكوفي** : هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود بن بهدلة الأسدي المتوفى سنة ١٢٧هـ/٧٤٥م بالكوفة ، كان أحد القراء السبعة المشاهير ، وشيخ الاقراء بالكوفة ومن أحسن الناس صوتاً بالقرآن[٤].

٦- **حمزة بن حبيب الكوفي** : هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي المعروف بالزيات ولد سنة ٨٠هـ/٦٩٩م وتوفي في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ١٥٦هـ/٧٧٣م ، كان تاجراً عابداً تولى إمامة الناس في الكوفة بعد عاصم والأعمش ولقب بحبر القرآن[٥].

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ،ج٣ ص٤١ .

(٢) ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القرّاء ، ج١ ص٤٤٣ .

(٣) كامل موسى وعلي دحروج : التبيان في علوم القرآن ، ص٣٤٦ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٣ ص٩ ، أبو ضيف مجاهد حسن : القول المبين في مباحث من علوم كلام رب العالمين ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ١٩٨٧م ، ص٢١١ .

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٢ ص٢١٦ ، كامل موسى وعلي دحروج : التبيان في علوم القرآن ، ص٣٤٧.

٧- **الكسائي** : هو على بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسـدي الكوفي المعروف بالكسائي لأنه اهرم في كسائه ، توفي سـنة ١٨٩هـ/٨٠٥م ، انتهت إليه رئاسة الإقراء في الكوفة بعد حمزة ، وكان إماماً في النحو واللغة(١).

وهناك قراء آخرون فالبعض اعتبر القراء عشرة وذلك بإضافة ثلاثة قـراء إلى السبعة السابقين هم أبو جعفـر المدنـي المتوفـى بالمدينـة المنـورة سـنة ١٢٨هـ/٧٤٧م ، ويعقوب البصري المتوفى سنة ٢٥٠هـ/٨٦٥م ، وخلـف بـن هشام البغدادي المتوفى سنة ٢٢٩هـ/٨٤٥م .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٣ ص٢٩٥-٢٩٦ ، أبو ضيف مجاهد حسن : القول المبين ص٢١٢ .

علم التفسير

التفسير لغة من فَسَرَ ، والفَسْرُ : البيان ، وفسر الشيء يفسرُه ويَفْسُرُه فسـراً وفسّره : أبانه ، والفَسْرُ : كشف المغطى ، والتفسير كشف المـراد عـن اللفظ والتأويل[١].

واصطلاحاً التفسير هو العلم الذي يبحث في أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى ، أو علم نزول الآيات القرآنية الكريمـة مـن حيث أسباب نزولها وترتيبها مكية ومدنية ، ومحكمها ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها، وعامها ومطلقها ومقيدها ، ومجملها ومفسـرها ، وحلالـها وحرامـها ووعدهـا ووعيدها ، وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها[٢]، أو كما قال حاجي خليفة بأنه البحث في مراد الله تعالى من قرآنه المجيد وتفهم ألفاظه من حيث دلالتها على مـراده[٣]، وقال الزركشي : التفسير علم يفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحكمه[٤].

ففي حياة الرسول ﷺ كان هو الذي يفسّر للمسلمين آيات القـرآن الكريـم ويبين أسباب نزولها ، وكذلك في عهد الخلفاء الراشدين كان المسلمون على علـم بمناسبات النزول ومقاصد الآيات ، فكانوا يفهمون ويدركون معانيه بسهولة ويسـر ولم يسمحوا بتفسير القرآن الكريم .

وعندما اتسعت الدولة الإسلامية وانتشر العرب في الولايات البعيدة ودخلت أقوام كثيرة في الدين الإسلامي ، كان يصعب على بعض الأقوام فهم معاني الكثير

---

[١] ابن منظور : لسان العرب ، ج٥ ص٥٥ مادة فسر .

[٢] السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، مطبعة مصطفى بابي الحلبي ، القاهرة ، ج٢ ص٧٤ .

[٣] حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج١ ص٤٢٧-٤٢٨ .

[٤] الزركشي : مناهل العرفان ، ج٢ ص٤ ، رؤوف شلبي : جواهر العرفان ، ص٣٩٣ .

من الآيات الشريفة ومغزاها دون شرحها وتوضيحها لاسيما وأن القرآن الكريم جاء على أعلى درجات البلاغة اللغوية ، وتفنن بمحاسن المجاز والكناية والاستعارة والأساليب البلاغية المختلفة ، فظهرت الحاجة إلى تفسير الآيات بتبسيط وبيان معناها ودلالتها وأسباب نزولها ، وذلك من أجل العمل به والتقيد بتعاليمه ، ويذكر العلماء جملة من العلوم يحتاج إليها المفسر ليكون مشروعاً له الإقدام على التفسير وهي :-

١- اللغة ، وذلك لفهم المفردات والألفاظ القرآنية وما تحتمله من مدلولات.

٢- النحو ، بأن يكون عالماً بقواعد النحو ووجوه الإعراب .

٣- الصرف ، ليعرف البناء وصيغة الكلام .

٤- الاشتقاق ، ليتمكن من استخراج المشتقات والتمييز بين الألفاظ من حيث المعنى .

٥- علوم البلاغة ، كالمعاني والبيان والبديع وهي أركان أساسية للمفسر من أجل الوقوف على حقائق الإعجاز .

٦- أصول الفقه ، لاستنباط الأحكام .

٧- معرفة أسباب النزول ، للوقوف على الوقائع والمناسبات .

٨- علم القراءات .

واشتهر بالتفسير عدد كبير من الصحابة منهم الخلفاء الراشدون الأربعة وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس الذي لقب بترجمان القرآن الكريم بشهادة الرسول ﷺ ، وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير وغيرهم ، حيث كان الصحابة أكثر الناس فهماً للقرآن فوضحوا الكثير من آياته بأحلى بيان وأوضح تفسير وذلك للأسباب التالية :-

١- أنهم أعلم الناس باللغة العربية وهي لغة القرآن ، كما أنهم أعرف الناس بأشعار العرب وآدابهم وطريقة خطابهم .

٢- أنهم عاينوا نزول القرآن فعرفوا أسباب نزول الآيات ومناسباتها والظروف التي نزلت بها .

٣- سلامة فطرتهم وشدة ملازمتهم للرسول ﷺ وحرصهم على تدبر القرآن مما جعل النفوس صافية موفقة في استلهام الفهم التام والعلم الصحيح وإدراك الرأي السديد .

واشتهر بالتفسير من التابعين مجاهد بن جبر المتوفى سنة ١٠١هـ/٧٢٠م، وهو من أوثق تلاميذ ابن عباس وكان تفسيره حجة عند البخاري والشافعي ، وسعيد بن جبير المتوفى سنة ٩٥هـ/٧١٤م ، وزيد بن أسلم المتوفى سنة ١٣٦هـ/٧٥٤م ، ومسروق بن الأجدع الكوفي المتوفى سنة ٦٣هـ/٦٨٤م وعن هؤلاء أخذ تابعوا التابعين كسفيان بن عيينة المتوفى سنة ١٩٨هـ/٨٤١م،ووكيع ابن الجراح المتوفى سنة ١٩٧هـ/٨١٣م ، وسفيان الثوري المتوفى سنة ١٦١هـ/٧٧٨م وغيرهم .

وعرف المسلمون ثلاثة أنواع من التفسير هي :

أ- التفسير بالمأثور :

وهو التفسير بالرواية أو النقل أي تفسيره بالقرآن أو بالسنة أو بالموقوف على الصحابة رضوان الله عليهم ، وبيان مراد الله تعالى من خلال هذه الطرق ، فيفسر القرآن بالقرآن، فبعض ما أجمل في مكان فُصِّل في مكان آخر،وما اختصر في مكان بُسِطَ في مكان آخر كقوله تعالى : (﴿والسماء والطارق ﴾ وما أدراك ما الطارق ﴾ النجم الثاقب ﴾)[١]، فجعل النجم الثاقب بياناً لكلمة الطارق .

وتفسير القرآن بالسنة ، فقد أشار الله تعالى لذلك في قوله : (﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلاّ لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾)[٢]،

---

[١] سورة الطارق : الآيات ١-٣ .

[٢] سورة النحل : الآية ٦٤ .

فإن كان أصدق الكلام كلام الله سبحانه وتعالى ، فإن حديث رسول الله ﷺ هدى ورحمة ، ثم تأتي في المرتبة الثالثة أقوال الصحابة ، فقد أورد الحاكم في المستدرك أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع ، ومن أشهر كتب التفسير بالمأثور :-

١- تنوير المقياس من تفسير ابن عباس لعبد الله بن عباس المتوفى سنة ٧٨هـ/٦٩٨م .

٢- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي المتوفى سنة ٢٦٠هـ/٨٧٤م .

٣- جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م .

٤- أسباب النزول لأبي الحسن على بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفى سنة ٤٦٨هـ/١٠٦٥م ، واقتصر فيه على ذكر أسباب نزول الآيات الشريفة .

٥- تفسير القرآن العظيم لعماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٢م .

٦- الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ/١٤٧٥م .

ب- التفسير بالرأي :

أي التفسير بالاجتهاد ، فسمح لبعض علماء المسلمين الاجتهاد في تفسير آيات القرآن الكريم ، على أن يلتزم المفسر في هذه الحالة بمراعاة ما نقل عن الرسول ﷺ أو عن الصحابة والتابعين ، فلا يجوز أن يأتي معنى الآيات أو الاستنتاج الذي يتوصل إليه رأيه متناقضاً مع ما روي ، عن المصطفى ﷺ أو عن الصحابة والتابعين ، كما يشترط في المفسر أن يكون بصيراً بقوانين الشريعة

الإسلامية واللغة العربية ، ومن أمثلة التفسير بالرأي ، (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للبيضاوي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) ، و (تفسير الجلالين) ، لجلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي ، و (روح المعاني) للآلوسي[١]، و (مفاتيح الغيب) لفخر الدين الرازي ، و (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) للإمام النسفي .

ج- التفسير الإشاري :

وهو التفسير بالإشارة ، أو تفسير الفرق الإسلامية ، وهو التفسير الذي يقوم به أشخاص من أتباع الفرق الإسلامية بما ترتضيه لنفسها وتظهر فيه عقيدتها ، وهذا النوع من التفسير يمكن أن يكون مقبولاً إذا كان بعيداً عن التأويل ، وإذا كان له شاهد من الشرع ، غير أن الكثيرين خرجوا على الالتزام بهذه القواعد ، فقلموا بتأويل معاني الآيات القرآنية ، ومن هذه التفاسير :

أ- **تفاسير المعتزلة** : مثل تفسير (الكشاف) للزمخشري (ت٥٣٨هـ/١١٤٤م)

ب- **تفاسير الشيعة** : مثل تفسير (مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار) للكازلاني، و(مجمع البيان في تفسير القرآن) للطبرسي ، وهو من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي[٢].

ج- **أما تفسير أهل السنة** فهو الذي يعرف بالتفسير بالرأي السابق الذكر .

---

[١] انظر أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٢١٠ .

[٢] ن . م ، ص٢١٣ .

الفصل الثالث

علوم الحديث

أ-الحديث النبوي الشريف .

ب-تدوين الحديث النبوي الشريف .

ج-علوم الحديث .

-علم الجرح والتعديل .

-علم رجال الحديث .

د-تقسيم الحديث وتصنيفه .

هـ-علم الفقه .

و-مصادر الفقه الاسلامي .

ز-المذاهب الفقهية .

١-المذهب الحنفي .

٢-المذعب المالكي .

٣-المذهب الشافعي .

٤-المذهب الحنبلي

الحديث النبوي الشريف

الحديث لغة من حدث ، والحديث ضد القديم ، والحديث الجديد من الأشياء، والحديث الخبر يأتي على القليل والكثير والجمع أحاديث[1]، قال تعالى : (﴿وأما بنعمة ربك فحدّث ﴾)[2] أي بلِّغ ما أرسلت به . أما أحاديث النبي ﷺ فواحدها حديث ، واستحدثت خبراً أي وجدت خبراً جديداً ، قال ذو الرمّة[3] :

استَحدَثَ الرّكبُ عن اشياعهم خَبَراً .... أم راجع القَلْبَ من أطرابه طَرَبُ

والحديث هو الكلام الذي يصدر من المتكلم ثم ينقل عنه بالرواية أو الكتابة، وعلى هذا نسب الحديث إلى الرسول ﷺ .

فالحديث اصطلاحاً : ما ورد عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلقية ، فما قاله إن كان خبراً وجب تصديقه به ، وإن كان تشريعاً إيجاباً أو تحريماً أو إباحة وجب اتباعه فيه[4]. فقد دعا الله سبحانه وتعالى عباده إلى الأخذ بما جاء به المصطفى عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى : (﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾)[5]، وتأتي أهمية الحديث باعتباره مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي، إذْ يأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم .

---

[1] ابن منظور : لسان العرب ، ج٢ ص١٣١،١٣٣ . مادة : حدث .

[2] سورة الضحى : الآية ١١ .

[3] ابن منظور : لسان العرب ، ج٢ ص١٣١ . مادة حدث .

[4] انظر ابن تيمية : علم الحديث ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٩م ، ص٥ .

[5] سورة الحشر : الآية ٧ .

فقول الرسول ﷺ مثل قوله : (إنما الأعمال بالنيّات وإنما لكل امرئ ما نوى)[1]، وقوله عليه الصلاة والسلام: (من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)[2]

ومن أفعال النبي ﷺ : عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمُعوّذات ويَنفُثُ ، فلما اشتدّ وجعه كنت اقرأ عليه وأمسحُ بيده رجاء بركتها)[3]، وحديث أنس بن مالك : (كان النبي ﷺ إذا اشتدّ البرد بكّرَ بالصلاة ، وإذا اشتدّ الحرُّ أبْرَدَ بالصلاة)[4].

والتقرير هو ما أقرّه الرسول ﷺ مما صدر عن الصحابة من أقوال وأفعال بسكوته وعدم إنكاره لأنه لا يقرُّ باطلاً ولا يسكت على منكر ، مثل إقراره عليه الصلاة والسلام لمن تيمم من الصحابة لعدم وجود الماء ثم وجده بعد الصلاة ولم يعد صلاته .

والصفة الخَلْقية هي كل ما ورد من الأحاديث في ذكر أوصاف النبي ﷺ مما زخرت به كتب السنة ، والصفة الخُلُقية ما ورد في أوصافه الخُلُقية ومناقبه الحميدة .

السُّنَةُ : في اللغة هي الطريقة والسيرة ، لقوله عليه الصلاة والسلام : (من سنّ في الإسلام سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء) ، والسنّة في الاصطلاح مرادفة للحديث فهي ما أضيف إلى الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية أو خُلُقية .

---

(1) البخاري : الصحيح ص٢١ .

(2) الإمام أحمد بن حنبل : المسند ، ج١ ص٢٠ .

(3) البخاري : الصحيح ص٩٩٦-٩٩٧ .

(4) البخاري : الصحيح ص١٨١ .

تدوين الحديث

لم يدوّن الحديث في عهد الرسول ﷺ كما دوّن القرآن الكريم ، حيث نهى عليه الصلاة والسلام عن تدوين الحديث ، فعن أبي سعيد الخدري أنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه وحدثوا عني فلا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)[١]، فقد خشي عليه الصلاة والسلام اختلاط القرآن بالحديث إذا كتب عنه الصحابة ، وأن تتوزع جهودهم خاصة وأن أدوات الكتابة كانت نادرة عندهم ، فقصرهم على الأهم وهو القرآن الكريم[٢]، لذلك أحجم كثير من الصحابة عن كتابة الحديث امتثالاً لأمر الرسول ﷺ .

وهناك من أشار إلى أن رسول الله ﷺ أذن بالكتابة لمن خشي عليه النسيان ، ونهى عن الكتابة من وثق بحفظه مخافة الاتكال على الكتاب إضافة إلى خوفه على اختلاط ذلك بالقرآن الكريم .

وفكّر بعض المسلمين بجمع الحديث في خلافة أبي بكر ، وجمع أبو بكر أصحاب رسول الله ﷺ يستشيرهم ، فتريثوا في الأمر لأن الظروف لم تكن مناسبة لذلك وأدوات الكتابة قليلة جداً ، فاجتهدوا في الحفاظ عليه في صدورهم بالمواهب التي منحهم الله إيّاها من الحفظ وقوة البديهة .

فلما تولّى عمر بن الخطاب احتاط للأمر ووقف من الحديث وروايته موقف الحذر والتثبت ، وحضّ الصحابة على التقليل من الرواية خشية الكذب على رسول الله ﷺ ، وخشية أن يصدّهم ذلك عن القرآن الكريم .

---

[١] أحمد محمد صقر : الجوهر النفيس في علوم الحديث ، مطبعة الأزهر ١٩٤٩م ص٥-٦ .

[٢] مسلم : الصحيح ، ج٨ ص٢٢٩ ، ابن كثير : اختصار علوم الحديث ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٩م ، ص٨٦ ، أحمد محمد صقر : الجوهر النفيس في علوم الحديث ، ص٥-٦ .

وعرضت لعمر بن الخطاب الفكرة التي عرضت لأبي بكر ، وأراد أن يكتب السنن واستشار الصحابة فأشار عليه عامتهم بذلك ولبث شهراً يستخير الله تعالى في ذلك ، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال : إني ذكرت لكم في كتابة السنن ما قد علمتم ثم تذكرت فإذا أناس من أهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتباً فأكبّوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء[1].

وهكذا ترك الصحابة تدوين الحديث وكذلك فعل التابعون ، وبقي الاعتماد على الرواية ، وامتدت الفتوحات الإسلامية وانتشر العرب في الأمصار المفتوحة وتفرّق رواة الحديث وحفّاظه ومات عدد كبير منهم ، فشعر العلماء بالحاجة إلى تدوين الحديث ، وأدرك عمر بن عبد العزيز ضرورة ذلك وكانت الدوافع لتدوين الحديث هي[2]:

١- زوال أسباب الكراهية للكتابة ، فأصبح التمييز بين القرآن والحديث أمراً معروفاً وواضحاً .

٢- الخشية من ضياع الحديث بسبب انتشار العلماء من حفّاظ الحديث في الأمصار الإسلامية وموت كثير من حفّاظه ورواته .

٣- ضعف ملكة الحفظ التي اتصف بها العرب وإهمال الحفظ بمرور الوقت.

٤- ظهور الوضع وكثرة الابتداع على رسول الله ﷺ بسبب الخلافات السياسية والمذهبية الناتجة عن الفتن بين المسلمين وانقسامهم إلى أحزاب وفرق كالشيعة والخوارج والروافض وغيرهم .

---

(١) أحمد محمد صقر : الجوهر النفيس ، ص١٠ ، مصطفى البغا : بحوث في علوم الحديث ونصوصه ، مطبعة الاتحاد، دمشق ١٩٩٠م ، ص٤٦ .

(٢) محمد محاسنة : بناء الدولة العربية الإسلامية ، ص٢١٩ ، محمد مختار المفتي : محاضرات في علوم الحديث ، مكتبة الأندلس ، عمان ١٩٩٩م ، ص٤٠ .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل المدينة على رأس المائة للهجرة وانتدب أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم المتوفى سنة ١١٧هـ/٧٣٨م وكان عامله على المدينة ليقوم بكتابة الحديث ، فقال له : (انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه ، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء)[١].

واعتبر علماء الحديث هذا أوّل تدوين للحديث النبوي الشريف ، ورأى بعضهم أن موت الخليفة عمر بن عبد العزيز سريعاً عدل بأبي بكر بن حزم عن أن ينفذ أمره ، فجاءت المحاولة الجادّة لجمع الحديث على يد الإمام محمد بن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤هـ/٧٤٣م ، حيث استقصى ما وصل إليه من حديث وجمعه حتى قال بعض العلماء (لولا الزهري لضاع كثير من السنّة)[٢]، وعني بدراسة الحديث عناية فائقة ويذكر أنه أهمل أهله وأصحابه لأجل ذلك ولوضع كتب الحديث ، فقالت امرأته : (إن هذه الكتب أشدّ علي من ثلاث ضرائر).

وتابع عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المتوفى سنة ١٥٠هـ/٧٦٨م جمع أحاديث رسول الله ﷺ ، فقد صنّف كتاباً في الآثار وحروفاً من التفسير وجمع فيه أحاديث مجاهد وعطاء وأصحاب عبد الله بن عبّاس بمكّة[٣].

وشاع التدوين في جيل ابن جريج ونشط في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي وساهموا في جمع الحديث الشريف منهم ابن إسحاق المتوفى سنة ١٥١هـ/٧٦٩م ، والإمام مالك المتوفى سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م وسفيان الثوري المتوفى سنة ١٦١هـ/٧٧٧م والإمام الأوزاعي المتوفى سنة ١٥٧هـ/٧٧٥م وغيرهم .

---

(١) البخاري : الصحيح ، ص٤٥ .

(٢) ابن الصلاح : علوم الحديث ، تحقيق نور الدين عتر ، دار الفكر ، دمشق ١٩٨٤م ، ص١٧١ .

(٣) انظر أبو طالب المكي : قوت القلوب ، المطبعة المصرية ، القاهرة ، ج٢ ص٣٧ .

وأخذ تدوين الحديث يدخل مرحلة جديدة هي مرحلة التصنيف بعد أن كـــان جمعاً من غير تبويب ، والتصنيف هو : جمع الأحاديث على الأبـــواب بـــترتيب وتبويب أي جمع الأحاديث المتناسبة في باب واحد ، ثم جمع مجموعة من الأبواب أو الكتب في مصنّف واحد[1].

ثم تطوّر التصنيف والتأليف في الحديث وازدهر ازدهاراً كبيراً ، فدوّنت فيه أغلب كتب الحديث المعروفة ، وبرز الأئمة المشهورون والنقاد الذين اسهموا فـــي جمع الحديث والتصنيف فيه ، ونهج المصنّفون في الحديث عـــدة طـــرق لجمـــع الحديث منها: طريقة المسانيد وطريقة المعاجم وطريقة الجوامع .

١- التصنيف على المسانيد :

المسانيد جمع مسند وهي الكتب التي جُمعت فيها أحاديث كل صحابي علـــى حدة بغض النظر عن صحة الحديث، ويكون ترتيب أسماء الصحابة فـــي المســـند على حروف الهجاء أو علـــى الســـوابق مثـــل العشـــرة المبشـــرين بالجنّـــة أو البدريين...الخ

وأشهر الأسانيد هـــو مســـند الإمـــام أحمـــد بـــن حنبـــل المتوفـــى ســـنة ٢٤١هـــ/٨٥٦م، واهتم أحمد بن حنبل في جمع أحاديث مسنده فلـــم يخرجـــها إلاّ عمّن ثبت عنده صدقه وتديّنه ، ودقّق في المتن وفي الرّجال ، ويحتـــوي المســـند على (٣٠,٠٠٠) حديث مأخوذة عن (٧٠٠) صحابي ، ويشتمل على أحاديث غـــير موجودة عند غيره، وركّز على نقد الإسناد[2]، إلاّ أنّ العناية بـــالحديث كمصـــدر للفقه جعلت استشارة الأسانيد عملية صعبة لأن ذلك يتطلب وقتاً وجهداً كبيرين .

---

[1] محمد مختار المفتي : علوم الحديث ، ص٤٢ .

[2] انظر ناجي معروف : موجز تاريخ الحضارة ، ص٢٢٠ .

والأسانيد كثيرة جداً منها مسند الحميدي ومسند البزار ومسند أبي داؤد الطيالسي ومسند أبو يعلى الموصلي.

٢- التصنيف على المعاجم :

المعاجم جمع معجم وهي ما تذكر فيها الأحاديث مرتبة حسب أسماء الصحابة أو شيوخ المصنّف أو البلدان ، وأشهرها المعاجم الثلاثة للطبراني المتوفى سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م ، وهي المعجم الكبير والأوسط والصغير ، وأهمّها المعجم الكبير وأسماء الصحابة مرتبة فيه على حروف المعجم [١].

٣- التصنيف على الجوامع :

الجوامع جمع جامع ، وهي المصنّفات التي جمعها أصحابها ورتّبوها على جميع أبواب الدين ، وفيها العقائد كالإيمان والعبادات كالطهارة ، والمعاملات كالنكاح ، والسيرة والمناقب والتفسير والآداب...الخ ، وأشهر الجوامع هي :-

- **الجامع الصحيح** – للإمام البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ/٨٧٠م وهو أوّل من أفرد الصحيح بالتأليف ، ورتبه على الأبواب مفتتحاً بكتاب بدء الوحي ، والإيمان ، والعلم ، والطهارة ...الخ ، وكل كتاب مجزأ إلى أبواب تحت كل باب عدد من الأحاديث[٢]، وحظي صحيح البخاري بعناية فائقة من العلماء فاهتموا بشرحه ، فوضع ابن حجر العسقلاني شرحاً سمّاه (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) ، ووضع بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م) شرحاً سمّاه (عمدة القارئ) .

- **الجامع الصحيح** – للإمام مسلم بن حجاج القشيري المتوفى سنة ٢٦١هـ/٨٧٥م ، وقصره على رواية الحديث الصحيح مبتدأ بكتاب الإيمان

---

(١) محمد الزحيلي : مرجع العلوم الإسلامية ، دار المعرفة ، دمشق ١٩٩٢م ، ص٢٩٢ .

(٢) انظر البخاري : الجامع الصحيح ص١٢٣ ، ٢٧٢ ، ٤١٧ .

والطهارة فالحيض والصلاة...الخ ، وختمه بكتاب التفسير ، وكل كتـــاب يشـتمل على عدد من الأبواب[٣].

- **الجامع الصحيح** – للإمام محمد بن عيســـى الــترمذي المتوفـــى ســـنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م ، ويُعرف أيضاً بسنن الترمذي وخرّج فيـــه الحديــث الصحيــح والحسن والضعيف ، لكنه بّينَ درجة الحديث وما قيل فيه ورتّبه على الأبـــواب : الطهارة فالصلاة إلى أن ختمه بكتاب المناقب .

ومنهـــا ايضاً :

- سنن أبي داؤد المتوفى سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م .
- سنن ابن ماجة المتوفى سنة ٢٨٣هـ/٨٩٦م .
- سنن النسائي المتوفى سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م .

وللكتابين الأولين وهما صحيحي البخاري ومسلم منزلة خاصة بيـــن كتــب الحديث لذلك عرف الكتابان بالصحيحين فلم يرد فيهما إلاّ ما تم التوثق من صحتـه صحةً تامة ، أما كتب السنن الأربعة فلا تذكر إلاّ الأحـــاديث المتعلقـــة بـــالحلال والحرام ، وتهمل الأحاديث التاريخية والتهذيبية والعقائدية ، فهي تتعلّـــق بالسُّـــنّة (العادة والتقليد) فقط، لذلك سميّت بكتب السُّنن[١].

---

[٣] انظر صحيح مسلم ، مصطفى البغا : علوم الحديث ، ص٥٣-٥٤ .

[١] انظر ابن خلدون : العبر ، ج١ ص٤٤٢ ، ناجي معروف : موجز تاريخ الحضارة ، ص٢٢١ ، ٢٢٢ .

علوم الحديث

نشأت علوم الحديث مع نشأة الرواية ونقل الحديث في الإسلام ، إلاّ أنه لـــم يكن بالإمكان الأخذ بكافة الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ قبل التـــأكد مـــن صحتها وصحة نسبتها إليه ، وذلك بسبب الأحداث التي مرّت بها الدولة الإسلامية وظهور الفرق والأحزاب الدينية والسياسية مما دفع بعض المغرضين إلى افتعـــال بعض الأحاديث ونسبتها إلى الرسول ﷺ لخدمة مصالحهم وأهوائهم، من هنـــا صار لا بدّ من التروّي قبل الأخذ بالأحاديث لتميـــيز الحديـــث الصحيـــح وغـــير الصحيح ، وظهر نتيجة ذلك عدّة علوم مرتبطة بعلم الحديث منها :

١- علم أسماء رجال الحديث .

٢- علم الجرح والتعديـــل .

٣- علم الناسخ والمنسوخ .

٤- علم غريب الحديث .

٥- علم علل الحديـــث .

وسنتناول منها علمي أسماء الرجال والجرح والتعديل .

١- علم الجرح والتعديل :

فالجرح لغة أثر السلاح في الجلد ، واصطلاحاً : الطعن في رواة الحديـــث لوجود خلل يمنع قبول روايته، والتعديل لغة من العدل وهو ما قام في النفس أنّـــه مستقيم ورجل عدل مقبول الشهادة، وتعديل الرجل تزكيته، واصطلاحـــاً توثيـــق الراوي وقبول روايته، والعدل هو من لم يظهر فيه ما يخـــلّ بدينـــه ومروءتـــه، وتوفرت فيه شروط الرواية والضبط .

وعلم الجرح والتعديل هو علم يبحث في أحوال الرواة من حيث قبول روايتهم أو ردّها ويبحث في تمييز الرجال الذين تقبل روايتهم ، وكشف الأحاديث المزوّرة المنسوبة إلى رسول الله ﷺ بهدف الحفاظ على صحة الحديث وليس طعناً في أشخاص الرواة[1].

ووضع العلماء شروطاً لمن تقبل روايته منها البلوغ والعقل والعدالة في الدين والبعد عن السهو والزلل وأن يكون صادقاً ثقة وأن يكون السند متصلاً بالرسول ﷺ غير منقطع ، واشترطوا أن يكون نص الحديث المروي عن الرسول عليه الصلاة والسلام صحيحاً .

وألّف عدد كبير من العلماء في الجرح والتعديل ومن الكتب في هذا المجال:

١- التاريخ الكبير للإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م) .

٢-الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ/٩٣٩م) .

٣- الثّقات لابن حبان البستي (ت ٢٥٤هـ/٩٦٥م) وهو كتاب خاص بالثّقات.

٤- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للإمام الحافظ جمال الدين المزي (ت ٧٤٢هـ/١٣٤٢م) ، وهو متخصص في رجال الكتب الستة .

٥- ميزان الاعتدال للذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٤م) ، وهو كتاب خاص بالضعفاء .

٦- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٥٧م) ، واختصر فيه تهذيب الكمال وأضاف إليه تعليقات مهمة .

---

(1) محمد بن لطفي الصباغ : الحديث النبوي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ١٩٨٦م ، ص١٥٢ ، أحمد محمد صقر: الجوهر النفيس ، ص٢٣-٢٤ ، محمد مختار المفتي : علوم الحديث ، ص٦٩-٧٠ .

٢- علم رجال الحديث :

وهو علم تاريخ الرواة ويبحث بأحوال رواة الحديث من حيث تاريخ مواليدهم ووفياتهم وأسمائهم وكناهم وألقابهم وأنسابهم وأوطانهم ورحلاتهم وشيوخهم وتلاميذهم وجرحهم وتعديلهم ، والمتّفق والمختلف من أسمائهم وكل ما له صلة بتاريخ الرّواة وأحوالهم ، لمعرفة الثّقات منهم والضعفاء[(١)].

واقترن هذا العلم بنشأة الرواية في الإسلام واهتمّ به العلماء ليتمكنوا من معرفة رجال الأسانيد فكانوا يسألون الرواة عن أعمارهم ومواطنهم وتاريخ سماعهم من الشيوخ ، فقد روي عن سفيان الثوري أنه قال : (لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ)[(٢)].

ومن أشهر المؤلّفات في هذا المجال كتاب (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) لابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) ، وكتاب (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) ، وكتاب (تاريخ مدينة دمشق الكبير) لابن عساكر (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م) ، وكتاب (أسد الغابة في تمييز الصحابة) لابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م) ، وكتاب (الإصابة في تمييز الصحابة) لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٥٧م) .

---

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج١ ص٨٧-٨٨ ، محمد الصباغ : الحديث النبوي ، ص١٥٧-١٥٨ .

(٢) ابن الصّلاح : علوم الحديث ، ص٣٨٠ .

تقسيم الحديث وتصنيفه

يتكون الحديث النبوي الشريف من جزأين رئيسين هما السند والمتن ؛ فالسند لغة هو ما ارتفع من الأرض والجبل[1]، واصطلاحاً سلسلة أسماء رواة الحديث ، ويستعمل السند والإسناد لشيء واحد فيقال سند الحديث وإسناد الحديث.

والمتن لغة ما صلُب من الأرض وارتفع[2]، والمتن الظهر ، واصطلاحاً هو نص الحديث المروي : وسمي به نص الحديث لأنه يشبه الظهر في كونه معتمد عليه ، والحديث يعتمد عليه لأنه أصل في الاستنباط والتشريع[3].

وللإسناد قيمة كبرى في الإسلام عبّر عنها ابن المبارك بقوله : (الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء)[4].

ويقسم الحديث النبوي من حيث القبول والردّ إلى ثلاثة أقسام هي الحديث الصحيح ، والحديث الحسن والحديث الضعيف[5].

١- الحديث الصحيح :

هو الحديث المسند والذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ولا يكون شاذاً ولا معللاً[6]، وبذلك فهو يتضمن خمسة شروط هي : اتصّال السّند أي أن يكون السّند كامل الحلقات وأنّ كل راوٍ سمع الحديث

---

(1) ابن منظور : لسان العرب ، ج٣ ، ص٢٢٠-٢٢١ . مادة : سند .

(2) ن . م ، ج٣ ص٣٩٨ . مادة : متن

(3) انظر محمد الصباغ : الحديث النبوي ، ص١٢٦-١٢٧ .

(4) مسلم : الجامع الصحيح ، ج١ ص١٢ .

(5) انظر ابن تيمية : علم الحديث ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٩م ، ص٢٠ ، ابن كثير : اختصار علوم الحديث ، ص١١ ، ٢٧ .

(6) ابن الصلاح : علوم الحديث ، تحقيق نور الدين عتر ، دار الفكر ، دمشق ١٩٨٦م ص١١-١٢ ، ابن كثير: اختصار علوم الحديث ، ص١١ .

وأدّاه موجود في السّند ، وعدالة الرواة ، وضبط الرواة ، وسلامة الحديث من الشذوذ (أي مخالفة الثّقة لمن هو أوثق منه) ، وسلامة الحديث من العلّة ، والعلّة سبب غامض خفي يقدح في صحة الحديث ، فإذا اختلّ شرط من هذه الشروط لا يكون الحديث صحيحاً .

وأوّل من اعتنى بجمع الصحيح هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ثم تلميذه أبو الحسين مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري وكتاباهما أصحّ كتب الحديث .

٢- الحديث الحسن :

هو ما توافرت فيه شروط الحديث الصحيح جميعها ، إلاّ أن رواته أقل ضبطاً من رواة الصحيح[١]، ويحتج العلماء بالحديث الحسن وتثبت به الأحكام ، ومن الكتب التي وردت فيها الأحاديث الحسنة كتب السنن الأربعة ومسند الإمام أحمد بن حنبل وسنن الدارمي[٢].

٣- الحديث الضعيف :

هو الحديث الذي فقد شرطاً أو أكثر من شروط الحديث الحسن ، وهو الذي عرف أن ناقله متهم بالكذب رديء الحفظ ، فإنه إذا رواه المجهول خيف أن يكون كاذباً أو سيء الحفظ ، فإذا وافقه آخر لم يأخذ عنه عرف أنه لم يتعمد كذبه ، واتفاق الاثنين على لفظ واحد قد يكون ممتنعاً وقد يكون بعيداً[٣].

---

(١) ابن الصّلاح : علوم الحديث ، ص٣٠-٣٢ .

(٢) محمد مختار المفتي : علوم الحديث ، ص١٣١-١٣٣ .

(٣) ابن تيمية : علم الحديث ، ص٢٠ .

علـــم الفـــقـــه

الفقه لغة : العلم بالشيء والفهم له ، وفَقِهَ فِقْهاً : عَلِمَ علماً ، وفقـــه الشـــيء علمه ، والفقه في الأصل : الفهم ، يقال : أوتي فلان فقهاً في الدين أي فهماً فيــه ، قال الله عزّ وجل : ليتفقهوا في الدين أي ليكونوا علماء به ، ودعـــا النبـــي ﷺ لابن عباس فقال : (اللهم علّمه الدين وفقّههُ في التأويل) ، فاســـتجاب الله دعـــاءه وكان من أعلم الناس في زمانه بكتاب الله[1].

والفقه اصطلاحاً هو العلم الذي يبحث في استنباط الأحكـــام الشـــرعية مـــن مصادرها الأصلية ، وهي الكتاب والسنّة ، أو التوصل إلـــى رأي قـــانوني فيمـــا يعرض من مسائل حين لا يوجد جواب في الحديث أو حين لا يعـــرف الإنســـان وجود ذلك .

قال الإمام الشافعي : هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلّتـــها التفصيلية[2]، أي هو معرفة وإدراك الأحكام التي تتوقف على مصـــدر شـــرعي ، وتقتضي من المكلّف البالغ العاقل القيام بعمل وسلوك وتصرف في الحياة كوجوب الصلاة وأدائها ، وتحريم القتل والامتناع عنه .

وقال ابن خلدون هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلّفيـــن بـــالوجوب والحظر والندب والكراهية والإباحة ، وهي مستقاة من الكتاب والسنّة وما نصبـــه الشارع لمعرفتها من الأدلّة[3].

---

(1) ابن منظور : لسان العرب ن ج13 ص522 . مادة : فقه .

(2) انظر محمد مصطفى شلبي : المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي ، دار النهضة العربية ، بيروت 1983م ، ص32-33 ، محمد الزحيلي : مرجع العلوم الإسلامية دار المعرفة ، دمشق 1992م ، ص361-362 .

(3) انظر ابن خلدون : العبر ، ج1 ص445-446 .

وفائدة هذا العلم هي القدرة على نصب الأدلّة السمعية على مدلولاتها ومعرفة الأحكام الشرعية بتطبيق قواعدها على الأدلّة التفصيلية التي تستنبط منها الأحكام ، والقضاء في ذلك أو الاجتهاد فيه يعتمد على العقل والتبرير وحذق الأمور واستخراج الدليل من الكتاب والسنّة، فقد سأل النبي ﷺ معاذ بن جبل الذي ولاّه قضاء اليمن: بمَ تقضي ؟ قال معاذ: بكتاب الله ، قال النبي ﷺ : فإن لم تجد ؟ قال معاذ : أقضي بسنة رسول الله، قال النبي ﷺ : فإن لم تجد؟ قال معاذ : أجتهد رأيي ، فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي الله ورسوله[1].

ومما عرض لعمر بن الخطاب واتخذ فيه قراراً حاسماً ، هو قراره في شأن الأراضي المفتوحة ، فقد رأى عمر بن الخطاب إيقافها وعدم توزيعها على المسلمين الفاتحين ، بينما كانت وجهة نظر كثير من الصحابة تقسيم الأرض[2]، إذ كان الرسول ﷺ قد سلك سلوكاً مختلفاً في واقعتين متشابهتين ، فقسم أموال بني النضير وأرضهم بين المقاتلين ، بينما لم يقسم أرض خيبر وأبقاها بيد أصحابها على النصف .

وكانت حجة عمر أن الأرض يجب أن تبقى لكل أجيال المسلمين القادمة لا أن يختص بها الفاتحون وأعقابهم فتتركز الملكية في يد قلّة من المسلمين ، كما أن الأرض الزراعية الخصبة تحتاج لرعايتها والاستفادة منها إلى خبرات لم تكن متوافرة لدى العرب آنذاك[3].

لقد توفي رسول الله ﷺ بعد أن ترك جملة من الأصول والقواعد

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٣ ص٥٨٤ .

(٢) انظر أبو يوسف : الخراج ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٤٧هـ ، ص٣٥ ، أبو عبيد : الأموال ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ١٩٧٩م ، ص٦٢-٦٤ .

(٣) انظر أبو عبيد : الأموال ، ص٦٤ ، محمد أمين فرشوخ : المدخل إلى علوم القرآن ، ص١٨٤ .

والتشريعات في القرآن والسنّة وكانت تكفي المسلمين آنذاك حيث كان عددهم قليل ويقتصر وجودهم على الجزيرة العربية .

إلاّ أن هذه النظم لم تعد كافية بعد التوسع الهائل الناتج عن أعمال الجهاد وحركة الفتوحات الإسلامية ، فاحتاج المسلمون إلى التفنن والتشريع ، حيث برزت مشكلات تحتاج إلى بيان حكم الشرع .

كان الخلفاء الراشدون يقضون بالرجوع إلى القرآن الكريم والسنّة الشريفة فإن لم يجدوا جمعوا أهل الرأي واستشاروهم ، أو يجتهدون في ذلك ، لكنهم كانوا يتشددون في الاجتهاد .

ومع ازدياد حركة التوسع الإسلامي انتشر الصحابة في البلاد المفتوحة يحملون الفكرة الإسلامية ، والناس يسألونهم في مختلف الأمور فيجيبون الناس كلٌ حسب حفظه وما أدى إليه اجتهاده ، فكثرت أقوال الصحابة في الأمصار واختلفت آراؤهم تبعاً لمقدار علم الصحابي وفقهه من جهة ، وتبعاً للبيئات التي استوطنوها.

فقد تأثرت التقاليد الفقهية التي ظهرت في الأمصار بشخصيات الصحابة الذين عاشوا في الأمصار ، وأثّروا في تلاميذهم من حيث طريقة التفكير وتفسير القرآن ورواية الأحاديث النبوية ، وقد أسهم في تنوع هذه التقاليد اختلاف الأوضاع في تلك الأمصار(1).

وأخذت تتكون وبالتدريج مدارس حول الفقهاء من التابعين الذين وعوا آراء الصحابة وحفظوا من أحاديث الرسول ﷺ ، وحتّموا إلى ذلك آراؤهم الشخصية، وتميّز في كل بلد من البلاد الإسلامية إمام منهم مثل سعيد بن المسيب في المدينة المنورة ، وعطاء بن رباح في مكة المكرمة ، وإبراهيم النخعي في الكوفة .

وبرزت في الدولة الإسلامية مدرستان فقهيتان هما(2):

---

(1) محمد أمين فرشوخ : المدخل إلى علوم القرآن ، ص١٨٥ .

(2) ابن خلدون : العبر ، ج١ ص٤٤٧ .

١- مدرسة الرأي (مدرسة العراق) :

وهؤلاء رأوا أن أحكام الله سبحانه وتعالى معلّلة بعلل وشرعت لغايات ، فتبعت علل الأحكام ومالوا إلى استعمال الرأي إذا لم يجدوا نصاً في القرآن الكريم أو السنّة الشريفة ، مستندين إلى فعل كبار الصحابة فسموا بأهل الرأي ، وكان مقرّهم في العراق في الكوفة والبصرة[1].

وكانوا متأثرين بمعلمهم الأول عبد الله بن مسعود وهو من حزب عمر في الأخذ بالرأي ولأن العراق شهد أكثر الأحداث والفتن الداخلية ، وظهور الشيعة والخوارج فشاع الوضع والكذب على رسول الله ، فاشترط علماؤها في قبول الحديث شروطاً لا يسلم معها إلاّ القليل واكتفوا بما يرويه نزلاء العراق من الصحابة ، لهذا فالأحاديث التي يعول عليها قليلة لذلك فلا بد من استعمال الرأي مع كثرة المسائل التي يحتاج إلى التعرّف على أحكامها في العراق .

٢- مدرسة الحديث (مدرسة الحجاز) :

ووقف أصحاب هذه المدرسة عند النصوص فتوقفوا عن الإفتاء إذا لم يجدوا نصاً آخذين بظاهر قوله تعالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم)[2]، ويعتمدون الحديث لذلك سمّوا بأهل الحديث ، ونادراً ما كانوا يميلون إلى الرأي والقياس ، ولا يكون ذلك إلاّ في الحالات الضرورية جداً والتي لا يوجد فيها روابط تساعد على ربط المسائل بعضها ببعض ، وذلك بسبب تأثرهم بشيوخهم مثل عبد الله بن عمر في تعلقهم بالآثار وتورعهم عن الأخذ بالرأي ، وقلة ما يعرض عليهم من الحوادث ، وبداوتهم ، وكانوا إذا استفتوا في مسألة عرضوها

---

(١) محمد مصطفى شلبي : المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي وقواعد الملكية والعقود ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٣م ، ص١٢٧ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٢٦ .

على كتاب الله عزّ وجل ، ثم على السنّة ، ثم على آثار الصحابة رضوان الله عليهم[1].

[1] حول ذلك انظر محمد مصطفى شلبي : التعريف بالفقه الإسلامي ، ص١٢٧ وما بعدها ، محمد علي السايس : تاريخ الفقه الإسلامي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٠م ، ص٨٥ .

مصادر الفقه الإسلامي

وللفقه الإسلامي مصادر هي أصوله التي تحكم قواعده ، والينابيع التي يستقي منها المشرعون قوانينهم منها مصادر ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ، ومنها مصادر مرنة متطورة تختلف باختلاف العصور ، فالمصادر الأساسية أربعة هي

١- القرآن الكريم .

٢- السنّة النبوية .

٣- الإجماع : وهو اتفاق جميع المجتهدين من المسلمين في عصر من العصور بعد وفاة الرسول ﷺ على حكم شرعي[1].

٤- القياس : وهو إلحاق أمر غير منصوص على حكمه بأمر آخر منصوص على حكمه لعلّة جامعة بينهما[2].

وهناك مصادر تبعية اختلف فيها الفقهاء وليس هذا مكان دراستها ونكتفي بذكرها فقط وهي :

١- الاستحسان .

٢- المصالح المرسلة .

٣- الاستصحاب .

٤- العرف .

٥- شرع من قبلنا .

---

(1) انظر محمد أبو زهرة : أصول الفقه ، دار الفكر ، القاهرة ١٩٥٨م ، ص١٥٦ .

(2) محمد أبو زهرة : أصول الفقه ، ص١٧٣ ، محمد مقبول حسين : محاضرات في تاريخ التشريع الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ١٩٩٤م ، ص٦٥ .

٦- مذهب الصحابي .

٧- سد الذرائع .

وتطورت علوم الفقه الإسلامي وازدهرت في العصر العباسي، ولا بد هنا من الإشارة إلى بعض العوامل أو الأسباب التي أسهمت في تطور وازدهار الفقه الإسلامي ومنها[1]:

١- اتساع البلاد الإسلامية مما أدى إلى دخول عادات وتقاليد مختلفة ومتباينة دعت الفقهاء إلى استنباط الأحكام لمسائلهم المختلفة .

٢- اهتمام الخلفاء العباسيين بالفقه والفقهاء ، وتوفير الحرية والظروف اللازمة للقيام بأعمال البحث والدراسة التي تلزم علومهم ، فوضع أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم كتاب الخراج بطلب من هارون الرشيد .

٣- تدوين الحديث والسنّة الشريفة ، ومعرفة الصحيح من الضعيف مما سهل عمل الفقهاء ، ووفّر عليهم الجهد ، فالسنّة المصدر الثاني للفقه الإسلامي بعد القرآن الكريم .

٤- ظهور المجتهدين الكبار من أصحاب الإمكانات الفقهية الواسعة ، لذلك قاموا بسد حاجات الدولة الإسلامية من الأنظمة والقوانين .

٥- الخلاف بين مدرستي الحديث والرأي ، وأصبح الرأي طريقة فقهية صحيحة بحدودها وأصولها الشرعية التي بيّن أهلها أنها بعيدة عن الهوى المجرد عن الدليل الشرعي .

٦- ظهور الاصطلاحات الفقهية الكثيرة التي تعتبر ثروة هامة في الفقه والقانون .

---

[1] حول هذا انظر محمد مصطفى شلبي : التعريف بالفقه الإسلامي ص١٢٩-١٣٤ ، محمد المزايمة ومصطفى أحمد نجيب : المدخل إلى دراسة التشريع الإسلامي ، دار عمار ، عمان ١٩٩١م ، ص٧٣-٧٥ .

٧- تدوين الفقه وأصوله تدويناً علمياً لضبط القوانين في استنباط الأحكام الفقهية ، ومن ذلك كتاب (الرسالة) للإمام الشافعي ، وكتاب الأم له أيضاً وكتاب الموطأ لمالك بن أنس ، وكتب محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة مذهبه .

٨- شيوع المناظرات بين الفقهاء وكثرة الوقائع ، وتأثر العقول بما ترجم من علوم الأمم الأخرى .

المذاهب الفقهيـــة

١- المذهب الحنفي :

ينسب إلى الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت ، ولد الإمام في الكوفـــة سنة ٨٠هـــ/٦٩٩م وتوفي في بغداد سنة ١٥٠هـــ/٧٦٧م[١]، وكان يعمل تـــــاجراً ويبيع ثياب الخز بالكوفة .

عُرف أبو حنيفة بصدق المعاملة وكان ورعاً زاهداً في الدنيا حسن الوجـــــه والمجلس ثقةً جريئاً في الحق لا يجامل أحداً ولا يحدّث إلا بما يحفظ .

انتقل من الكوفة إلى بغداد وتلقى العلم عن طائفة من العلماء فـــلازم شـــيخه حماد بن أبي سليمان (ت ١٢٠هـــ/٧٣٨م) حتى صار إماماً ولقب بالإمام الأعظم، وهو إمام أهل الرأي وفقيه العراق ، أُكره على العمل في القضاء ، فأبى ذلك[٢].

تشدّد أبو حنيفة في قبول الحديث وتوسع في القياس ، وكان يعتمد في مذهبــه على الكتاب والسنّة والإجماع والقياس ، وكان للرأي والقياس المكـــان الأول فـــي فقهه ، وله كتب كثيرة في الفقه منها (الفقه الأكبر) و (الرّد على القدريّة)[٣].

من تلاميذ أبي حنيفـــة الإمـــام أبـــو يوســـف يعقـــوب بـــن إبراهيـــم (ت ١٨٢هـــ/٧٩٨م) قاضي القضاة زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد ، وله الفضل

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٥ ص٤٠٥-٤١٥ ، ابن خلدون : العبر ، ج١ ص٤٤٧ ، السيوطي : طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٣م ، ص٨٠-٨١ ، شعبان محمد إسماعيل : التشريع الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٨٥م ، ص١٣٢-١٣٦ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٥ ص٤٠٦ ، السيوطي طبقات الحفاظ،ص٨٠ ،محمد شلبي : التعريف بالفقه الإسلامي ، ص١٧٣ .

(٣) ابن النديم : الفهرست ، ص٢٨٤-٢٨٥ .

في تدوين أصول الحنفية ونشر مذهبهم ، والإمام محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ/٨٠٥م) الذي انتهت إليه رئاسة الفقه في العراق بعد أبي يوسف، و قد جمع الشيباني آراء أبي حنيفة ودوّن المذهب الحنفي في كتبه المعروفة (ظاهر الرواية) ، وهي ستة كتب (الجامع الكبير والجامع الصغير والسير الكبير والسير الصغير والمبسوط أو الأصل والزيادات)[1]. وانتشر المذهب الحنفي في العراق وبلاد الشام وآسيا الصغرى .

٢- المذهب المالكي :

وينسب إلى مؤسسه الإمام مالك بن أنس الأصبحي الذي ولد في المدينة سنة ٩٣هـ/٧١٠م وتوفي سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م وهو امام دار الهجرة[2].

كان مالك إمام أهل الحجاز وهم أهل الحديث فلم يكن ميالاً إلى الرأي لكنه أضاف إلى الحديث (مبدأ الإجماع) ويقصد به أعمال أهل المدينة باعتبارهم اتّبعوا نهج الصحابة والتابعين .

أخذ مالك العلم عن عبد الرحمن بن هرمز ونافع مولى عبد الله بن عمر وعن ابن شهاب الزهري وربيعة بن عبد الرحمن المعروف بربيعة الرأي[3]، ويعتمد مذهبه على القرآن والسنّة والإجماع والقياس ومن تلاميذه عبد الرحمن بن القاسم المصري (ت ١٩١هـ/٨٠٧م) الذي نظر في المدونة وصححها وهي أول كتب المالكية .

---

(١) محمد الزحيلي : مرجع العلوم الإسلامية ، ص٣٦٥ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٥ ص٤٥ ، ابن النديم : الفهرست ، ص٢٩٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٤ ص١٣٥ ، ١٣٧ ، ابن خلدون : العبر ، ج١ ص٤٤٧-٤٤٨ ، السيوطي : طبقات الحفاظ ، ص٩٦ .

(٣) انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٤ ص١٣٥ ، محمد الزحيلي : مرجع العلوم الإسلامية ، ص٣٦٧ .

كان الإمام مالك يأتي المسجد ويشهد الصلوات والجمعة والجنـــائز ويعــود المرضى ، ذاع صيته في جميع الأقطار فارتحل إليه الناس من كل صوب وكــانوا يتزاحمون على بابه[1]، فمكث يفتي الناس ويعلّمهم نحواً من سبعين سنة ، وكـــان إذا أراد أن يخرج للحديث اغتسل ولبس أحسن ثيابه وتطيب .

أهم كتبه على المذهب المالكي هي كتاب (الموطأ) الــذي جمــع فيــه بيــن الحديث والآثار وآرائه وكتاب (المدونة) وهي تشتمل على آراء مـــالك الفقهيـــة ، ورواها سحنون[2] عن عبد الرحمن بن القاسم المصري فجمعـــها ودوّنــها، فقــد انتشر مذهب الإمام مالك في السودان وشمال أفريقيا والمغرب والأندلس والخليــج العربي، ولكنه قليل الانتشار في بلاد الشام.

٣- المذهب الشافعي :

وينسب إلى مؤسسه الإمام محمد بن إدريس الشافعي المطلبي، ويلتقــي مــع رسول الله ﷺ في عبد مناف، ولد في مدينة غزة بالشام ســنة ١٥٠هـــ/٧٦٧م وتوفي سنة ٢٠٤هـ/٨٢٠م[3].

نشا الإمام بمكة وأخذ الفقه وعلوم القرآن عن علمائها خاصة مسلم بن خـــالد الزنجي مفتي مكة وتفقه عليه حتى أُذن له بالإفتاء وهو ابن خمس عشـــرة ســنة. تنقل الشافعي في البلاد الإسلامية فسافر إلى المدينة ولازم الإمام مالك حتى وفاتــه وسمع منه الموطأ، ثم سافر إلى اليمن ليعمل فيها فاتّــهم ســنة ١٨٤هـــ/٨٠٠م بالتشيع ومبايعة أحد أئمة الزيدية فتوجه إلى العراق وثبتت براءته فأقبل على فقهاء

---

[1] ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٤ ص١٣٦ .

[2] هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي أحد فقهاء المالكية المتوفى سنة ٢٤٠هـ/٨٥٥م ، (انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٣ ص١٨٠-١٨٢) .

[3] ابن النديم : الفهرست ، ص٢٠٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٤ ص١٦٣-١٦٩ ، ابن الجزري : طبقات القرّاء ، ج٢ ص٩٥ ، السيوطي : طبقات الحفاظ ، ص١٥٧-١٥٨ .

العراق يأخذ عنهم العلم وصنّف أول كتاب في أصول الفقه وهو كتاب (الرسالة)[1].

اتبع طريقة الإمام مالك في الأخذ بالحديث ، إلاّ أنه تحوّل بعد رحيله إلى العراق واتصاله بأصحاب أبي حنيفة فمزج بين الطريقتين واختصّ بمذهب وسط بينهما ، وخالف الإمام مالك في بعض المسائل[2]، وكان يراعي الظروف والأحوال التي يعيشها الناس .

اعتمد الشافعي في مذهبه على الأصول الأربعة وهي القرآن والسنّة والإجماع والقياس ، كما أخذ بالاستصحاب ، وله من الكتب (الرسالة) و (الأم) وكتاب (المبسوط) في الفقه[3].

ومن تلاميذ الشافعي إسماعيل بن يحيى المزني (ت ٢٦٤هـ/٨٧٩م) ويوسف بن يحيى البويطي (ت ٢٣١هـ/٨٤٦م) والربيع المرادي (ت ٢٧٠هـ/٨٨٥م) وكان مؤذناً في الجامع العتيق بالفسطاط ، وانتشر مذهبه في مصر وأندونيسيا وفلسطين وعدن وحضرموت والباكستان والسعودية ، وسار على مذهبه عدد قليل من أهل العراق .

---

(1) انظر محمد شلبي : التعريف بالفقه ، ص١٩٢-١٩٩ ؛ محمد الزحيلي : مرجع العلوم الإسلامية ، ص٣٦٨ ، محمد السايس : تاريخ الفقه ، ص١١٨ .

(2) ابن خلدون : العبر ، ج١ ص٤٤٨ .

(3) ابن النديم : الفهرست ، ص٢٩٥ ، ابن خلدون : العبر ، ج١ ص٤٤٧-٤٤٨ .

٤- المذهب الحنبلي :

ينسب إلى الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني ، ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ/٧٨١م وتوفي سنة ٢٤١هـ/٨٥٦م[١]، نشأ ببغداد فحفظ القرآن وتعلم العربية ورحل في طلب العلم إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة والشام واليمن .

روى عن إبراهيم بن سعد وسفيان بن عيينة ، وتفقه على الإمام الشافعي عند قدومه إلى بغداد ، ثم أصبح مجتهداً مستقلاً اهتم بجمع السنّة وحفظها حتى صار إمام المحدثين في عصره ، قال عنه الشافعي : (خرجت من بغداد فما خلفت فيها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أفقه من أحمد بن حنبل)[٢]، وله كتاب في الحديث هو (مسند الإمام أحمد) .

امتحن ابن حنبل في مسألة خلق القرآن أيام الخليفة العباسي المأمون ، ثم المعتصم والواثق ، وتعرّض للأذى فجلدوه وحبسوه لكنه لم يغيّر رأيه[٣].

لم يصنف ابن حنبل كتباً في الفقه وإنما أخذ أصحابه مذهبه من أقواله وأفعاله وأجوبته ، وكان يعتمد على الاجتهاد والاستنباط من القرآن الكريم والسنّة والإجماع وفتوى الصحابي والقياس والاستصحاب، ومن تلاميذه: ابنيه صالح وعبد الله ، وأحمد بن محمد بن هاني (ت ٢٧٣هـ/٨٨٧م) ، وإبراهيم بن إسحاق الحربي (ت ٢٨٥هـ/٨٩٩م) ، وانتشر مذهبه في نجد والحجاز والبحرين والشام.

---

[١] ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج١ ص٦٣-٦٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١ ص٣٢٤ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٢ ص٣٠٤-٣٠٥ ، السيوطي : طبقات الحفاظ ، ص١٨٩-١٩١ .

[٢] ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج١ ص٦٤ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٢ ص٣٠٥ .

[٣] ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج١ ص٦٤ ، محمد شلبي : التعريف بالفقه الإسلامي ، ص٢٠١ ، شعبان إسماعيل : التشريع الإسلامي ، ص٣٤٢-٣٤٣ .

الفصل الرابع

المذاهب الكلامية في الدولة العربية الاسلامية

أ-علـــم الكـــلام .

ب-المـعتزلـــــة .

ج-مسألة خلق القرآن .

د-مذهـــب الجبـــر .

هـ-مذهب الاختيـار .

و-المرجئـــــة .

ز-الأشـــاعــرة .

علـــم الكـــــلام

يقول ابن خلدون بأن علم الكلام هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعين والمنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنّة ، وسرّ هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد[1] .

وأورد عضد الدين الايجي (ت ٧٥٦هـ/١٣٥٣م) أن الكلام علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبهة . ورأى بعض العلماء أن علم الكلام يساعد على نصرة الآراء الدينية الواردة في القرآن الكريم والسنّة الشريفة بالعقل ، ومن خلاله يستطيع المسلم إثبات العقائد الإيمانية إثباتاً صحيحاً ، وموضوع علم الكلام هو الذات الإلهية : صفاتها وأفعالها وعلاقتها بالكون والإنسان[2] .

ورفض بعض علماء المسلمين الكلام وهاجموا المتكلمين كالشافعي ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري وغيرهم واعتبروا المتكلمين في المرتبة الثانية بعد المشركين قال الشافعي : (لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفرّوا منه فرارهم من الأسد) ، واعتبرهم أحمد بن حنبل من الزنادقة .

أما المؤيدون لعلم الكلام والمدافعون عنه فيذهبون إلى أنه إحدى الوسائل التي يدافع بها الإنسان عن دين الله ، وأحد البراهين القوية على بعثة الرسل ووسيلة للبرهنة على حدوث العالم وإثبات القدرة الإلهية والثواب والعقاب والجنة والنار وغيرها[3].

ويطلق على علم الكلام اسم (علم التوحيد) لأن أهم مسائله هو التوحيد الإلهي وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن كلّ ما سواه ، وعلاقة الله بالعالم وعلاقة الصفات

---

(1) ابن خلدون : العبر ، ج١ ص٤٥٨ .

(2) فيصل بدير عون : علم الكلام ومدارسه ، مكتبة الحرية الحديثة ، القاهرة ١٩٨٢م ، ص٤٨ .

(3) ن . م ، ص٥١-٥٢ .

الإلهية بذات الله ، ويطلق عليه أيضاً اسم (علم أصـــول الديــن) لأن موضوعــه الأصول الدينية .

وترجع تسمية هذا العلم (بعلم الكلام) إلى الأمور التالية[1] :-

١- أنه أخذ اسمه من كلام الإنسان لأن علماءه كانوا يتجادلون على أساس المنطق ويستعملون الاقيسة والأدلة في جدالهم ، ويرجع ذلك إلى الكلام الإنساني.

٢- انه تمحور حول كلام الله سبحانه وتعالى ، وحول علاقة ذات الله عــز وجل بصفات من بينها صفة الكلام لله ، وهل كلام الله حديث أم قديــم وهي أهم المسائل التي وقع فيها الخلاف بين المسلمين في وقت مبكــر ، فقال أهل السنة والاشاعرة بقدم الكلام الإلهي ، بينما جهرت المعتزلــة بحداثة كلام الله وأنه مخلوق[2] .

٣- رأى بعضهم أنه سمي بذلك لأنّ الحديث في علم أصول الديــن يتمــيز بطريقة الجواب الكلامي ، أي أن عمدته الكلام والحديــث ، ومســائل أصول الدين قضيتان هما: قضية الإيمان ، وقضية القضاء والقدر .

٤- وذهب فريق آخر إلى أنه سمي كذلك لأن علم الكلام يعتمد على الإطــار الفكري النظري فقط ، فهو يستخدم الكلام .

وتعتبر مدينة البصرة مهداً للمذاهب الاعتقاديــة منــذ نهايــة القــرن الأول الهجري حيث نشأ علم الكلام والفلسفة الإسلامية ، ففي البصرة نشــأت القدريــة والمعتزلة والمرجئة والأشعرية ، حيث انشغل قسم كبير من الناس بعلــم الكــلام

---

[1] انظر عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٣م ، ص٢٠٣-٢٠٤ ، فيصل عون : علم الكلام ، ص٥٣-٥٤ ، حنّا الفاخوري وخليل الجر : تاريخ الفلسفة العربية ، دار الجيل ، بيروت ١٩٨٢م ، ص١٧٠ .

[2] عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي ، ص٢٠٤ ، محمد أمين فرشوخ : المدخل إلى علوم القرآن ، ص١٧٥ .

ومناقشة آرائه والرد على المخالفين ، فكانت تعقد لذلك الحلقات والمجالس والمناظرات بين مؤيد ومعارض[1].

وتوجد مجموعة من العوامل أدت إلى نشوء وتطور علم الكلام منها :-

١- الظروف الداخلية والمحلية للمجتمع الإسلامي ؛ خاصة بعد قيام الفتن بين الجماعات الإسلامية وانقسام المجتمع الإسلامي إلى فرق ومذاهب مختلفة ، فالخوارج الذين فارقوا علي بن أبي طالب وتشددوا في القياس بظاهر القواعد والأحكام ، واجتمع بهم علي فجادلهم ولكنهم لم يقتنعوا ، والشيعة والمعتزلة وغيرهم وكل له رأيه وأفكاره .

٢- العقل الإنساني الذي وجد نفسه أمام أسئلة كثيرة منها : ما هو أصل العالم وما علّته ؟ هل الإنسان مسيّر أم مخيّر ؟ ما هي النفس وما هي الروح وما علاقتهما بالبدن ؟ ما حقيقة البعث ؟ هل بالجسم أم بالنفس أم بهما معاً؟...الخ وإلى ما هنالك من أسئلة ميتافيزيقية . فكل هذا كان يدفع العقل البشري إلى النظر والبحث والتأمل سواءً في الكون أو في النص الديني الذي تحدث عن الكون .

وأشار القرآن الكريم إلى بعض هذه الأسئلة التي كان العرب يسألون عنها ، قال تعالى : (﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبْدَ لكم تَسوُءكُمْ﴾)[2]، وقال: (﴿ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كُلّ أولئك كان عنه مسؤولا﴾)[3].

فيذكر المفسرون أن نفراً من العرب المشركين ومن اليهود كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الله سبحانه وتعالى ، فقال له بعضهم : من هذا الذي تدعو إليه

---

(١) حول هذا انظر أمين القضاة : مدرسة الحديث في البصرة ، ص٧٧-٧٨ .

(٢) سورة المائدة : الآية ١٠١ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ٣٦ .

ياقوت هو أم ذهب أم ماذا ؟[1] ، وذكر الزمخشري أن أربَد بن ربيعة العامري شقيق لبيد بن ربيعة الشاعر المشهور وفد على رسول الله ﷺ مع عامر بن الطفيل وحدّثهما عليه الصلاة والسلام عن البعث وقدرة الله سبحانه وتعالى ، فسأله أربَد : أخبرنا عن ربّنا أمِنْ نحاس هو أم من حديد[2].

٣- التفكير السياسي : فبعد وفاة الرسول ﷺ سنة ١١هـ/٦٣٢م اختلف المسلمون فيمن يجب أن يتولى الخلافة بالانتخاب أم بالوراثة أم بالتعيين ، وسلك المسلمون مسالك مختلفة ، فتمّ اختيار أبي بكر الصديق للخلافة بالشورى والانتخاب ، وبعده عمر بن الخطاب بالانتخاب ، وعثمان بن عفان بالشورى ، وعلي بن أبي طالب بالإجماع ، ومعاوية بن أبي سفيان بقوّة السيف والحرب ، ثم أصبحت الخلافة وراثية بعد ذلك .

أما نظرياً فاختلف المسلمون على منصب الخلافة ، فأهل السنة اعتبروه منصباً دنيوياً لا بد منه لإقامة أمور الدين والدنيا ، ويتم انتخاب الخليفة من قبل أهل الحل والعقد من المسلمين وعندها تجب عليهم طاعته[3].

وقال الشيعة بأن الخلافة منصب ديني ويكون بالنص والتعيين في علي بن أبي طالب وأبنائه من فاطمة الزهراء ، لهذا اعتبروا الخلفاء من آل علي معصومين ولا تجوز عليهم المعصية وإن ظهرت منهم .

أما الخوارج فاعتبروه منصباً دنيوياً هدفه إقامة الأحكام ، فإذا اتفق المسلمون على إقامة الأحكام لم يبق حاجة إلى تنصيب الخليفة .

٤- العامل الخارجي أو الأجنبي : فالمسلمون وجدوا أمامهم تيارات متباينة ومذاهب مختلفة عن الروح الإسلامية بعضها ديني وبعضها الآخر غير .

---

[1] الطبري : جامع البيان عن تفسير القرآن ، ج١٣ ص٧٣-٧٤ .

[2] انظر الزمخشري : الكشاف ، المطبعة البهية ، القاهرة ١٣٤٣هـ ، ج١ ص٤٩١ .

[3] الماوردي : أحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٥م ، ص٥-٨ .

ديني ، وهذه التيارات أثارت مناقشات وقدّمت حلولاً لبعض المشـــاكل التي واجهها المسلمون ، فظهر فكر يحاول تفسير الكون والعالم .

وبعد الفتح العربي الإسلامي في بلاد الشام والعراق وفارس ومصر دخلــت في الإسلام أعداد كبيرة من اليهود والنصارى والمجوس، ولم يكن مـــن الســهل عليهم التخلص من كل ما ارتبطوا به من أفكار ومبادئ وعقليـــة ســابقة ، لذلــك راودت الكثير منهم آراؤهم السابقة وكانوا يسألون ويستفسرون متأثرين بمبادئـــهم السابقة بعضهم من أجل تحقيق الراحة والطمأنينة، وبعضهم لغايـــات خاصـــة أو بقصد البلبلة والإضرار بالمسلمين خاصة من أصحاب الأهواء والمصالح ، فساعد ذلك في نشوء علم الكلام . وسنتحدث عن بعض الفرق الكلامية وهـــي المعتزلـــة والقدرية والمرجئة والأشعرية .

المعتـــــــزلــــــة

المعتزلة لغة من الاعتزال ، واعتزل الشيء وتعزّله بمعنى تنحّى عنه ، أما المعتزلة اصطلاحاً، فيطلق على أول مدرسة كلامية واسعة ظهرت في الإسلام ، ونشأت في البصرة في أواخر القرن الأول الهجري ، ونشطت في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، وشكل رجالها فرقة دينية لها أفكارها ومبادئها.

سميت بهذا الاسم لاعتزال مؤسسها واصل بن عطاء مجلس أستاذه الحسن البصري ، أو لاعتزالها قول الأمة في دعواها أن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر ، وحدث أن دخل رجل إلى مجلس الحسن يسأله عن رأيه في مرتكب الكبيرة، وبادر واصل بن عطاء قبل أن يرد أستاذه وأدلى برأيه قائلاً : إن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر ولكنه في منزلة بين المنزلتين ، ثم قام واعتزل مجلس أستاذه إلى زاوية أو إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد ، وانضم إليه فيما بعد عمرو بن عبيد(١)، فقال الحسن : اعتزل عنّا واصل فسمي وأتباعه المعتزلة .

وهناك من رأى أن المعتزلة سميّت من الصفة التي لازمت رجالها من التقى والتقشف والبُعد عن ملاذ الدنيا ومفاتنها ، فهم بذلك معتزلون للدنيا زاهدون فيها(٢). وهناك من رأى أن الاعتزال اسم أطلق على من اعتزل الفتن التي حدثت بين المسلمين ولم يشترك في حرب الجمل وصفين لأنهم لم يستبينوا أي الفريقين كان صاحب حق وأيهما كان الباغي .

---

(١) انظر ما أورده الرازي في كتابه : الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ، تحقيق عبد الله سلوم السامرائي ، دار واسط للنشر ، ص٢٧٤ ، الشهرستاني : الملل والنحل ، ج١ ص٦٠ .

(٢) فيصل عون : علم الكلام ومدارسه ص١٩٤ ، مصطفى الشكعة : إسلام بلا مذاهب ص٣٦٢ .

وهناك من قال أنها سميت المعتزلة لأن أهلها اعتزلوا البدع والأقوال المحدثة وكل من يخالف الدين الحقيقي[1]، ولقب المعتزلة أنفسهم بأصحاب العدل والتوحيد[2] وأهل الحق لاعتقادهم أن ما يقولون هو الحق ، وأنهم يتبعون الحق دون غيرهم .

بدأ ظهور المعتزلة في خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٣م) حيث توقفت حركة الفتح والامتداد الإسلامي، وأخذ المسلمون بالاستقرار في الأمصار والانصراف إلى قراءة علوم الدين ودراسته، ولما دخلت في الإسلام عناصر كثيرة جداً من غير العرب خلال حركات الفتح وكانت رواسب مبادئها وأفكارها القديمة لا تزال عالقة بها فقد أسهمت في ظهور الانقسامات السياسية والاضطرابات وبالتالي فتح الباب لنشاط الفرق الإسلامية .

واتفقت المعتزلة على خمسة أصول تميزت بها على غيرها من الفرق الأخرى هي التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم الوعد والوعيد، وفيما يلي بيان موجز لكل أصل :

١- **التوحيد** : فهم يقولون بأن الله واحد في ذاته لا شريك له ، ولا شريك له في القدم ، ولا شريك له في خلق هذا العالم وتكوينه ، وحاربوا كل ما يحمل على التشبيه أو اعتبار صفات في الله ، فالله سبحانه وتعالى واحد ليس كمثله شيء وليس بجسم ولا شخص ولا يوصف بصفات الأشخاص الدالة عليهم وليس

---

(1) ابن المرتضى : فرق وطبقات المعتزلة (كتاب المنية والأمل) تحقيق علي سامي النشار وعصام الدين محمد علي ، دار المطبوعات الجامعية ١٩٧٢م ، ص١ ، البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص١١٩ .

(2) الرازي : كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية ، ص٢٧٤ ، الشهرستاني : الملل والنحل ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ١٩٩٤م ، ج١ ص٣٥ .

بمحدود ولا والد ولا مولود ولا تدركه الحواس ، فهو عالم قادر حي لا كالعلماء القادرين الأحياء ، وأنه القديم وحده ولا قديم غيره[1].

وخاض المعتزلة معارك كلامية ضد القائلين بأكثر من إله والقائلين بالجسمية أو الحلول أو الاتحاد ، ولذلك أولوا الآيات القرآنية التي يوحي ظاهرها بالتجسيم مثل قوله تعالى : (﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾)[2] فاليد بمعنى القوة ، وقوله تعالى: (﴿ولتصنع على عيني ﴾)[3] أي بعلمي ونفوا أن يكون لله تعالى صفات أزلية من علم وقدرة وسمع وبصر وحياة ، واعتبروا وجود صفات قديمة إنما هو قول بالتعدد فحاربوا الثنوية من الفرس القائلين بنظريتي النور والظلمة ، وحملوا على المشبهة الذين ذهبوا إلى تجسيد الذات الإلهية .

٢- **العدل** : أي أن الله سبحانه وتعالى عادل لا يظلم أحداً من عباده ، والإنسان حرّ مختار ومسؤول عن أفعاله هو الذي يختارها ، ويحاسبه الله على هذه الأفعال ، فالله سبحانه وتعالى لا يتدخل في أفعال العباد ولا يخلقها ، ولا يلزمهم بأمر لأنه لا يجوز أن يفرض عليهم عملاً ، ثم يحاسبهم عليه ، وإنما يحاسبهم على ما فعلوه بإرادتهم وحرية اختيارهم ، وذلك مصداقاً لما ورد في القرآن الكريم بقوله تعالى : (﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلاّم للعبيد ﴾)[4] ، وقوله تعالى : (﴿كل نفس بما كسبت رهينة ﴾)[5].

٣- **الوعد والوعيد** : وهذا مرتبط بالعدل، لأن عدل الله سبحانه وتعالى اقتضى أن ينجز وعده ووعيده؛ وعده بالثواب والجنة لمن عمل صالحاً وأطاع

---

[1] حول هذا الموضوع انظر الأشعري : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، فرانز شتاينر ، ١٩٨٠م ، ص١٥٥-١٦٠ ، الشهرستاني : الملل والنحل ، ج١ ص٥٥ ، مصطفى الشكعة : إسلام بلا مذاهب ، ص٣٦٤، فيصل عون : علم الكلام ومدارسه ، ص٢٠٠-٢٠٥ .

[2] سورة الفتح : الآية ١٠ .

[3] سورة طـه : الآية ٣٩ .

[4] سورة فصّلت : الآية ٤٦.

[5] سورة المدثّر : الآية ٢٨ .

الله ، ووعيده بالعقاب والنار لمن عصى وحاد عن طريق الحق ، فوعد الله ووعيده أمران نافذان .

وبما أن الشفاعة يوم القيامة تتعارض مع إنجاز الوعيد وتحول دون أن يتم عقابُ من توعدهم بذلك وهو الله سبحانه وتعالى، فإن المعتزلة أنكرت ذلك وتأولت الآيات الواردة في ثبوتها، وتمسكوا فيما ورد مما يدل على نفيها[1]، وردّوا على المرجئة الذين قالوا: (لا تضر مع الإيمان معصية ولا تنفع مع الكفر طاعة).

٤- **المنزلة بين المنزلتين:** وهو الأصل الذي بدأت عنده المعتزلة، فقد أشار أصحاب هذا الاتجاه أن مرتكب الكبيرة من المسلمين لا مؤمن تام الإيمان ولا كافر خارج عن الدين ولكنه في منزلة بين المنزلتين ، ويطلقون عليه اسم (الفاسق) ، وهذا موقف وسط بين الخوارج الذين كفّروا صاحب الكبيرة وبين المرجئة الذين اعتبروا صاحب الكبيرة مؤمناً . وربما كان أصحاب هذا الرأي متأثرين بأرسطو الذي تحدث عن الفضيلة وجعلها وسطاً بين طرفين[2]، ويرى واصل بن عطاء أن مرتكب الكبيرة إذا خرج من الدنيا من غير توبة فهو من أهل النار خالداً فيها إلا أنه يخفف عنه العذاب[3].

٥- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :** وهذا ليس أصلاً عقائدياً ولكنه تكليف التزم به المعتزلة لأن الزندقة كانت قد انتشرت وتفشت أخطارها ، ورأت أن هذا الوضع يحتّم على المسلمين – وبهدف الحفاظ على العقيدة – أن يسارعوا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمحاربة الفسّاق والزنادقة، واستعانوا بالخلفاء لتحقيق ذلك ، واستغلوا سلطانهم لنشر مذهبهم بوسائل متعددة شابتها القسوة والقتل في بعض الأحيان .

---

(1) ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، القاهرة ١٣١٧هـ ، ج٤ ص٦٣ ، عبد الحكيم بلبع : أدب المعتزلة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٧٩م ، ص١٣٦ .

(2) حنّا الفاخوري وخليل الجر : تاريخ الفلسفة العربية ، ص١٥١ .

(3) مصطفى الشكعة : إسلام بلا مذاهب ، ص٣٦٦ .

لقد اتفق المعتزلة على هذه الأصول الخمسة ، إلا أنهم عند تطبيق هذه الأصول كانوا يختلفون حول الفروع ، فتطورت وتفرعت عنها أقسام وفرق مختلفة منها[1]:

١- **الهذيليّة** : وأنشأها أبو الهذيل العلاّف[2] (١٣٥-٢٣٥هـ/٧٥٦-٨٤٩م)

٢- **النظّاميّة** : وهم أتباع إبراهيم بن يسار النظّام[3] (١٦٠-٢٣١هـ/٧٧٥-٨٤٦م) .

٣- **الجاحظيّة**[4] : وهم أتباع أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٩-٢٥٦هـ/٧٧٥-٨٧٢م) .

٤- **الجُبَّائية** : وهم أتباع أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجُبَّائي من أهل البصرة[5] (٢٣٥-٣٠٣هـ/٨٤٩-٩١٧م) .

---

[1] الظر الاسفراييني : التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين ، تحقيق محمد الكوثري ، القاهرة ١٩٥٥م ، ص١٥ .

[2] الشهرستاني : الملل والنحل ، ج١ ص٣٩ .

[3] ن . م ، ج١ ، ص٤١ .

[4] ن . م ، ج١ ، ص٥٤-٥٥ .

[5] ن . م ، ج١ ، ص٥٦ .

مسألة خلق القرآن

يرى أتباع حركة الاعتزال أن الاعتقاد بقدم القرآن الكريم شرك بالله لأنهم يرون أن القديم هو الله وأنه لا يجوز أن يشاركه في هذه الصفة أحد ، فالقول أن كلام الله أزليٌّ ينافي التوحيد الذي دافعوا عنه واعتبروه قضيتهم .

وظهرت مسألة خلق القرآن الكريم(1) بدمشق في أواخر العصر الأموي على يد الجعد بن درهم مؤدب مروان بن محمد حيث طرده بنو أمية فتوجه إلى الكوفة واجتمع مع الجعد بن أعصم بن طالوت اليهودي ، ونشأت هذه المسألة من التعطيل ، وهو عدم جواز وصف الله سبحانه وتعالى بما يوصف به البشر .

والقرآن مخلوق حادثٌ وليس قديماً لأنه لو كان قديماً فإن فيه إثبات لوجود قديمين وهذا إشراك مع الله تعالى .

ولم يتقبل بنو أمية هذا الكلام فأرسل هشام بن عبد الملك إلى خالد بن عبد الله القسري واليه على العراق يأمره بالقبض على الجعد وقتله ، فقبض عليه وقتله يوم العيد ، ثم قتل تلميذه الجهم بن صفوان سنة ١٢٨هـ/٧٤٨م وهدأت المشكلة .

ثم برزت المسألة من جديد في عهد هارون الرشيد على يد بشر بن غياث المرسي(2)، فهدّده الرشيد بالقتل لذلك اختفى عشرين سنة ، وكان بشر هذا تلميذاً لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم تلميذ أبي حنيفة ، فغضب عليه شيخهُ لهذا القول وطرده من مجلسه .

وعادت هذه المسألة للظهور من جديد في خلافة المأمون العباسي الذي تأثر بالمعتزلة وقرّبهم إليه لأنه كان تلميذاً لأبي الهذيل العلاّف أحد رؤسائهم ، وتبنى

---

(1) انظر الأشعري : مقالات الإسلاميين ، ص١٩٢-١٩٥ .

(2) البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص١٥٣ ، عبد الله الأمين : دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة دار الحقيقة ، بيروت ١٩٩١م ، ص٣٢٥-٣٢٦ .

المأمون هذه المسألة ، وكان ذا ثقافة عالية حرّ التفكير ويحب الفلسفة ، وكان الاعتزال أقرب المذاهب إلى نفسه فاعتنقه .

واختمر في ذهن المأمون أن يحمل الناس على القول بخلق القرآن[1] الكريم وكان قاضي القضاة عنده أحمد بن أبي داؤد المعتزلي الذي أقنعه بذلك عام ٢١٨هـ/٨٣٣م ، فأرسل إلى والي بغداد -وكان هو بالرقة- كتاباً مطولاً وأوعز إليه أن يجمع العلماء ويمتحنهم برأيهم في خلق القرآن ، وقال بأنه لا يثق إلا بمن خلص توحيده ، ولا يقبل شهادة من لم يُقرّ بأن القرآن محدث ومخلوق ، ثم طلب المأمون إحضار كثير من العلماء والفقهاء والمحدثين ليقرّوا بأن القرآن مخلوق ، فحضروا وأقرّ أكثرهم خجلاً من المأمون ولجأ بعضهم إلى الحيلة والمراوغة في القول هرباً من الأذى .

ولحق الأذى ببعض العلماء ومنهم الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح فقد امتنعا عن الإقرار بذلك لهذا رُبطا بالحديد وتم إرسالهما إلى طرطوس حيث كان الخليفة ، إلا أن المأمون مات قبل وصولهما ، وكان أوصى قبل موته لأخيه المعتصم أن يسير على نهجه في مسألة خلق القرآن ، فقتل بعض العلماء ، وضرب أحمد بن حنبل فأصرّ على الامتناع[2]، واستمر العمل بهذه السياسة في خلافة المعتصم وابنه الواثق .

وأقفلت مسألة خلق القرآن الكريم في خلافة المتوكل ، ففكّ قيود المعتقلين بهذه القضية ، وأعلن نهاية القول بخلق القرآن وذلك سنة ٢٣٤هـ/٨٤٩م[3].

---

[1] الطبري : الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٦٣١-٦٤٥ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٥ ص٢٢٢-٢٢٦ .

[2] انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج١ ص٦٤ .

[3] أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٢ ص٢٧٥ .

مــذهــب الجــبـــر

الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الله تعالى ، فأصحاب هذا المذهب يرون أن العبد لا يوصف بالاستطاعة وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار ، وإنما يخلق الله سبحانه وتعالى الأفعال على حسب ما يخلق في سائر الجمادات ، وتنسب إليه الأفعال مجازاً كما تنسب إلى الجمادات فيقال أثمرت الشجرة وجرى الماء وطلعت الشمس ، والثواب والعقاب جبر كما أن الأفعال كلها جبر والتكليف عندهم جبر(1)، ومعنى إضافة الفعل إلى الإنسان إنما هو كقولك مات زيد وإنما أماته الله تعالى ، وقام البناء وإنما أقامه الله تعالى(2).

وسمي المذهب أيضاً بمذهب القدر لأن أصحابه يقولون بأن الإنسان بين يدي القدر كالريشة في الهواء . ويقال أن أول من قال بذلك بعض اليهود وعلموه لبعض المسلمين ، ويقال أن أول من دعا إليه الجعد بن درهم .

ظهر مذهب الجبر في عهد بني أمية ، وبدأ مذهباً سياسياً ليبرر القائلون به أعمال الناس خلال الفتنة ، ويسند هذا المذهب إلى رجلين هما :

١- الجعد بن درهم .

٢- الجهم بن صفوان .

---

(1) انظر الشهرستاني : الملل والنحل ، ص٦١،٦٢ ، محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، ج١ ص١٠٤، خليل داوود الزرو : الحياة العلمية في الشام في القرنين الاول والثاني للهجرة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٧١م، ص١٤٦ .

(2) انظر الأشعري : مقالات الإسلاميين ، ج١ ص٣١٢، البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص٢١١ .

الجعد بن درهم :

هو مولى لبني الحكم كان يسكن مدينة دمشق ، نشأ في بيئة كانت محلاً لجدل كلامي وموطناً للنصارى ، وكان الجعد مربياً لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية الذي كان يلقب بمروان الجعدي ، وعندما تطرف الجعد وأظهر آراءه بدمشق طرده بنو أمية فهرب إلى الكوفة حيث اجتمع فيها بالجهم بن صفوان فتعلم منه الجهم كثيراً من الآراء حيث أخذ ينشرها ويدافع عنها(١)، وفي العراق قبض عليه خالد بن عبد الله القسري وقتله يوم عيد النحر(٢). ومن الآراء التي دعى إليها الجعد بن درهم(٣):

١- القول بخلق القرآن .

٢- القول بالتعطيل .

٣- القول بالقدر .

- خلق القرآن : وجعد هو أول من قال بذلك ومعناه أن القرآن مخلوق لله وإذا كان مخلوقاً فهو حادث، وإذا كان مخلوقاً لا يكون كلام الله ، ومنشأ هذا القول هو التعطيل .

- **التعطيل** : فالجبرية يقولون بأنه لا يصح – أن يوصف الله سبحانه وتعالى بصفات يتصف بها البشر كالكلام ، فلا يقال (الله متكلم) فيتعطل بذلك معنى قوله تعالى : (﴿وكلم الله موسى تكليما﴾)(٤)، وقوله : (﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾)(٥).

---

(١) محمد حمزة : التآلف بين الفرق ، ص١٧٠ .

(٢) خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص١٤٧ ، ١٥٠ .

(٣) عبد الله الأمين : دراسات في الفرق والمذاهب ، ص ٣٠٦ .

(٤) سورة النساء : الآية ١٦٤.

(٥) سورة النساء : الآية ١٢٥ .

- **القدر** : وهو الجبر أي أن الإنسان مجبور وأنه كالريشة المعلقة في الهواء وأن الأفعال تنسب إليه مجازاً كما ينسب إلى الشمس ضوؤها ، ومصدر هذه الآراء هم أصحاب الديانات الأخرى في الأمم الدخيلة على الإسلام والمسلمين .

الجهم بن صفوان :

هو أبو محرز جهم بن صفوان الراسبي تلميذ الجعد بن درهم الذي ابتدع القول بخلق القرآن الكريم[1]، أصله من سمرقند وكان مولى لبني راسب من الأزد، خرج على الدولة الأموية مع الخارجين عليها فلاحقه بنو أمية ، وقبض عليه مسلم بن أحوز المازني سنة ١٢٨هـ/ ٧٤٦م وقتله[2].

قال الجهم بمذهب الجبر والاضطرار إلى العمل وأنكر الاستطاعات كلها ، وتضمنت آراؤه[3]:

١- أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان .

٢- أن الإيمان هو معرفة الله تعالى فقط ، والكفر الجهل به فقط .

٣- أنه لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى ، ونسبة الأعمال إلى المخلوقين على سبيل المجاز .

٤- أن علم الله تعالى حادث .

٥- الامتناع عن وصف الله تعالى بأنه شيء أوحي أو عالم أو مريد لأنها أوصاف يوصف بها البشر .

---

(1) البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ١٥٨ .

(2) محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ،ج١ ص١٠٦ ، محمد حمزة : التآلف بين الفرق ، ص١٦٧ ، عبد الله الأمين : دراسات في الفرق والمذاهب ، ص ٣٠١-٣٠٢ .

(3) الأشعري : مقالات الإسلاميين ، ص٢٧٩-٢٨٠ ، البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ١٥٨-١٥٩ ، عبد الله الأمين : دراسات في الفرق والمذاهب ص ٣٠٣-٣٠٤ .

٦- أن كلام الله تعالى حادث (مخلوق) .

٧- أوّلَ الصفات وأنكر أن يكون لله تعالى صفات غير ذاته أو ان يكون مرئياً في الآخرة ، وأنكر أنه يتكلم حقيقة[1].

وبنى الجهم مذهبه على ثلاث آيات من القرآن الكريم هي قوله تعالى : (﴿ليس كمثله شيء﴾) وقوله : (﴿وهو في السماوات والأرض ﴾) وقوله أيضاً : (﴿لا تدركه الأبصار﴾) ، وبهذا يكون الجهم نفى التشبيه عن الله سبحانه وتعالى وأفرط في ذلك ، وأثبت له صفتين هما : الفعل والخلق وقال بأنه لا يصح أن تتصف المخلوقات بهاتين الصفتين ، وإذا انتفى عن المخلوقات هاتان الصفتان فلا يكونون مختارين بل مجبورين في أفعالهم ، وهذا أساس قوله بالجبر[2].

---

[1] جمال الدين القاسمي : تاريخ الجهمية والمعتزلة ، ص ١٣ ، عبد الله الأمين : تاريخ الفرق والمذاهب ، ص ٣٠٣ .

[2] عبد الله الأمين : تاريخ الفرق والمذاهب ، ص ٣٠٤ ، محمد حمزة : التآلف بين الفرق ، ص ١٦٨-١٦٩ .

مذهب الاختيـــار

ظهر هذا المذهب في عهد بني أمية كردة فعل على مذهب الجبر ، ودعاتـه رجلان هما معبد الجهني وغيلان الدمشقي ، ويرى أتباعه أن الإنسان حرٌّ يختـار ما يريد من الأعمال[1]، فيقدم على هذا ويترك ذاك ولا سلطان لأحد على إرادته .

بدأ ظهور هذه الدعوة في العراق في مدينة البصرة ، فتكلـم فيـها رجـل نصراني أسلم ثم تنصّر وأخذ عنه معبد الجهني وغيلان الدمشقي ، فتبنـى الأول الدعوة للمذهب في العراق والآخر الترويج له ونشره في بلاد الشام .

فمعبد الجهني كان يعدّ من التابعين ويحضر مجلس الحسن البصري ، أخـذ مبدأ القدر ودعا إليه في العراق ، ثم اشترك في ثورة عبد الرحمن بـن الأشـعث ضد بني أمية مما أثارهم عليه ، فلما تمكن الأمويون من القضاء على الثورة قتلـوا أتباع ابن الأشعث وكان معبد الجهني بين من قتلهم الحجاج بن يوسف الثقفي[2].

غيلان الدمشقي :

هو غيلان بن مروان وقيل غيلان بن مسلم القبطي الدمشقي أو غيلان بـن يونس القدري الدمشقي[3]، كان أبوه مولى لعثمان بن عفّان رضي الله عنه ، ذكـر المؤرّخون أنه كان عالماً زاهداً تكلم بالقدر وتتلمذ على أيدي بعـض المشـبوهين كسوسن النصراني ومعبد الجهني والحارث بن سعيد الكذاب .

---

(1) انظر الشهرستاني : الملل والنحل ، ج١ ص٣٧ .

(2) الذهبي : ميزان الاعتدال ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ١٩٦٢م ، ج٣ ص١٨٣ ، محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، ج١ ص١١٢-١١٣ ، عرفات عبد الحميد : الفرق والعقائد الإسلامية ، ص٢٦٥ .

(3) ابن نباتة المصري : سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، مطبعة المدني ، القاهرة ١٩٦٤م ، ص٢٩٢ ، خليل الزرو : الحياة العلمية في دمشق ، ص١٣١ ، عرفات عبد الحميد : دراسات في الفرق ص٢٦٥ .

بدأ ظهور دعوة غيلان الدمشقي في خلافة عمر بن عبد العزيز ، فقد أخذ الدعوة عن معبد الجهني وأخذ يدافع عنها وينشرها بين أهل الشام ، فقال بالاختيار وأن الإنسان هو الذي يأتي الخير بإرادته وقدرته، فاستدعاه عمر بن عبد العزيز وناقشه فقطع حجته، لذلك أعلن تركها وفارقها في خلافة عمر ثم عاد إليها بعد وفاته[١].

قال غيلان بأن الإيمان هو بالقول والمعرفة ، فإذا حقق الإنسان الإيمان بالقول والمعرفة يكون غير مطالب بالعمل إلا على سبيل التراخي ، وأن التراخي في العمل لا يضر إيمانه لأنه تحقق في القول والمعرفة[٢].

واشتملت آراء غيلان الكلامية على الأمور التالية[٣]:-

١- القول بالاختيار وحرية الإنسان في أفعاله وأعماله .

٢- القول بخلق القرآن الكريم .

٣- نفي الصفات الثبوتية .

٤- الإيمان معرفة وقول والعمل ليس داخلاً فيه .

٥- أن الإمامة تصح في غير قريش ولكنها لا تثبت إلا بإجماع الأمة[٤].

ونتيجة نشاط غيلان في الدعوة لمذهب القدر أحسّ الخليفة هشام بن عبد الملك بخطورة دعوته فدعاه لمناقشة فقيه الشام الإمام الأوزاعي ، فكان عجزه عن محاجة الإمام سبباً في قتله ، ويقال بأن هشام صلبه على باب كيسان بدمشق ، وضعف أصحاب دعوته بعد موته .

---

(١) محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، ج١ ص١١٣-١١٤ .

(٢) محمد حمزة : التآلف بين الفرق الإسلامية ، ص١٧٤ .

(٣) البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص١٥٤ ، الشهرستاني : الملل والنحل ، ج١ ص١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، عبد الله الأمين : دراسات في الفرق والمذاهب ، ص٣١١ ، محمد حمزة ، التآلف بين الفرق الإسلامية ، ص١٧٤ .

(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ، ج١ ص١٠٣ .

المرجئة

المرجئة في الإرجاء وهو التأخير ، قال تعالى : (﴿قالوا أرجِه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين ﴾)[1]، أي أمهله وأخِّره .

وسميت المعتزلة بهذا الاسم لأن أتباعها كانوا يقولون بإرجاء الحكم على مرتكب الكبيرة أو تأخيره ليكون ذلك إلى الله تعالى يوم القيامة[2]، فجاء موقفهم وسطاً بين الخوارج الذين اعتبروه كافراً يجب قتله وبين الشيعة الذين اعتبروه مؤمناً ولكن يجب أن يقام عليه الحد .

وقيل سميت بهذا لأنهم يعتقدون أنه لا تضر مع الإيمان معصية ولا تنفع مع الكفر طاعة[3]، وأنّ الله أرجأ تعذيب أصحاب المعاصي أي أخّره عنهم .

ثم أطلق هذا الاسم على الفريق الذي امتنع عن الخوض في الحروب التي وقعت بين المسلمين ، ولم يشغلوا أنفسهم بالبحث عن الحق أو إلى جانب من كان فأرجؤوا الحكم إلى علاّم الغيوب .

نشأة المرجئة :

في أواخر عهد الخليفة عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنه ظهرت الفتنة التي راح ضحيّتها عثمان وجرّت على المسلمين الويلات والحروب والفتن ، فانحاز فريق إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وانحاز فريق آخر إلى معاوية بن أبي سفيان ، بينما وقف بعض الصحابة على الحياد وابتعدوا عن هذا النزاع ومن هؤلاء :-

---

[1] سورة الأعراف : الآية ١١١ .

[2] انظر الرازي : الزينة في الكلمات الإسلامية ، ص٢٦٣ ، وانظر الشهرستاني : الملل والنحل ، ج١ ص١٠١، عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي ، ص٢١٢ ، محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، ج١ ص١١٩ .

[3] الشهرستاني : الملل والنحل ، ج١ ص١٠١ ، محمد حمزة : التآلف بين الفرق ، ص١٦٣ .

١. سعد بن أبي وقاص .

٢. عبد الله بن عمر بن الخطاب .

٣. محمد بن سلمة .

٤. عمران بن الحصين .

٥. حسان بن ثابت وأبو بكرة وغيرهم .

وتمسك الصحابة الذين وقفوا على الحياد بالحديث الذي رواه أبو بكر والوارد عن المصطفى ﷺ بأنه : (ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي، فإذا وقعت فمن كان له إبل فليلحق بها ، ومن كانت له غنم فليلحق بها ، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه، قال رجل : يا رسول الله ومن لم تكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال ﷺ : يعمد إلى سيفه فيدقّ على حدّه بحجر ، ثم لينجُ إن استطاع النجاة)[1].

فكان هذا الفريق هو الذي امتنع عن دخول زوبعة المشاكل والفتن ولم يقبل الحكم على المشتركين فيها ، فتركوا أمرهم إلى الله تعالى .

وفي وسط هذا الاضطراب الفكري ظهرت فرقة المرجئة التي كانت لها آراؤها وأفكارها فكان ظهورها أثر عكسي لآراء كل من الخوارج والشيعة .

الإيمان والكفر عند المرجئة :

ترى فرقة المرجئة أن الإيمان هو المعرفة بالله سبحانه وتعالى ورسله وجميع ما جاء من عند الله فقط[2]، وهناك مجموعة من المرجئة تطرفت وغالت فزعمت أن الإيمان هو الاعتقاد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه وعبد الأوثان ولزم

---

(١) انظر البخاري : الجامع الصحيح ، ص٦٨٨ ، ١٣٥٣ ، محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، ج١ ص١٢٠ .

(٢) الأشعري : مقالات الإسلاميين ، ص١٣٢ .

اليهودية أو النصرانية في دار الإسلام وعبد الصليب وأعلن التثليث ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عز وجل[1]، فلا تضر مع الإيمان معصية حسب رأيهم . ومن المرجئة من كان يرى أن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان ، وأن التصديق بالقلب وحده لا يكفي بل لا بد منهما معاً[2].

وبذلك فإن المرجئة يجمعون على أن العمل ليس ركناً من أركان الإيمان ولا داخلاً في مفهومه ، وحجتهم في ذلك أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب ، والإيمان في اللغة هو التصديق ، أما العمل بالجوارح فلا يسمى تصديقاً[3].

أما خصوم المرجئة فيرون أن أركان الإيمان ثلاثة هي التصديق بالقلب والإقرار باللسان وعمل الطاعات ، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى : (﴿ وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيّمة ﴾)[4]، كما استدلوا على رأيهم بأن الإيمان لو كان التصديق بالقلب فقط لكان كثير من اليهود مؤمنين ، فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز:(﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن كان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾)[5]، مع أنه لا خلاف بين المسلمين في اعتبارهم كفاراً .

وينتج عن كل ما تقدم أن الإيمان عند المرجئة لا يزيد ولا ينقص ، وعند غير المرجئة يزيد وينقص لأن الأعمال الداخلة في مفهوم الإيمان تزيد وتنقص،قال تعالى : (﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون ﴾)[6]،

---

(1) انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج٢ ص١١١ ، ١١٢ ، ج٤ ص٢٠٤ ، محمد أبوزهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، ج١ ص١٢١ ، محمد حمزة : التآلف بين الفرق ، ص١٦٣ .

(2) انظر البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص١٥١ ، ١٥٣ .

(3) محمد حمزة : التآلف بين الفرق ، ص١٦٣ .

(٤) سورة البيّنة : الآية ٥ .

(٥) سورة البقرة : الآية ١٤٦ .

(٦)سورة التوبة : الآية ١٢٤ .

وينتج عن ذلك أيضاً قول المرجئة أن المؤمن مرتكب الكبيرة لا يخلد في النـــار ، ولهذا خالفوا المعتزلة والخوارج الذين قالوا بخلود مرتكب الكبيرة في النار استناداً إلى قوله تعالى : (﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجـزاؤه جـهنّم خـالداً فيـها ﴿ وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً ﴾)[1]، وقوله تعالى أيضـــأ : (﴿ ومن يعصِ الله ورسوله ويتعدَّ حدوده يدخله ناراً خـالداً فيـها ولـه عـذاب مهين ﴾)[2].

---

(1) سورة النساء : الآية ٩٣ .

(2) سورة النساء : الآية ١٤ .

المذهب الأشعــــري

ينتسب الأشاعرة إلى أبي الحسن الأشعري، وهو علي بـــن إســـماعيل بـــن إسحاق بن سالم بن عبد الله الأشعري من ولد الصحـــابي الجليـــل ابـــي موســـى الأشعري[١].

ولد أبو الحسن الأشعري سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م وتوفي سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م[٢] وهو بصري سكن بغداد وتوفي فيها ، تتلمذ على أبي علي الجبائي ، وكـــان أول أمره على مذهب الاعتزال فبلغ في الجدل والمناظرة مرتبة كبيرة فكان ينوب عـــن أستاذه في المناظرة .

تحوّل الأشعري عن الاعتزال لرؤيا في منامه يقال إنه رأى فيها النبي ﷺ، فاعتكف في بيته خمسة عشر يوماً ثم خرج إلى المسجد وصعـــد المنـــبر فـــأعلن رجوعه عن الاعتزال وانخلع منه .

أراد الأشعري أن يصحح مساره بعد هذا التحول فانبرى للدفاع عـــن رأيـــه الجديد فألّف مجموعة من الكتب على مذاهب أهل السنّة وكتباً للرد على أصحـــاب الديانات الشرقية والمنكرين للألوهية والفلاسفة والطبيعيين القائلين بقـــدم العـــالم ، كما توجه للرد على المعتزلة والرافضة والجهمية والشـــيعة والخـــوارج وســـائر المبتدعين[٣]، فقيل إنه ألّف في ذلك خمسة وخمسين تصنيفاً، وسلك في الاســـتدلال على العقائد مسلك النقل ومسلك العقل ، فهو يثبت ما جاء فـــي القـــرآن الكريـــم والحديث النبوي الشريف من أوصاف الله تعـــالى ورسلـــه واليـــوم الآخـــر

---

(١) ابن عساكر : تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، دمشق ١٣٤٧هـ ص ٣٥، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج١١ ص ٣٤٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٣ ص ٢٨٤ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٣ ص٢٨٤ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٣ ص ٢٥٩ .

(٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج١١ ص ٣٤٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٣ ص ٢٨٥ ، ابن كثير: البداية والنهاية ، ج١١ ص ١٩٩ .

والملائكة والحساب والعقاب والثواب ، واتجه إلى الأدلة العقلية والبراهين المنظمة ليستدلّ بها على صفات الله سبحانه وتعالى ، واستعان على ذلك بقضايا فلسفية ومسائل عقلية خاض فيها الفلاسفة والمناطقة[1].

جمع ابو الحسن الأشعري حوله أهل السنّة والجماعة ، وحاول توحيد المسلمين وإبعادهم عن ألوان الشقاق والنزاع الذي ثار بين المتكلمين والفقهاء من أهل الحديث ، وألّف مجموعة من الكتب منها[2]:-

١- الإبانة عن أصول الديانة ، وفيه يعلن اتّباعه للإمام أحمد بن حنبل .

٢- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ، وظهر فيه منهجه الذي يعتمد فيه على النقل والعقل مع تحرره للاتجاه نحو العقل .

٣- مقالات الإسلاميين وهو كتاب في علم الكلام ويحوي آراء الفرق الكلامية بموضوعية .

٤- استحسان الخوض في علم الكلام، وهي رسالة صغيرة في علم الكلام.

٥- الشرح والتفصيل في الرد على أهل الإفك والتضليل .

وأخذ مذهب الأشعري في الانتشار بعد وفاته في بعض البلاد الإسلامية فيذكر المقريزي أنه انتشر في العراق بحدود سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م ، وانتقل إلى الشام ثم إلى مصر على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي[3]، وساهم بعض تلاميذ الأشعري في انتشار هذا المذهب ومنهم :

- القاضي ابو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاّني المتوفى سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م ، اشتهر بعلم الكلام ، ووضع التصانيف في الرد

---

(١) محمد حمزة : التآلف بين الفرق ، ص١٩٨-١٩٩ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٣ ص٢٨٥ ، عبد الرحمن بدوي : مذاهب الإسلاميين ، ص٥٠٥-٥١١ .

(٣) انظر المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج٢ ص٣٥٨ .

على المخالفين من الرافضة والمعتزلة والجهمية والخوارج ، وله كتاب إعجاز القرآن وكتاب الإنصاف[1].

- أبو المظفر عماد الدين بن محمد الاسفراييني المتوفى سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م ، وهو فقيه ومفسر له كتاب (التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة)[2].
- الإمام أبو المعالي عبد الملك بن أبي محمد الشافعي الجويني المتوفى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م ، تفقه على والده في صباه وجلس للتدريس ، ثم خرج إلى مكة وجاور بها ، ودرّس بالمدرسة النظامية ، كان يقال له حبر الشريعة ويلقب بإمام الحرمين ، وله مصنفات عديدة منها : (الشامل في أصول الدين) و (الكافية في الجدل) ولمع الأدلّة والعقيدة النظامية والتفسير الكبير[3].
- الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ/١١١١م ، ولد ونشأ في خراسان وسافر في طلب العلم فلازم إمام الحرمين ، وقرأ الحكمة والفلسفة وتصدّى للرد على أصحاب العلوم، ولاّه نظام الملك التدريس في المدرسة النظامية ببغداد ، وصنّف الكثير من الكتب منها : إحياء علوم الدين وفضائح الباطنية والمنقذ من الضلال وغيرها[4].
- أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م ، كان إماماً حاذقاً في علم الكلام وله دراية بالعلوم الأخرى ، وكانت له مناظرات مع المعتزلة وصنّف الكثير من الكتب

---

[1] الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج٢ ص٤٥٥،٤٥٨ ، ابن عساكر : تبيين كذب المفتري ، ص٢١٧ .

[2] ابن عساكر : تبيين كذب المفتري ، ص٢٧٦ .

[3] ابن عساكر : تبيين كذب المفتري ، ص٢٥٧ ، علي المغربي : الفرق الكلامية ص٢٨٣ .

[4] ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٤ ص٢١٧-٢١٨ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج٤ ص١٠ .

منها : التفسير ، والمطالب العالية ، ونهاية العقـــول وشــرح الأســماء الحسنى[1].

[1] انظر ابن العماد : شذرات الذهب ، ج٥ ص٢١ ، علي المغربي : الفرق الكلامية ، ص٢٨٤ .

الآراء الكلامية للأشاعرة

أ- مشكلة الألوهية :

١- إثبات وجود الله تعالى :

ويعتمد الأشعري في ذلك على النظر والتأمل في خلقة الإنسان وتطور هذه الخلقة منذ كان نطفة فعلقة ثم صار لحماً وعظماً ودماً إلى أن صار إنساناً كامل الخلقة ، وتطور مراحل الإنسان منذ كان طفلاً إلى أن صار شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً.

فهذا التغير ليس بيد الإنسان ولو كان بيده لأزال عن نفسه الكبر والهرم وردّها إلى حال الشباب ، فلا بد من ناقل نقله من حال إلى حال، وهذا الدليل يعتمد على المنهج القرآني الذي يدعو إلى النظر في النفس لقوله تعالى : (﴿وفي أنفسكم أفلا تذكّرون﴾)[1]، وقوله أيضاً : (﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴿ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ﴿ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾)[2].

٢- وحدانية الله تعالى :

والواحد بمفهوم الأشاعرة هو الشيء الذي لا يصح انقسامه إذ لا تقبل ذاته القسمة بوجه ، ولا تقبل الشركة بوجه ، فالباري تعالى واحد في ذاته لا قسم له وواحد في صفاته لا شبيه له وواحد في أفعاله لا شريك له .

ويعتمد الأشاعرة في إثبات وحدانية الله تعالى على دليل التمانع المشهور عند المتكلمين ، ويصوغ الأشعري هذا الدليل فيقول مبيناً ضرورة الواحد : لأن الاثنين

---

(١) سورة الذاريات : الآية ٢١ .

(٢) سورة المؤمنون : الآيات ١٢-١٤ .

لا يجري تدبيرهما على نظام ولا يتسق على أحكام ولا بد أن يلحقهما العجز أو واحد منهما لأن أحدهما إذا أراد أن يحيي إنساناً وأراد الآخر أن يميته لم يخل أن يتم مرادهما، أو يتم مراد أحدهما دون الآخر، ويستحيل أن يتم مرادهما جميعاً لأنه يستحيل أن يكون الجسم حيّاً وميتاً في حال واحدة، وإن لم يتم مرادهما جميعاً وجب عجزهما، والعاجز لا يكون إلهاً ولا قديماً، وإن تم مراد أحدهما دون الآخر وجب لمن لم يتم مراده منهما أن يكون عاجزاً والعاجز لا يكون إلهاً ولا قديماً[1].

ودليله في ذلك من القرآن الكريم ، قال تعالى : (﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عمّا يصفون ﴾)[2]، وقال أيضاً : (﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون ﴾)[3].

٣- التنزيه :

فيذهب الأشاعرة إلى تنزيه الله تعالى عن كل صفات النقص فنفوا عنه التشبيه والتجسيم وحلوله تعالى في المخلوقات أو اتحاده بها وغير ذلك مما لا يليق بكماله جل وعلا ، وفي هذا رد على نزعات التجسيم والتشبيه في اليهودية والنصرانية ، وبعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام والمتأثرة بالأفكار الأجنبية .

٤- الصفات :

قسم الأشاعرة صفات الله تعالى إلى صفات ذاتية أزلية وصفات فعلية ، فالصفات الذاتية هي التي لا يجوز أن يوصف الله سبحانه وتعالى بضدّها[4] وتشمل سبع صفات هي : الحياة ، والقدرة ، والعلم ، والإرادة ، والسمع والبصر

---

[1] انظر الأشعري : اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ، تحقيق الأب مكارثي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٥٢م ، ص٨ ، علي المغربي : الفرق الكلامية ، ص٢٨٦-٢٨٧ .

[2] سورة الأنبياء : الآية ٢٢ .

[3] سورة المؤمنون : الآية ٩١ .

[4] الأشعري : اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ، ص١٨ ، علي المغربي : الفرق الكلامية ، ص٢٩٣ .

والكلام، إذ لا يمكن أن يكون الله سبحانه وتعالى حياً بغير حياة ، ولا قادراً بغير قدرة ، ولا عالماً بغير علم ، فهو حي بحياة وقادر بقدرة وعالم بعلم ومريد بإرادة، وسامع بسمع لا بأذن وباصر ببصر هو رؤية لا عين ، ومتكلم بكلام لا من جنس الأصوات والحروف وهذه صفات أزلية قديمة[1].

والصفات الفعلية هي التي يجوز أن يوصف الله تعالى بضدها لأن الضد ليس بفعل فيجب بنفي الفعل عن الفاعل وجود ضده وهي مشتقة من أفعال الله تعالى كالخالق والرازق والعادل ونحو ذلك ، فهذه أفعال الله تعالى وهي محدثات من صفات أفعاله ، ولم يكن موصوفاً بها قبل وجود أفعاله[2].

وبهذا فالأشاعرة يشبهون المعتزلة في تقسيم الصفات إلى ذاتية وفعلية ويختلفون عنهم في عود الصفات الذاتية وكونها قديمة .

ب- الكلام الإلهي ومشكلة خلق القرآن :

فيثبت الأشاعرة أن الله سبحانه وتعالى متكلم وله كلام والدليل على ذلك إرساله للرسل وتكليف العباد بالأمر والنهي والوعد والوعيد ، وهذا دليل على أنه آمرٌ ناهٍ وأن له كلام ، وعدم الكلام معناه الخرسٌ والسكوت وهي نقائص يتنزه الله تعالى عنها .

وللكلام عند الأشاعرة حد يوضحه الجويني فيقول: الكلام هو القول القائم في النفس والذي تدل عليه الإشارات والعبارات وهذا هو الفكر الذي يدور في النفس ، فهو ليس تلك الأصوات والحروف ولكنها دالة عليه، وعلى هذا فالكلام الحقيقي هو الذي يدور في النفس ، وأما العبادات والألفاظ فتسمي كلاماً جوازاً لأنها ليست بكلام حقيقة بل عبارة عنه[3].

---

[1] انظر الأشعري : الإبانة ، ص٤٢-٤٤، الشهرستاني : الملل والنحل ، ج١ ص٦٧-٦٨ ، عبد الرحمن بدوي: مذاهب الإسلاميين، ج١ ص٥٤٤-٥٤٥، محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ج١ ص١٨٢-١٨٣.

[2] الأشعري : اللمع ، ص١٨ ، علي المغربي : الفرق الكلامية ، ص٢٩٤ .

[3] الشهرستاني : الملل والنحل ، ج١ ص٦٨ ، علي المغربي : الفرق الكلامية ، ص٣٠٢-٣٠٣ .

وسلك الأشعري طريقاً خاصاً به فقال : القرآن كلام الله غير مغير ولا مخلوق ولا حادث ولا مبتدع ، فأما الحروف المقطعة والألوان والأجسام والأصوات فمخلوقات مخترعات[1].

ج- خلق أفعال العباد :

عارض الأشاعرة موقف المعتزلة في نسبتهم الأفعال للعباد وقولهم بقدرة العبد على أفعاله وأن الله سبحانه لا يخلق أفعال العباد ، فقالوا بأن الله سبحانه وتعالى خالق لأفعال العباد[2]، وإن الإنسان لا يستطيع أحداث شيء ولكن يقدر على الكسب .

فلو كان العبد خالقاً لأفعال نفسه للزم وجود خالق غير الله وهذا محال ، كما أنه لو كان العبد موجداً لفعل نفسه ومحدثاً له لكان عالماً به ، ومن أدلة الأشاعرة على خلق الله لأفعال العباد أننا لو قلنا أن العبد يخلق أفعاله من طاعة أو معصية أو إيمان أو كفر فقد شركنا بين الله تعالى وبيننا في الخلق ، وأن خلقه لا يتم إلا بخلقنا وهذا شرك ظاهر .

وقال الجويني : إذا سلمنا بخلق الإنسان لأفعاله فهذا يعني أنه يخلق الطاعات والمعرفة وهذا يعني أنه أفضل في الخلق من الله تعالى لأن خلق المعرفة والطاعات والقربات أحسن من خلق الأجسام ، لهذا أكد على أن الله سبحانه وتعالى يخلق أفعال العباد[3].

---

(1) عبد الله الأمين : دراسات في الفرق ، ص٣٣٣ ، محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، ج١ ص١٦٧.

(2) الشهرستاني : الملل والنحل ، ج١ ص٦٩ ، محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، ج١ ص١٨١ ، ١٨٢ ، ١٦٩ .

(3) الشهرستاني : الملل والنحل ، ج١ ص٧٠-٧١ ، وانظر أيضاً علي المغربي : الفرق الكلامية ، ص٣١٤-٣١٥ .

د- موقف الأشاعرة من مرتكبي الذنوب (الكبائر) :

أجمعت الأمة على أن أفعال العباد تشتمل على الصغائر والكبائر[1] فيما عدا الخوارج الذين قالوا : كل ذنب كبيرة – واختلفت الآراء في صاحب الكبيرة :

١- فالمرجئة يقولون بأنه مؤمن وليس بكافر .

٢- والخوارج يقولون بأنه كافر ، وقالت طائفة منهم بأنه كافر نعمة .

٣- والمعتزلة تقول بأنه في منزلة بين المنزلتين .

٤- أما الأشاعرة فيقولون بأن مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة مؤمن وليس بكافر ، ولكنه فاسق ، أما من فعل الصغيرة فهو عاصٍ وليس فاسقاً .

وعليه فمرتكب الكبيرة مؤمن لأنه يتصف بالإيمان أي التصديق بوجود الله تعالى وهذا يعني أن الإيمان والعمل ليس داخلاً فيه ، والمؤمن الذي يرتكب الكبيرة تسري عليه أحكام المؤمنين في نكاحه ووراثته ودفنه في مقابر المسلمين ، وهناك نصوص تدل على نفي الممانعة بين الإيمان وفعل الكبيرة ، قال تعالى : (❋ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما❋) ، فالله سبحانه وتعالى سماهم المؤمنين ولم يزل الإيمان عن صاحب الكبيرة .

وعن موقف صاحب الكبيرة في الآخرة قالت المعتزلة والخوارج بأنه خالد في النار ولا يجوز لله تعالى أن يعفو عنه ، وقالت المرجئة بأن المؤمن لا يستحق على زلته عقاباً لا آجلاً ولا عاجلاً ، فهو كما لا يستحق مع الشرك بفعل الطاعة ثواباً ، فإنه لا يستحق مع الإيمان بفعل المعصية عقاباً .

أما الأشاعرة فذهبوا إلى استحقاق العقاب لمرتكب الكبيرة في الآخرة ولله تعالى أن يعاقبه بعدله لكنه لا يخلد في النار ، بل يعاقب على قدر ذنبه ، ثم يخرج من النار ، ولله تعالى أن يعفو عنه بفضله وعفوه فلا يدخل النار ، قال تعالى : (❋إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ❋) .

---

[1] انظر الأشعري : مقالات الإسلاميين ، ص٢٧٠ وما بعدها، علي المغربي : الفرق الكلامية ، ص٣٣٥-٣٣٧.

الفصل الخامس

التعليم والمؤسسات التعليمية عند المسلمين

أ-التعليم في صدر الإسلام

ب-المؤسسات التعليمية عند المسلمين

١-الكتاب

٢-حلقات المساجد

٣-التعليم في القصور

٤-مجالس الخلفاء والأمراء (الصالونات الأدبية)

٥-حوانيت الوراقين

٦-منازل العلماء

٧-المدارس

ج-المدرسون والرواتب

د-المكتبات

هـ-المستشفيات .

التعليم في صدر الإسلام

كان العرب قبل الإسلام يعرفون الكتابة، ويؤرخون أهم حوادثهم على الحجارة وعلى شواهد القبور وجدران المعابد والسدود وعلى تماثيل الآلهة[1] .

واستعمل العرب لكتاباتهم الادم والجلود المدبوغة، وهي جلود الغنم والماعز والحمر الوحشية وعرفت جلودها باسم (الفلجان)، وجلود الغزلان التي سميت (الرقوق) وكانت في غاية الطراوة والنعومة فاستعملوها لتدوين المعلقات والرسائل، كما استعمل العرب العظام العريضة كالأكتاف، وكتبوا على العسب وهو السعف وجريد النخل، وعلى اللخاف وهي الحجارة البيض الرقاق[2] .

وكانت أكثر الآثار التي تحمل كتابات العرب في الأطراف الشمالية للجزيرة العربية حيث كان الاتصال وثيقاً بالحضارتين الفارسية والرومانية، وكان أكثر نتاج العرب القديم نتاجاً أدبياً في التاريخ والشعر، وكان نقل هذا النتاج يعتمد على الذاكرة والرواية الشفوية من جيل إلى جيل أكثر من اعتماده على الكتابة والتدوين – لذلك كان معرضاً للتغيير والتبديل لأن الذاكرة لا تستطيع أن تحفظ كما يحفظ الكتاب[3].

وكان القليل من العرب عند مجيء الإسلام يجيدون القراءة والكتابة فقريش وهي أكثر القبائل تمدناً وتحضراً كان عدد الذين يكتبون فيها سبعة عشر رجلاً هم:

عمر بن الخطاب – علي بن أبي طالب – أبو عبيدة بن الجراح – طلحة بن عبيد الله – أبو سفيان بن حرب – ويزيد ومعاوية ابنا أبي سفيان – وأبو حذيفة بن عتبة– وحاطب بن عمرو – وأبو سلمة المخزومي – وابان بن سعيد بن العاص

---

(1) ناجي معروف : أصالة الحضارة العربية الإسلامية ، مطبعة التضامن ، بغداد ١٩٦٩م ص١١٦.

(2) محمد محاسنه : بناء الدولة العربية الإسلامية ، النظم والحضارة ، مطبعة البهجة ، إربد ، ١٩٩٩م ، ص٦٦ .

(3) سعيد إسماعيل علي : معاهد التربية الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٨٦م ، ص٧٠-٧١ .

وأخوه خالد بن سعيد – وعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري وحويطب بن عبد العزى العامري – وجهيم بن الصلت وعثمان بن عفان،بالإضافة إلى قليـــل مـــن النساء ، فكانت تكتب حفصة وأم كلثوم من أمهات المؤمنين، كما كانت عائشـــة وأم سلمة تقرآن المصحف ولا تكتبان[1] .

وكان عدد من يكتبون في يثرب أقل من ذلك، فقيل أنه بلغ أحد عشر رجلاً وكان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقرأ ولا يكتب فكان في حاجة إلى من يكتب له الوحي فاعتمد على كتبة أمناء[2] وكان أول من كتب له بمكة من قريش عبد الله ابن أبى السرح، كما كتب له ابو بكر وعمر بن الخطاب وعلي بن ابـــي طـــالب وعثمان بن عفان والزبير بن العوام وابان وخالد ابنا سعيد بن العاص وحنظلة بـــن الربيع الأسدي الذي سمي حنظلة الكاتب[3] ومعيقيب بن أبي فاطمة وعبـــدالله بـــن الارقم الزهري وشرحبيل بن حسنة وعبدالله بن رواحه ومعاوية بن ابـــي ســـفيان وأول من كتب له بالمدينة المنورة أبي بن كعب الأنصاري، يقال بأنة كتب له قبل زيد بن ثابت، وبلغ عدد كتاب الوحي الذين كتبوا لرسول الله صلى الله علية وسلم ثلاثة وأربعين كاتباً[4].

لقد بدأت مظاهر الحركة العلمية منذ عهد الرسول صلى الله عليـــة وســـلم حيث كان يدعو الناس الى العلم ويحثهم عليه، فكان علية الصلاة والسلام بعـــد معركة بدر يطلق سراح الأسير إذا علّم عشرة من صبيان المدينة المنورة الكتابـــة والقراءة، وكان علية الصلاة والسلام يدعو الى تعلم اللغات الاجنبية، فقـــال يومـــاً

---

(1) البلاذري: فتوح البلدان ، ص ٤٥٧-٤٥٨ .انظر مصطفى الشكعة : مناهج التأليف عند العلماء العرب ، دار العلم للملاين ،بيروت ١٩٧٤م.ص١٧ .

(2) عبد الصبور شاهين : تاريخ القرآن ،دار القلم ، القاهرة ١٩٦٦،ص٥٣.

(3) البلاذري : فتوح البلدان، ص٤٥٩.

(4) أبو عبدالله الزنجاني:تاريخ القرآن ، مؤسسة ألا علمي ، بيروت ١٩٦٩م،ص٤٢،سعيد اسماعيل على : معاهد التربية الاسلامية ،ص ٧٢، مصطفى الشكعة :مناهج التأليف ١٨

لزيد بن ثابت : (تعلم كتاب يهود فإني ماآمنهم على كتابي). وأمره أيضاً بتعلم السريانية فتعلّمها في سبع عشرة ليلة[1].

وفي نطاق هذه التوجيهات ومع انتشار الاسلام في البلاد أخذ الداخلون في الدين الجديد من غير العرب يتعلمون العربية ليتعرفوا على أصول دينهم وانتشرت اللغة العربية بينهم وانتشر معها تعلم الكتابة والقراءة، وتبع ذلك تعلم النحو والنظر في الأحكام العامة من زواج وطلاق ومعاملات ونظم عامة .

وكان لابد للمسلمين في البلاد المفتوحة من معلمين ومرشدين لذلك تفرق الصحابة في الأمصار للقيام بهذا الدور، وكان عمر بن الخطاب حينما يبعث صحابياً الى بلد يزوّده بخطاب يقدمه الى الناس ليكون تقديماً وتكريماً لحاملة،فعندما بعث عبدالله بن مسعود الى الكوفة وهو من خيرة الصحابة علماً وفضلاً أرسل الى أهل الكوفة يقول لهم : (إني بعثت اليكم بعبدالله بن مسعود معلماً ووزيراً وأثرتكم به على نفسي فخذوا عنه).

لقد توزع الصحابة في الامصار معلمين للناس ومستشارين وحكاماً وكان لكل صحابي مدرسة من أبنائهم التابعين، وكان للتابعين تلاميذ أيضاً هم تابعوا التابعين، فاتسع نطاق الثقافة الدينية ورحبت آفاقها وأخذت تنشأ نواة الحركة العلمية العقلية بعد جيلين أو ثلاثة أجيال من جيل الصحابة والتابعين؛ واشترك في هذه الحركة العرب وغير العرب من الموالي[2].

وكان الطفل الصغير يذهب الى المعلم الذي يقوم بتعليمه وتأديبه وتوجيهه،حيث يجلس المعلمون في زوايا المسجد أو في مكاتب ملحقة بالمسجد ليتعلم منهم الأولاد القرآن والسنة والفقه و الأدب واللغة، ثم نشأت الكتاتيب المستقلة عن المساجد بعد ذلك، وكان الكتاب يحتوي على عدد كبير من

---

(1) انظر محمد بن سعد : الطبقات الكبرى ،ج٢ص٣٥٨،مصطفى الشكعة: مناهج التأليف،ص١٩

(2) مصطفى الشكعة : مناهج التأليف ،ص٢١،٢٣ .

الصبيان،وتهتم بتعليمهم الدروس الدينية المستمدة من القرآن الكريم، وكان لدى الخلفاء والوزراء والأمراء تعليم خاص بأبنائهم يتم داخل القصور ويطلق على المعلمين من هذا النوع اسم المؤدبين حيث اشتق هذا الاسم من الأدب والخلق لأن مهمة المعلم في هذه الحالة هو تعليم الصبيان الأدب والخلق(1).

ومع تطور الكتابة العربية نحو النضج والكمال واستكمال صورتها النهائية كانت حركة التأليف العربية أيضاً تشق طريقها منذ عصر معاوية بن أبي سفيان الذي يقال أنه كان ينام ثلث الليل ثم ينهض فيحضر دفاتر فيها سير الملوك وأخبارهم وحروبهم لتقرأ عليه(2)، ويقال انه استحضر عبيد بن شريه الجرهمي من اليمن وسأله عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم وسبب تبلبل الالسنة وأمر بافتراق الناس في البلاد وأمر بتدوين ذلك ونسبته الى عبيد بن شريه(3) .

وتمضي حركة التأليف بنشاط حتى قيل أن عمرو بن العلاء (٧٠-١٥٤هـ /٦٩٠-٧٧٠م) كتب عن العرب الفصحاء كتباً ملأت أحد بيوته حتى السقف ، وحول عبد الحكم بن عمرو بن عبدالله بن صفوان الجمحي بيته في العصر الاموي الى نادي ثقافي .

وفي القرن الثاني الهجري بدأ التأليف في مجالات مختلفة في النحو والحديث والتفسير والمغازي لأن هذه العلوم تخدم النص القرآني وتساعد على فهمه وتقريبه إلى الأذهان، ثم تتابع التأليف في مختلف فروع المعرفة (4).

---

(1) أحمد علي الملا:أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية ، دار الفكر ،ص ٥٠ –٥١.

(2) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق عبد الأمير مهنا ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ١٩٩١م،ج٣ص٤١،سعيد اسماعيل علي :معاهد التربية الاسلامية،ص٧٤.

(3) ابن النديم : الفهرست ص ١٣٢.

(4) انظر سعيد إسماعيل علي : معاهد التربية الإسلامية،ص٧٥.

المؤسسات التعليمية عند المسلمين

١- الكتّاب :

الكتّاب مفرد والجمع كتاتيب وهم الصبيان، والمكتب موضع التعليم والمكتب المعلم، واستعمل لفظ الكتّاب والمكتب ليدل على مكان تعليم الصبيان[1]،وهي أول مراحل التعليم . وكان الكتّاب معروفاً قبل مجيء الإسلام،فلما ظهر الإسلام أصبح المكان الرئيسي للتعليم خاصة تعليم الصبيان،فمتطلبات الدعوة الجديدة كان يلزمها نشر التعليم، كما أن الدين الجديد وهو الاسلام يتطلب حفظ القرآن الكريم أو شيئاً منه لحاجته من أجل أداء الشعائر التعبدية .

واقترن الكتاب بتعليم الصبيان، فدخل علي بن أبى طالب الكتّاب في مكة المكرمة وعمره أربع عشرة سنة، وأصبح للكتاب أهمية كبيرة بمرور الوقت، وانتشر ظهوره في بلاد العالم الاسلامي في خلافة عمر بن الخطاب، فيذكر ابن حزم ما نصه : (ثم مات أبو بكر وولي عمر ففتحت بلاد فارس طولاً وعرضاً وفتحت الشام كلها والجزيرة ومصر كلها، ولم يبق بلد إلا وبنيت المساجد ونسخت فيه المصاحف، وقرأ الأئمة القرآن وعلمه الصبيان في المكاتب شرقاً وغرباً)[2].

واتسع نطاق التعليم في الكتاتيب في العصر الإسلامي ، فيذكر البخاري أن أم المؤمنين (أم سلمة) بعثت إلى معلم الكتاب كي يرسل إليها نفراً من غلمان الكتاتيب ليساعدوها في نفش الصوف[3]، وأسند إلى عبدالله بن عمر بن الخطاب أنه كان يسلّمُ على الصبيان في المكتب .

---

(١) انظر القابسي : الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، ص٢٩٣، سعيد إسماعيل : معاهد التربية الإسلامية ،ص١٢٥

(٢) ابن حزم : الفصل في الملل والاهواء والنحل ، القاهرة ١٣٤٧هـ، ج١ص٦٧.

(٣) البخاري: الجامع الصحيح ، ص ١٣١٧.

فقد تبنت الدولة الاسلامية التعليم منذ صدر الاسلام، ونسب الكتاني الى عمر بن الخطاب إنشاء المكاتب للتعليم قال : (فلما كثرت الفتوحات وأسلمت الأعاجم وأهل البوادي وكثر الولدان، أمر عمر ببناء بيوت المكاتب ونصب الرجال لتعليم الصبيان وتأديبهم) وحدد لهم عمر يومي الخميس والجمعة لتكون عطلة يستريحون فيها(١).

وأقيمت بعض الكتاتيب الى جوار المساجد، وبعضها الآخر كان مفصولاً عنها وربما كان في بيوت المؤدبين، فقد راعى المسلمون ابعاد التلاميذ الصغار عن دخول المساجد والتعلم فيها لأن ذلك قد يؤذي المصلين ويؤثر على نظافة المساجد، حيث ورد عن الرسول ﷺ أنه أمر بتنزيه المساجد من الصبيان لأنهم يسودون حيطانها ولا يتحرزون من النجاسات(٢) .

كان الغرض الأساسي من الكتّاب هو تعليم الصبيان القرآن الكريم وما يتصل به من علوم اللغة والأدب، فيتعلم القراءة والكتابة والنحو والحساب(٣)،وكان ينظمون أوقات الدراسة في اليوم، حيث يبدأ اليوم الدراسي بدراسة القرآن الكريم من أول النهار في الصباح الباكر حتى الضحى، ثم ينتقلون لتعلم الكتابة من الضحى حتى الظهر لتبدأ فترة الاستراحة وتناول طعام الغداء في البيوت، ثم يعود التلاميذ الى الدراسة بعد صلاة الظهر حيث يدرسون بقية العلوم كالنحو والشعر والعربية وأيام العرب والحساب وتستمر هذه الفترة حتى أخر النهار .

---

(١) الكتاني : التراتيب الادارية ، ج٢ ص ٢٩٣، ٢٩٤.

(٢) الشيزري : نهاية ارتبة في طلب الحسبة ، دار الثقافة بيروت ١٩٦٩، ص ١٠٣، حسن عبد العال : التربية الاسلامية في القرن الرابع الهجري، دار الفكر العربي، القاهرة ،ص١٨٦

(٣) القابسي : الرسالة المفصلة لاحوال المتعلمين ، ص ٢٩٣، ٣١٢

ولم يكن هناك سن معينة يبدأ عندها الصغار دخول الكتاتيب وتلقي العلم،وكان الأمر متروكاً لتقدير آبائهم فإذا وجدوا الطفل بدأ بالتمييز والإدراك دفعوا به الى الكتاب، وغالباً كان يرسل الأولاد فيما بين (٥-٧) سنوات[١].

ويبقى الصبي مع المعلم في المكتب لفترة غير محدودة لكن في الغالب كانت تستمر حتى يتم حفظ القرآن الكريم أو جزءاً منه، وعلى الأغلب فإن الطفل الذي يريد حفظ القرآن الكريم كله كان يستمر مع معلم الكتّاب حتى سن العاشرة، وقد يبقى بعضهم حتى سن الثانية عشرة أو الرابعة عشرة، فإذا أتم هذه المرحلة قدم امتحانا" في الكتابة وفيما حفظ من القرآن الكريم، ومن يكملون حفظ القرآن كان امتحانهم يسمى (الختمة)، حيث يمنح إجازة الكتّاب [٢] وتنتهي دراسته فيه.

وكان الكبراء وأعيان الناس يعينون معلمين خصوصيين لأولادهم وينتقونهم من كبار الادباء والعلماء ، وأطلق على هؤلاء المعلمين اسم (المؤدبين) وتمتع هؤلاء بمكانة طيبة لم تتوفر لغيرهم من معلمي الكتاتيب[٣] .

وتقاضى معلموا الكتاتيب أجوراً شهرية أو سنوية لقاء أعمالهم [٤]، لكنها كانت أجوراً زهيدة قياساً بما كان يحصل عليه المؤدبون من أجور ومكافآت .

وإذا أهمل الطفل في دراسته جاز للمعلم عقابه على أن يبدأ معه بالنصح والإرشاد ثم بالعزل والتهديد، فإذا لم ينفع ذلك عاقبه بالضرب على ألاّ يكون ضرباً مبرحاً ولا في مقتل[٥]، وعهد لمحتسب المدينة أن يقوم بالاشراف على ذلك.

---

(١) انظر أحمد الاهواني : التربية في الاسلام ص ٦٠، خليل طوطح : التربية عند العرب ، ص ١٢،
George makdisi :The rise of college ,Institution of learning in Islam and the west,P19.

(٢) القابسي: الرسالة المفصلة ،ص٣٢٧ ، خليل طوطح : التربية عند العرب ص٧٥ .

(٣) الجاحظ :البيان والتبيين ، ج١ ص١٤٠- ١٤١ ، محمد محاسنة : تاريخ مدينة دمشق ص٢٨٢ .

(٤) القابسي : الرسالة المفصلة ، ص٣٢٠ ، أحمد الأهواني : التربية في الإسلام ، ص٦٥ .

(٥) أنظر القابسي : الرسالة المفصلة ، ص٣١٣ - ٣١٤ ، ابن خلدون : العبر ، ج١ ص٢٢٥ ، أحمد الأهواني : التربية في الإسلام ، ص٦٥ .

وبهذا فإن الكتاتيب كانت تقوم بدور المدارس الابتدائية التي تعد الاطفال لمرحلة دراسية أعلى حيث ينتقل من يتخرج من الكتّاب ليدخل حلقات العلم والدراسة إذا أراد التزود من العلم.

وكانت الكتاتيب منتشرة في مدن العالم الاسلامي انتشاراً واسعاً، فيذكر ابن حوقل أنه كان في مدينه واحدة من مدن صقلية ثلاثمائة كتاب، وكانت أعداد التلاميذ في الكتّاب كبيرة تصل الى مئات الطلاب، وكان لأبي القاسم البلخي كتّاباً يتعلم به ثلاثة الآف تلميذ[1] .

٢-حلقات المساجد:

فالمسجد هو أول الأبنية العامة التي أقيمت في الاسلام، وهو من أقدم مؤسسات التعليم عند المسلمين، فكان مسجد قباء أول مسجد أنشئ في الإسلام اتخذه المسلمون مكاناً للعبادة حيث تقام فيه الصلاة، وتعقد فيه حلقات العلم والدراسة، كما كانت تتم في المساجد بيعة الخلفاء ودعوة الناس الى الجهاد والقضاء بين الناس .

وكان الطفل إذا أتم دراسته في الكتّاب ورغب في متابعة دراسته ينتقل إلى مكان أخر ومرحلة جديدة من مراحل الدراسة هي الحلقة، وجرت العادة أن تعقد حلقات العلم المختلفة في المساجد[2]، ويتولى أمرها الشيوخ كل في مجال اختصاصه، فكان الشيخ يجلس الى جانب أحد أعمدة الجامع ويلتفُ حوله الطلبة على شكل حلقة أو دائرة، ثم يقوم بإعطاء الدروس في المجال الذي يختص فيه[3] .

---

(1) مصطفى السباعي : من روائع حضارتنا ، المركز العالمي للكتاب الإسلامي ، الكويت ، ص١٨٤ .

(2) المقدسي : التقاسم في معرفة الأقاليم ، ص١٧٩ ، George Makdisi : The Rise of College , P9,17.

(3) ابن جبير : الجامع الأموي ، ص٢٦ ، أحمد شلبي : التربية والتعليم في الفكر الإسلامي ، ص١١٢ .

شكلت علوم الشريعة الإسلامية أساس مواد الدراسة في حلقات المساجد خاصة علوم القرآن الكريم كالتفسير والقراءات وعلوم الحديث والفقه والكلام بالإضافة إلى علوم اللغة والأدب وبعض العلوم العقلية كالطب والرياضيات والمنطق والفلسفة [1].

واختصت بعض الحلقات بموضوع واحد، بينما اشتمل بعضها على موضوعات عديدة[2]، وكانت منزلة صاحب الحلقة ومكانته تعتمد على سعة علمه وقدرته على إيصال ذلك إلى طلابه الذين يحضرون حلقته، وعلى ضوء ذلك يزداد عدد طلاب الحلقة أو يقل .

وكانت أساليب التدريس في الحلقة متنوعة فأحياناً تكون بالإملاء وأحياناً بالشرح والمناقشة[3]، وكان أسلوب المناقشة يفيد الطالب في التعلم والاعتماد على النفس، كما يعوده على التفكير المستقل والاستنتاج، وكانت مجالس الإملاء تعقد في الغالب أيام الجمع، ويكون الإملاء من الكتب أو من الذاكرة، وعندما تكون المجالس كبيرة يستعان بالمستملين الذين يشبهون اليوم المدرسين المساعدين وتتلخص مهمتهم في إعادة ما يلقيه الأستاذ ليسمعه البعيدون عنه، وربما استعان بعض الأساتذة بطلابهم للقيام بعملية الإملاء [4].

ولم يكن لشيخ الحلقة راتب مقرر لا من الدولة ولا من غيرها، وإنما كانت تقدم لهم بعض الهبات أو الجوائز من أهل الخير والإحسان، وقد يوقف بعض الناس الأموال للإنفاق منها على هذه الوجوه .

---

(1) ابن جبير : الجامع الأموي ، ص٢٦ – ٢٧ ، منير الدين احمد : تاريخ التعليم ص٥٤ – ٥٦ ، George Makdisi : The Rise of College , P9

(2) أنظر بشار عواد معروف : مؤسسات التعليم في العراق / بحوث الحضارة الإسلامية ، ج٢ ص٧٢ ، أحمد شلبي:التربية والتعليم ، ص٤٥ .

(3) ابن جبير : الجامع الأموي ، ص ٢٧ ، السيوطي : طبقات الحفاظ ، ص ٣٩٥ – ٣٩٦ .

(4) أنظر السيوطي : طبقات الحفاظ ، ص٣٩٦ ، منير الدين أحمد : تاريخ التعليم عند المسلمين ، ص ٦٣ .

وكان الطلبة يلتحقون بحلقات الشيوخ بعد إتقان القراءة والكتابة وحفظ ما تيسر من القرآن الكريم، ولم يكن هناك قواعد للانتظام بالدراسة، وإنما يعتمد ذلك على رغبة الطالب واستعداده لذلك وظروفه، وهو الذي يختار أستاذه ودروسه فيأتي إلى المسجد متى أراد وينقطع عنه متى أراد .

واعتبرت هذه الحلقات بمنزلة صفوف دراسية دائمة وحلقات تخصصية في الغالب يلتحق بها طلاب العلم ممن يرغبون في جمع الحديث أو روايته(١) أو تلقي أي علم آخر أو روايته، وكانت تعقد مجالس أخرى غير تخصصية يحضرها من شاء من الناس، وغالباً تحضر لها أعداد كبيرة جداً على عكس الحلقات التخصصية التي يكون عدد الطلبة فيها قليلاً(٢) .

وكان المدرس يستمر في التدريس بالمسجد مدى الحياة ما دام قادراً على القيام بهذه المهمة، ثم يتولى أحد تلاميذه القيام بالمهمة من بعده(٣).

واشتملت بعض المساجد على مكتبات فخمة تأتي على الأغلب من إيقاف صاحب المسجد كتبه عليه، أو ممن يرغب في إيقاف كتبه لينتفع بها طلاب العلم،فمثلاً أوقف العلامة ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) كتبه على مسجد الزيدي في بغداد وسلمها للشيخ عز الدين بن الأثير المؤرخ المشهور ليحملها إلى هناك(٤) .

ومن المساجد المشهورة التي امتلأت بحلقات التعليم في العصر الإسلامي جامع المنصور في بغداد وجامع عمرو بن العاص في الفسطاط والجامع الأموي بدمشق والجامع الأزهر في القاهرة، والمسجد النبوي بالمدينة المنورة والمسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد الجامع في قرطبة وغيرها .

---

(1) George Makdisi : The Rise of College , P 20 .

(٢) أحمد شلبي : التربية والتعليم ، ص١١٢ ، منير الدين أحمد : تاريخ التعليم ، ص ٥٤ – ٥٦ .

(٣) بشار عواد معروف : مؤسسات التعليم في العراق / بحوث الحضارة الإسلامية، ج٢ ص٣٨٠ – ٣٨١ .

(٤) بشار عواد معروف : مؤسسات التعليم في العراق / بحوث الحضارة الإسلامية ، ج٢ ص ٣٨١ .

فكان جامع المنصور قبلة أنظار الأساتذة والطلاب، وهو أقدم مسجد جامع في بغداد، وأشهر مركز للتعليم في ديار الإسلام، كانت تعقد فيه حلقات كثيرة للعلم ويؤمه الطلاب من كل البلاد الإسلامية للالتقاء بصفوة العلماء في الميادين المختلفة، حيث كان يجلس فيه الكثير من العلماء، فجلس فيه الكسائي وإبراهيم بن محمد بن نفطويه (ت ٣٢٣هـ/٩٣٥م) وغيرهما كثير.

وشكل جامع عمرو بن العاص في الفسطاط واحداً من أهم مراكز التعليم حيث بدأ التدريس فيه عبد الله بن عمرو بن العاص بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب ليعلم الناس في مصر أحكام الدين الإسلامي، وكانت تعقد فيه حلقات دورية منتظمة كل يوم، وضم عدداً كبيراً من حلقات التعليم ففي القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي كان فيه خمس عشرة حلقة للشافعية ومثلها للمالكية وثلاث حلقات لأصحاب أبي حنيفة [1].

وكان جامع دمشق عامراً في الليل والنهار وفيه من الأئمة والقراء ومشايخ العلم وأهل الحديث ما لا يوجد في غيره من المساجد[2]، وفيه حلقات لتدريس الطلبة منها حلقة للمالكية وأخرى للشافعية، وعندما قدم الخطيب البغدادي إلى دمشق سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩ م ورغم قصر المدة التي أقامها فقد كان له حلقة في جامع دمشق يحدث فيها بأعلى صوته [3].

كما كانت في الجامع حلقة لأبي الحسن علي بن طاهر النحوي يدرس فيها ويحدث، ومقصورة للحنفية يجتمعون فيها للتدريس ويصلون بها، وفيها زوايا

---

[1] سيدة اسماعيل كاشف : مصر في عهد الاخشيديين ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ١٩٥٠م ، ص٣٠٦، حسن عبد العال التربية الإسلامية ، ص١٨٨- ١٨٩ .

[2] ابن عساكر : تاريخ دمشق (تراجم عبادة بن أوفى – عبدالله بن ثوب) ص٣٦٠ ، ابن جبير : الجامع الأموي ص٢٦، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج١٧ ص ٤٦٨ – ٤٦٩ .

[3] السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٤ ص٢٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢ ص١٠٩ ، George Makdis: : The Rise of College, P 20

للنسخ والانفراد عن ازدحام الناس[1]، وكانت حلقة الجامع مليئة بالحيوية والنشاط طوال اليوم .

ويعتبر الجامع الأزهر من أشهر معاهد العلم في الإسلام بناه جوهر الصقلي سنة ٣٥٩ هـ/٩٦٩م في مدينة القاهرة ليكون مقراً للدعوة الفاطمية وإقامة الشعائر الدينية للفاطميين، إلاّ انه لم يلبث أن تحول إلى جامعة علمية يلتقي فيها طلاب العلم من كل حدب وصوب، ففي سنة ٣٧٨هـ/٩٨٨م أشار يعقوب بن كلس على الخليفة الفاطمي العزيز بالله تحويل المسجد إلى جامعة لتدريس العلوم المختلفة، فوافقه على ذلك .

وأصبح مكاناً للعلم والعلماء تدرس فيه علوم الدين والطب والمنطق والرياضيات وغيرها[2] وقد عدّ المقدسي في المسجد الجامع بمدينة القاهرة (١١٠) مجالس من مجالس العلم[3] .

٣-التعليم في القصور :

فقد وجد في قصور الخلفاء والامراء والأغنياء من الناس تعليم خاص بأبناء هذه الفئة من المجتمع، حيث كان الخلفاء والامراء يختارون بعض المعلمين ليقوموا بتدريس أبنائهم في القصور، وأطلق على المعلمين الذين يعلمون أبناء الخلفاء والامراء اسم المؤدبين لأن المعلم في هذه الحالة يكون مطالباً بالإضافة إلى تعليم الطفل أن يقوم بتربيته وتهذيبه في عقلة وأخلاقه، فمثلا عهد هارون الرشيد بتعليم ولدية الأمين والمأمون إلى سيبويه والكسائي، حيث كان يرمي من تعليمهما إلى التزود بمبادئ القراءة والكتابة وتلقي نوعاً من الثقافة مع التركيز

---

(1) ابن جبير : الرحلة ، ص٢٣٩ ، أحمد شلبي : التربية والتعليم ، ص١١٢ .

(2) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٨م ، ج٤ ص٥١ – ٥٢ ، حسن عبد العال : التربية الاسلامية ، ص١٩٠ .

(3) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص٢٠٥ .

على المعارف التى تؤهلهم لتحمل الأعباء التى سيتحملونها في المستقبل[1]؛ حيث يشارك الأب في وضع المنهاج الذي يتعلمه الطفل، ويبقى الطفل يتلقى تعليمه على المؤدبين حتى ينتقل من مستوى الكتاب الى مستوى الطالب الذي يتعلم في حلقات المساجد والمدارس، وكان يخصص للمؤدب جناح في القصر الذي يعمل فيه ليكون إشرافه مستمراً على الأمير الذي يعلمه، وأنشأ الفاطميون في قصورهم مدارس خاصة يلتحق بها أولاد علية القوم [2].

وكان بعض الخلفاء يقدم توجيهاته للمؤدبين عند تكليفهم القيام بتأديب أولادهم، فيروى أن هارون الرشيد كلف خلفاً الأحمر بتأديب ولده الأمين، فقال له: يا أحمر إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه فصير يدك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة، وكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن وعرفه الأخبار وروه الأشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه، ولا تمرن بك ساعة إلّا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة[3].

٤-مجالس الخلفاء والامراء (الصالونات الادبية) :

وهي عبارة عن منتديات أدبية وعلمية يلتقي فيها كبار الادباء والفلاسفة والعلماء لإجراء مناظرات وندوات في مجالات متعددة، وارتبطت بقصور الخلفاء

---

[1] احمد شلبي : تاريخ التربية الإسلامية ص٥٨ ، عبدالله منسي العمري : تاريخ العلم عند العرب ، دار مجدلاوي، عمان ١٩٩٠م ، ص٢١ .

[2] عبدالله عبد الدائم : التربية عبر التاريخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨١م ، ص ١٤٧ – ١٤٨ .

[3] ابن خلدون : العبر ، ج١ ص٥٤١ ، عبدالله العمري : تاريخ العلم عند العرب ، ص٢٢ .

والوزراء والأغنياء من الناس، واتضحت فيها التقاليد والحضارات الاجنبية التي اقتبسها الخلفاء العرب من البلاد المفتوحة [1].

يبدو أن هذه المجالس بدأت في عهد بني أمية لكنها بدأت بسيطة وأخذت تتطور حتى وصلت إلى درجة راقية في العصر العباسي، وكان الصالون يؤثث أثاثاً رائعاً وكان دخوله مقصوراً على فئة معينة من الناس، حيث يبدأ حضور المشاركين فيه في وقت محدد بينما لا يستطيعون الخروج إلاّ بإذن الخليفة أو الأمير أو الوزير الذي يجلسون عنده، فكان معاوية بن أبى سفيان إذا قال (ذهب الليل) قام سماره وانتهت الجلسة، وينتهي مجلس الواثق إذا تثاءب.

وكانت لهذه المجالس والصالونات آداب وتقاليد خاصة يجب مراعاتها ممن يسمح لهم بحضور المجالس، فإذا كان الصالون في قصر الخليفة فإن الخليفة وحده هو الذي يستطيع افتتاح النقاش، ولا يتحدث أحد من الحاضرين ولا يذكر شيئاً إلا إذا سئل أو استأذن بالكلام[2]، وأن لا يكثر الحاضرون من التبسم أو القهقهة وان يكون نظيفاً وقوراً حسن الاستماع .

وكان الخلفاء يشاركون في موضوعات النقاش التى تدور في هذه المجالس خاصة أولئك الخلفاء الذين كانوا على درجة من الثقافة مثل هارون الرشيد وابنه المأمون، والحاكم بأمر الله الفاطمي في مصر والحكم الاموي في الأندلس [3].

وبدأ نشاط هذه الصالونات على درجة ممتازة في خلافة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٧ -٨٠٩ م) حيث كانت تعقد في مجلسه مناظرات بين الشعراء، ومناقشات بين الفقهاء، ومساجلات بين أهل الفن والأدب، ومن أشهر المناظرات التي حدثت في مجلس هارون الرشيد المناظرة اللغوية بين سيبويه

---

(1) أحمد شلبي : تاريخ التربية الإسلامية ص٧٢ ، عبدالله عبد الدائم : التربية عبر التاريخ ص١٤٩ .

(2) وانظر حسن عبد العال : التربية الإسلامية ، ص١٩٨ .

(3) عبدالله العمري : تاريخ العلم عند العرب ، ص٢٢ .

والكسائي، وفي عهد الرشيد كان ليحيى بن خالد البرمكي مجلس يجتمع فيه أهـــل الكلام من المسلمين وغيرهم من أهل النحل ويتناول المجلس علوماً شتّى [1].

ويعتبر عهد المأمون أرقى فترة في تاريخ النهضة الثقافية عند المسلمين،فقـد كان بلاطه يموج بكبار رجال العلم والادب والشعراء والاطباء والفلاسـفة الذيـن كان يستقبلهم من شتى البلاد والأمصار، وكان المأمون يحيطهم بعنايته ورعايتـه ويغدق الأموال على العلماء كلما أنتجوا أو ألّفوا أو قدّموا خدمـة للعلـم ، وكـان للمأمون نفسه دورٌ رئيسي في المناظرات التى كانت تدور في مجلسه خاصة بعـد اعتناقه مذهب الاعتزال الذي يقوم على الجدل و المناظرة وكانت مسـألة خلـق القرآن من أهم المسائل التى أثيرت في مجالسه، ويذكر المسعودي أن المأمون كان يكرم العلماء الذين يحضرون مجلسه للمناظرة،فيعطيهم الحرية في الجلوس وأخـذ راحتهم ويقدم لهم أطيب الطعام والشراب ويناظرهم حتـى تـزول الشـمس ثـم ينصرفون من عنده [2].

ومن الصالونات التى كان لها شهرة كبيرة صالون الوزيـر ابـن الفـرات وصالون ابن العميد فقد كان كريماً يغدق الأموال على الأدباء والشعراء ويقـترح لهم موضوع الادب ويشترك معهم في المناقشات، وصالون الصاحب بن عباد فـي الأندلس الذي ساهم في دعم الحركة العلمية بما كـان يجتمـع فيـه مـن أمـاثل العلماء،وصالون كافور الإخشيدي الذي نافس معظم الصالونات، فقد كان كـافور بصيراً بالعربية و الأدب والعلم، فكان يدني الشعراء ويجزيهم وتقرأ عنده كل ليلـة السير وأخبار الدولتين الأموية والعباسية[3]، وصالون سيف الدولة الحمداني الـذي ضم طائفة رائعة من علماء القرن الرابع الهجري وأدبائه ومفكريه .

---

(1) عبدالله عبد الدائم : التربية عبر التاريخ ، ص١٥٠ .

(2) المسعودي :مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٤ ص٢٤ – ٢٦ ، عبدالله العمري: تاريخ العلم عند العرب ، ص٢٣.

(3) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٤ ص٦ ، حسن عبد العال : التربية الإسلامية ، ص٢٠١ .

٥- حوانيت الورّاقين :

وهي الأماكن الخاصة ببيع الكتب، وفتحت في الأصل لأغراض تجارية، الا أنها تحولت إلى مسرح للثقافة والحوار العلمي، وبدأ ظهورها منذ مطلع الدولة العباسية وذلك نتيجة للتطور العلمي الكبير الذي مر به المجتمع الاسلامي وانتشرت في العواصم والبلدان الاسلامية بسرعة كبيرة، فكان يتردد عليها العلماء والطلبة فيتذاكرون في مسائل علمية وأدبية .

ولم يكن بائعو الكتب مجرد تجار ينشدون الربح، وإنما كانوا على الاغلب أدباء ذوي ثقافة واسعة اختاروا هذه المهنة لأنها توفر لهم فرص القراءة والاطلاع[١]، فقد حفلت كتب الادب والتراجم بالعديد من المناقشات العلمية والأدبية وكثير من المناظرات بين العلماء والأدباء الذين يجتمعون في حوانيت الوراقين،ولأهمية اللقاءات التي كانت تحدث في هذه الحوانيت وما يدور فيها من حوارات علمية وأدبية كانت وصية المهلب بن أبي صفرة لبنيه : يا بني إذا وقفتم في الأسواق فلا تقفوا إلا على من يبيع السلاح أو يبيع الكتب [٢].

ولم تكن مهنة الوراقين في عهد الدولة العباسية تقف عند حد الصفقات التجارية وبيع الكتب ولكنها تعدت ذلك الى مهام ثقافية بالغة الأهمية، فكان الوراقون هم الذين ينسخون الكتب الهامة ويعرضونها للراغبين فيها، وبهذا صارت حوانيت الوراقين ملتقى طلاب العلم والعلماء يتذاكرون فيها ويناقشون، وكان الجاحظ يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها لمطالعة الكتب[٣] .

ومن أشهر من عمل في هذا المجال ابن النديم صاحب كتاب الفهرست، وياقوت الحموي صاحب المعجمين معجم الادباء ومعجم البلدان وغيرهما كثير.

---

(١) أحمد شلبي : تاريخ التلاربية الإسلامية ، ص٦٣ .

(٢) ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية ، دار القلم العربي ، حلب ١٩٩٧م ، ص١١ – ١٢ .

(٣) عبدالله عبد الدائم : التربية عبر التاريخ ، ص١٤٨ .

٦- منازل العلماء :

فقد لجأ بعض العلماء عند الضرورة الى التعليم في منازلهم، مع أن المسلمين يعتبرونها لا تصلح للتعليم لافتقارها الى السكون والراحة، إلاّ أنه ورغم ذلك فقد كانت المنازل منذ وقت مبكر مكاناً لالتقاء المسلمين وقبل نشأة المسجد فاتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم مركزاً يلتقي فيه بأصحابه يعلمهم مبادىء الدين الجديد[١]، وأحياناً كان علية الصلاة والسلام يجلس في بيتة بمكة ويلتفُ حوله المسلمون ويزكيهم.

وكذلك اتخذ بعض العلماء المسلمين فيما بعد منازلهم مكاناً للتعليم ومنها منزل الشيخ الرئيس عبد الله بن سيناء الذي كان يصرف أعمال الدولة بالنهار ويجلس في بيته للتدريس بالليل[٢]، ومنزل الإمام أبو حامد الغزالي الذي كان يعقد في منزله حلقة لطلابه بعد أن ترك التدريس في المدرسة النظامية، ومنزل أبي سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني الذي لازم بيته لظروفه الصحية فكان يأتي إليه طلبة العلم وتدور في منزله المناقشات والمحاورات في مواضيع علمية مختلفة ويحضرها أناس من مختلف المشارب والنحل من المسلمين وغيرهم[٣].

وكان شيوخ الشيعة يعلّمون في منازلهم فكان محمد بن عمران المرزباني المتوفى سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م وهو صاحب أخبار يستقبل أشياخه ليتدارسوا في بيته، ويبدو أنهم كانوا يتأخرون في مناقشاتهم فيبيتون عنده، وكان الشيعة الامامية يدرسون في منازلهم خوفاً من رقابة السلطة الحاكمة[٤].

---

(١) محمد بن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٣ ص١١٦ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٢ ص١٥٨ ، حسن عبد العال : التربية الإسلامية ص١٩٤ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٤ ص٢١٨ .

(٤) انظر حسن عبد العال : التربية الاسلامية ، ١٩٥ – ١٩٦ .

٦-المدارس :

المدرسة هي المؤسسة التعليمية ذات المستوى العالي التي يدرس فيها طلاب العلم مواد دراسية معينة ذات مستوى معين على أيدي أساتذة مخصوصين.

اختلف المؤرخون في مبدأ ظهور المدارس، فمنهم من جعلها ظهرت في القرن الثالث الهجري، ومنهم من أعاد ظهورها الي القرن الرابع الهجري ومنهم من اعتبر مدارس نظام الملك التى تعود الى ما بعد منتصف القرن الخامس الهجري هي أول المدارس في الاسلام.

وبالعودة إلى المصادر العربية نجد ذكراً لمدرسة يعود تاريخها إلى أوائل القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي هي المدرسة الحفصية التى أنشأها الامام أبو حفص الفقيه البخاري (١٥٠-٢١٧هـ/٧٦٧-٨٣٢ م) في مدينة بخارى وبقيت تعمل وتستقبل التلاميذ حتى النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي[1].

وبعد إنشاء هذه المدرسة نشطت حركة إنشاء المدارس في بخارى وفي بلاد المشرق الإسلامي خاصة في العهد الساماني، ويبدوا أن ذلك جاء بتشجيع من أمراء الدولة السامانيه، فأقيمت المدارس في بخارى وبلخ ونيسابور وغيرها، ومنها المدرسة التي أقامها الإمام أبو حاتم محمد بن حبّان (٣٥٤هـ/٩٦٥ م) في نيسابور عندما حول داره إلى مدرسة وحول اليها كتبه التي أوقفها على أهل العلم ورواد المدرسة[2]، إلاّ أن هذه المدارس كانت ذات طابع شخصي تنفرد بتدريس مذهب واحد وتهتم بعلوم الدين والفقه بالدرجة الأولى.

---

[1] الشيرازي : طبقات الفقهاء ، بغداد ١٩٣٧م ، ص١٢١ ، حسام الدين السامرائي : المدرسة مع التركيز على النظاميات / بحوث الحضارة الإسلامية ، ج٢ ص٣٣٥ .

[2] أنظر السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٢ ص١٤٢ - ١٤٣ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج١ ص٤١٨ ، آدم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج١ ص٣٢٩ .

ويتحدث المقريزي في كتابة المواعظ والاعتبار عن المدارس فيقول بأنـــها محدثة في الاسلام، ولم تكن موجودة زمن الصحابة ولا زمن التابعين وانما حـدث عملها بعد سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩ م، وذكر بأن أهل نيسابور أول من بنوا مدرســة في الإسلام فبنيت فيها المدرسة البيهقية[١].

وشهدت فترة أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الـــهجري نشـاطاً ملحوظاً في استحداث دور العلم وهي المدارس التي كانت تستقبل طــلاب العلـم، فأنشأ أبو علي بن سوار الكاتب (٣٧٢هـ/٩٨٢ م) داراً للكتب في مدينة البصــرة كان ينفق على من يقصدها للقراءة والنسخ، وكان فيها شيخ يدرس علم الكلام على مذهب المعتزلة[٢].

وفي بغداد اتخذ الشريف الرضي نقيب العلويين المتوفى سنة (٤٠٦ هـ/١٠١٥م) داراً سماها دار العلم فتحها للطلبة وعين من يهيئ لهم كل ما يحتاجون، وأنشـئت في مصر دور مشابهة لها كانت بمثابة مدارس علمية، فاشـــترى العزيـز بـالله الفاطمي سنة ٣٧٨هـ/٩٨٨ م داراً إلى جانب الجامع الأزهر وجعلـــها لخمســة وثلاثين من العلماء الذين يعقدون مجالسهم العلمية في المسجد كل جمعة، كما أمـر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بإنشاء دار سميت دار العلم أو (دار الحكمة) فــي مدينة القاهرة وحمل اليها الكتب من كل البلاد، وكان يدخل اليــها ســائر النـاس يقرءون وينسخون ورتب فيها جماعة من العلماء لتدريس الناس العلوم المختلفـــة، فكان لها ميزانية خاصة كل عام للإنفاق على حاجاتها من الورق والحبر والأقــلام والماء وأجرى على من يعمل فيها الرواتب والأرزاق [٣].

---

[١] المقريزي : المواعظ والاعتبار ، ج٤ ص١٩٩ .

[٢] المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص٤١٣ .

[٣] المقريزي : المواعظ والاعتبار ، ج٢ ص٣٧٩ ، ج٤ ص٢٠٠ ، آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج١ ص٣٣١ .

ومن المدارس التي ظهرت في هذه الفترة المدرسة التي أقامها الإمام حمد ابن عبدالله الدمشقي ٤٠٠هـ/١٠٠٩ م في مدينة دمشق[١] وسميت (دويره حمد) حيث كان يؤمها طلاب العلم ويدرسون فيها علم القراءات، وكان الإمام حمد نفسة معلماً في هذه المدرسة يعلم القراءة[٢]، والمدرسة الرشائية نسبة إلى رشا بن نظيف بن ما شاء الله الدمشقي في أوائل القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي وبدأت داراً للقرآن الكريم[٣] .

وذكر كارل ولتسينجر في كتاب (الآثار الإسلامية) في مدينة دمشق وجود مدرسة في مدينة دمشق كانت تعرف بالمدرسة الأمينية أسسها أمين الدولة سنة ٤١٢هـ/١٠٢١ م، غير أنه لا تتوفر أي معلومات أخرى عن هذه المدرسة ولا عن مؤسسها[٤].

أما الذهبي وابن خلكان فقد اعتبرا الوزير السلجوقي نظام الملك هو أول من أحدث المدارس في الاسلام[٥]، ويمكن اعتبار هذا الأمر صحيحاً إذا اعتبرنا أنه أول من أنشأ المدارس الرسمية المعروفة بالمدارس النظامية نسبة إليه و التى طبق فيها مبدأ التعليم العام وعلى نطاق واسع، وأمدَّ هذه المدارس بكل ما تحتاج إليه من كتب ولوازم وعين لها المدرسين والخدم واهتم بالتلاميذ فهيأ لهم المساكن

---

(١) هناك من يعتبر المدرسة الصادرية في دمشق وهي مدرسة فقهية أول المدارس في الاسلام استناداً إلى أنها بنيت سنة ٣٩١ هـ/١٠٠٠م ، إلاّ أنه بالعودة إلى النصوص ومقارنتها ، وتتبع تاريخ بنائها تبين أن هذه المدرسة تعود إلى سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م (أنظر ابن شداد : االاعلاق الخطيرة ، ص٢٠٠ ، أكرم العلبي : خطط دمشق ص١٩٦ – ١٩٧ ، محمد محاسنة : تاريخ مدينة دمسق ، ص٢٨٨) .

(٢) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ص١٩٣ ، أكرم العلبي : خطط دمشق ص٣٩٧ .

(٣) ابن جبير : الجامع الأموي ، ص٢٨ ، النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، ج١ ص١١ .

(٤) كارل ولتسنجر وواتسنجر : الآثار الإسلامية في مدينة دمشق ، ص ١٤١ .

(٥) أنظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٢ ص١٢٩ ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج٨ ص١٦٢ ، ابن العماد : شذرات الذهب ، ج٣ ص٣٧٣ .

وأجرى لهم الجرايات، وبدأ بإنشاء نظامية بغداد سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م، وانتهى من بنائها وافتتحها للتدريس سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٧م [١].

وانتشرت المدارس بعد ذلك في بلاد الخلافة العباسية وصار يطلق عليها اسم المدارس النظامية نسبة الى مؤسسها، فأقام مدرسة في بغداد وأخرى في بلخ ومدرسة في نيسابور ومدرسة بالموصل ومدرسة بهراة ومدرسة بأصبهان ومدرسة بالبصرة ومدرسة بمرو ومدرسة بآمل ومدارس أخرى كثيرة [٢].

وسار نور الدين زنكي على طريق مماثل من حيث الاهتمام بإنشاء المدارس في بلاد الشام، فقرب إليه العلماء وعمل على نشر التعليم وبنى المدرسة النورية الكبرى في دمشق سنة ٥٦٣هـ/١١٦٨ م التي زارها الرحالة ابن جبير فأعجب بها وكتب عنها فقال : (من أحسن مدارس الدنيا مظهراً مدرسة نور الدين رحمة الله وهي قصر من القصور الأنيقة ينصب فيها الماء في شاذ وران وسط نهر عظيم، ثم يمتد الماء في ساقية مستطيلة إلى أن يقع في صهريج كبير وسط الدار، فتحتار الابصار في حسن ذلك المنظر)[٣] . وتشتمل المدرسة على ساحات وقاعات للمحاضرات وغرف للمدرسين واستراحتهم وبيت خاص يسكنه رئيس المدرسين ومساكن للطلبة وخدم للمدرسة وغرفة مطبخ وقاعة للطعام ومخازن وكل ما يلزم المدرسة وروادها.

ومن المدارس المشهورة المدرسة المستنصريه التي بناها الخليفة العباسي المستنصر بالله في بغداد في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي[٤]، وهي من أحسن المدارس في العالم الإسلامي، وجعل فيها إيواناً لكل مذهب من المذاهب

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٢ ص١٢٩ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، ج٤ ص١٩٩ .

(٢) أنظر السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٣ ص١٣٧ ، حسام الدين السامرائي : المدرسة مع التركيز على النظاميات / بحوث الحضارة الإسلامية ، ج٢ ص٣٤٧ .

(٣) ابن جبير : الرحلة ، ص٢٦٥ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣ ص١٧٠ .

السنية الاربعة وعين لكل مذهب أستاذاً يقوم بتعليم عدد من التلاميذ بالمجان،وعين لكل أستاذ مرتب شهري وجراية لكل طالب مقدارها ديناراً من الذهب مع كل ما يلزمه من مأوى وطعام وشراب، وكانت ملحقة بالمدرسة مكتبة كبيرة تحوي كتباً تشتمل على مختلف التخصصات العلمية والأدبية، كما كان ملحقاً بها حمامٌ ومستشفى فيه طبيب خاص بطلاب المدرسة ومعلميها وموظفيها (١).

ويشير ابن كثير الى أن بناء المدرسة اكتمل سنة ٦٣١هـ/١٢٣٣م، ووقفت على المذاهب الأربعة من كل طائفة اثنان وستون فقيهاً وأربعة معيدين ومدرس لكل مذهب وشيخ حديث وقارئان وعشرة مستمعين وشيخ طب وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطب، ومكتب للأيتام، وقدر للجميع من الخبز واللحم والحلوى والنفقة مافية كفاية وافرة لكل واحد (٢).

وخطا صلاح الدين الأيوبي خطوات كبيرة في نفس الاتجاه فكان يقوم ببناء المدارس التي تدرس الفقه على المذاهب السنية، فبنى في القاهرة مدارس لأهل السنة وكذلك بنى مدارس في دمشق والقدس وغيرها من مدن الشام ومصر. وبذلك انتشر بناء المدارس في ولايات ومدن العالم الاسلامي حتى أصبحت محجاً لطلاب العلم من كافة أرجاء العالم، فذكر المقريزي أنه كان في مدينة القاهرة ثلاث وستون مدرسة، كما أشار ابن جبير أن عدد مدارس بغداد في القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي ثلاثون مدرسة(٣).

أما مدينة دمشق فاشتملت على عدد كبير من المدارس، فيذكر النعيمي أنه كان في دمشق وحدها سبع مدارس للقرآن الكريم، وست عشرة مدرسة للحديث وثلاث مدارس للقرآن والحديث معاً وثلاث وستون مدرسة للفقه الشافعي واثنتان

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣ ص ١٧٠ ، ابن العماد : شذرات الذهب ، ج٥ ص٢٠٩ ، عبدالله عبد الدائم: التربية عبر التاريخ ، ص١٥٤ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣ ص١٥٠ .

(٣) ابن جبير : الرحلة ، ص٢٠٥ .

وخمسون مدرسة للفقه الحنفي واربع مدارس للفقه المالكي وإحدى عشرة مدرسة للفقه الحنبلي بالإضافة إلى مدارس الطب والرباطات والفنادق والزوايا والجوامع حيث كانت تلحق بها مدارس يتعلم فيها الطلاب العلم [1].

المدرسون والرواتب :

انقسم المدرسون الى عدة أقسام هي :

١-معلمو الكتاتيب: وحملوا اسم المعلمين أو المكتّبين، وهم الذين يعلمون الصبيان في المراحل الاولى أصول القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، ويتقاضون الأجور على تعليم الصبيان لكن دخلهم قليل لانهم في الغالب يدرسون أبناء الطبقات الفقيرة، فكان كثير منهم يعاني من الحرمان ويرضى بشظف العيش[2].

٢-المؤدبون : وهم مدرسون خصوصيون يقومون بتدريس أبناء الخلفاء والأمراء وابناء الطبقات الميسورة كالوزراء والأعيان، وكان يتم اختيارهم من كبار العلماء والادباء[3]، وحظي هؤلاء المؤدبين بمكانه طيبة على خلاف معلمي الكتاتيب وحصل بعضهم على مناصب رفيعة فعينوا قضاة أو محتسبين .

٣- معلمو المدارس والحلقات : وقد حظي هؤلاء بكثير من الإجلال والتقدير، وكانوا يعاملون معاملة طيبة، فكان معلمو الحلقات في المساجد من القراء أو الفقهاء وأهل الحديث، وأطلق عليهم اسم(الشيوخ)، وكان بعضهم يجلس

---

(1) أنظر النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، ج١ ٢٩، ٣٨ ، ٨٩، ١٥٨ – ١٥٩ ، ٢١٥ – ٢١٦ ، ٢٣٢، ٢٣٦ ، ٢٧٦ – ٢٧٧ ، أكررم العلبي : خطط دمشق ، ص٤٢ – ٩٣ ، ٩٧ – ١٦٧ ، ١٧٤ – ٢٢٩ ، مصطفى السباعي : من روائع حضارتنا ، ص١٩٤ .

(2) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص١٢٧ ، ص١٢٧ ، القابسي : الرسالة المفصلة ، ص٣٢٠ .

(3) الجاحظ : البيان والتبيين ، ج١ ص ١٤٠ – ١٤١ ، أحمد شلبي : التربية والتعليم ، ض٢٢٨ .

للتدريس بدون أجر مادي خدمة للعلم ورغبة في ثواب الله تعالى[1]، أما المدارس فاهتمت بتوفير قدر من الاستقرار المادي للمعلمين حتى يتفرغوا للتعليم والقيام بعملهم على أحسن وجه.

ويبدو أن تحديد رواتب دائمة للمعلمين كان عندما أنشأ نظام الملك المدارس النظامية حيث لاقى هذا العمل اعتراض علماء ما وراء النهر فأنكروا ذلك عليه واعتبروه إساءة للعلم والعلماء، إلا أن هذا الاعتراض لم يدم فترة طويلة أمام تطور الحياة وضرورات العيش، وصار للمدرسين رواتب تختلف في القلة والكثرة حسب البلاد والمدارس والاوقاف الموقوفة عليها، لكنها في جميع الحالات تكفي المعلم ليعيش حياة طيبة.

ولم يكن يجلس للتدريس إلاّ من شهد له الشيوخ بالكفاءة والمقدرة، فلما أنشئت المدارس أصبح يمنح التلاميذ الخريجون (إجازات علمية) يعطيها شيخ المدرسة ولا يسمح لبعض التخصصات ممارسة العمل إلاّ إذا حصل على إجازه لممارسة المهنة كالطب مثلاً.

أما ملابس المدرسين فقد اختلفت من عصر الى آخر، فكان الخلفاء والفقهاء والولاة يلبسون ملابس شبيهة بملابس الرسول صلى الله علية وسلم حتى قيام الدولة الأموية وهي تتكون من إزار وسروال وقميص وعباءة وعمامة وخفين وكان أللّون الأبيض أحب الألوان إلى الرسول صلى الله علية وسلم فقلده الخلفاء والفقهاء في ذلك.

وأدخل الأمويون لباس الجبة وتأثروا في ملابسهم بلباس الدول التي خضعت للإسلام، وغير العباسيون شعارهم إلى السواد فأصبحت عمامة المدرسين والقضاة من اللون الأسود إضافة إلى الطيلسان أما المدرسون عند الفاطميين فتميزوا

---

[1] الخطيب البغدادي :تاريخ بغداد ، ج٤ ص١٥٠ – ١٥١ ، ج٥ ص ١٠، ١١ ، أحمد شلبي : التربية والتعليم، ص٢٤٤، عبد الله العمري : تاريخ العلم عند العرب ، ص٢٦ .

بلباس خاص يشتمل على عمامة خضراء وكسوة مذهبة تتكون من ست قطع أهمها القلنسوة والطيلسان[1].

وكان للمعلمين نقابة كنقابة الطالبيين ونقابة الأشراف حيث يقوم المدرسون باختيار النقيب ولا يتدخل السلطان في ذلك إلا إذا حدث خلاف بين أعضاء النقابة.

وكان الانفاق على المدارس والمدرسين والتلاميذ من خلال الأوقاف التابعة للمدارس فكان أهل الخير وكبار الأغنياء والتجار والأمراء يتسابقون لبناء المدارس وإيقاف الوقف عليها بما يضمن استمرارها وإقبال طلبة العلم على ارتيادها[2] وبعضهم كان يحول بيته الى مدرسة حتى أن الرحالة الأندلسي ابن جبير عندما زار بلاد المشرق الاسلامي هاله ما رأى في المشرق من كثرة المدارس والغلات الوافرة التي تنتجها أوقافها، ودعا المغاربة ان يرحلوا إلى المشرق لتلقي العلم[3].

فمثلاً كانت الأوقاف التي ألحقت بالمدرسة النورية كثيرة ومثبتة على باب المدرسة وتشمل الحمام المستجد بسوق القمح والحمامين المستجدين بالوراقة خارج باب السلامة والدار المجاورة لهما، وجنينة الوزير، والنصف والربع من بستان الجوزة بالارزة، والأحد عشر حانوتاً خارج باب الجابية ، والساحة الملاصقة لهما من الشرق وتسعة حقول بداريّا.

ويذكر ابن عساكر قصيدة لسلطان بن علي بن منقذ الكتّاني في وصف دمشق يتحدث فيها عن مدارس دمشق منها قوله :

---

[1] القلقشندي : صبح الاعشى ، ج٤ ص٤١ – ٤٢ ، المقريزي : الخطط ، ج٢ ص٤٥٣ ، خليل طوطح : التربية عند العرب ، ص٥٢ ، مصطفى السباعي :من روائع حضارتنا ، ص١٨٨ – ١٨٩ .

[2] ابن جبير : الرحلة ، ص ٢٠٥ .

[3] ابن جبير : الرحلة ، ص ٢٥٨ .

ومدارسٌ لم تأتِها في مُشْكِلٍ .... إلاّ وجَدْتَ فتىً يحلُّ المُشْكِلا
ما أمّها مرء يُكابد حيرَةً .... وخصاصةً الا اهتدى وتموّلا
وبها وقوف لا يَزالُ مغلِها .... يستنْقِذُ الاسرى ويُغني العيِّلا
وأئمةٌ تَلقي الدُّروسَ وسادَة .... تُشفي النُّفُوسَ ودَاؤُها قد أعضلا

المكتبـــات

عرفت المكتبات في البلاد العربية قبل الاسلام فكان في مدينة الإسكندرية بمصر مكتبة مشهورة، وكذلك كان في مدن الرها وقنسرين ونصيبين في الجزيرة الفراتيه مكتبات للسريان واليونان، حيث كانت هذه البلاد على اتصال وثيق بالحضارة اليونانية، كما أنشأ كسرى أنو شروان مدرسة في جند يسابور تدرس الطب والفلسفة، فاستدعى ذلك وجود مكتبة توفر الكتب لأساتذة هذه المدرسة وطلابها.

كان اهتمام العرب والمسلمين بالعلم يدعو الى الاهتمام بالمكتبات، فتطور الحركة العلمية والإقبال على الدراسة يستدعي توفير الكتب لذلك عرف العرب المكتبات وأولوها عناية خاصة لتلبي حاجاتهم بتوفير الكتاب الذي هو أساس القراءة ومصدر العلم والثقافة الذي يبقى بتغير الزمان ويحيا بعد موت العلماء.

بدأ احتفاظ المسلمين بالكتب منذ عهد الرسول صلى الله علية وسلم الذي دعى أصحابه ليكتبوا له الوحي، فكانوا يكتبون آيات القرآن الكريم في صحف يحتفظون بها، فلما توفي عليه الصلاة والسلام أمر أبو بكر أن يكتب القرآن ويجمع في مصحف واحد احتفظوا به إلى أن كتب على عدة نسخ في خلافة عثمان رضي الله عنه.

وكان بعض الصحابة يحتفظون بما يتوفر لديهم من كتب في منازلهم مثل على بن أبي طالب رضي الله عنه وسعد بن عبادة الأنصاري وعبد الله بن مسعود

وأسماء بنت عميس و عبدالله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس وعبدالله بن عمر بن الخطاب وغيرهم(١).

لقد اهتم المسلمون بالكتب اهتماماً كبيراً حتى أن بعض الخلفاء استخدم الكتب وسيلة للتصالح مع أعداء الإسلام فكانت شرطاً من شروط الصلح، فالخليفة العباسي هارون الرشيد بعد انتصاره على الروم طالب بتسليم المخطوطات اليونانية للمسلمين، وفعل مثل ذلك ابنه المأمون بعد انتصاره على إمبراطور بيزنطة ميخائيل الثالث فطالب بتسليم جميع المخطوطات اليونانية الخاصة بالفلسفة ولم تترجم الى العربية وأرسل علماء الى بلاد الروم للقيام بهذه المهمة(٢).

لذلك كان لانتشار العلم والمعرفة واتصال المسلمين بالحضارات الاجنبية التي وجدوها في البلاد المفتوحة دور في الاهتمام بالكتب وظهور المكتبات في العالم الإسلامي، فقد حرص الخلفاء والأمراء والعلماء والأدباء على اقتناء الكتب وتكوين المكتبات، فاستطاع حكيم بني أميه خالد بن يزيد بن معاوية تكوين مكتبة علمية، فكان مولعاً بالكيمياء، لهذا حرص على جمع الكتب الكيميائية وترجمة ما يتوفر منها باللغات الاجنبية الى اللغة العربية(٣)، كما أنشأ يحي بن خالد البرمكي مكتبة تضم ثلاث نسخ من كل كتاب(٤). وكان الواقدي ينفق على نسخ الكتب فكان له غلامان مملوكان يكتبان له بالليل والنهار، وابتاع كتباً بألفي دينار، وعند وفاته

---

(١) عمر فروخ وآخرون : تاريخ العلوم عند العرب ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٩٠م ، ص ٣٤٠ .

(٢) أنظر ابن النديم : الفهرست ، ص٣٣٩ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، دار الفكر ، بيروت ١٩٥٦م ، ج١ ص١٤٣ ، مصطفى السباعي : من روائع حضارتنا ، ص٢٢٥ ،محمد ماهر حمادة: المكتبات في الاسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت١٩٧٨م،ص٥٩.

(٣) ابن النديم : الفهرست ، ص٤٩٧

(٤) الجاحظ : كتاب الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ١٩٣٨م ، ج١ ص٦٠ ، عبد الستار الحلوجي : المكتبات ، تاريخها وتطورها ، المؤسسة العربية ، القاهرة ١٩٨٩م ، ص ٤٦ .

ترك ستمائة قمطراً كتباً كل قمطر حمل رجلين[1]، مما يدل على أنه كان يمتلك مكتبة حسنة.

وذكر المقدسي أن عضد الدولة البويهي (ت٣٧٢هـ/٩٨٢م) كان يمتلك خزانة كتب جمع فيها كل الكتب المعروفة حتى زمنه، وكانت مبوبة ومفهرسة ولها موظفون يقومون على رعايتها والإشراف عليها[2]، بينما اشتملت مكتبة الصاحب بن عباد (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م) على اكثر من مائتي ألف كتاب[3].

وعرف المسلمون عدة أنواع من المكتبات هي المكتبات العامة والمكتبات الخاصة، ومكتبات المدارس والمساجد.

١-المكتبات العامة :

وكان يقيمها الخلفاء والأمراء والعلماء وأغنياء الناس، وتشيد لها أبنية خاصة، وأحياناً تلحق بعض هذه المكتبات بالمدارس أو بالمساجد، فكان المسلمون يولونها عناية خاصة فكانت أبنيتها تشتمل على غرف وايونات متعددة تربط بينها أروقة واسعة، وتثبت رفوف الكتب بجانب الجدران، وتشتمل على غرف للنسخ وغرف للقراءة والمطالعة وغرف تجري فيها حلقات الدرس والمناقشة واشتملت بعض المكتبات على غرف الاستراحة والترويح، وتميزت جميع مرافق المكتبة بأنها كانت تؤثث تأثيثاً فاخراً ومريحاً وتفرش أرضياتها بالبسط وتغطى نوافذها بالستائر بحيث تتوفر فيها كل الوسائل المناسبة للمطالعة والدرس.

واشتملت هذه المكتبات على فهارس منظمة تسهل الرجوع الى الكتب ومرتبة حسب الموضوعات، كما اشتملت المكتبات على عدد من الموظفين

---

(1) ابن النديم : الفهرست ، ص١٤٤ .

(2) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص٤٤٩ .

(3) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، دار المأمون ، القاهرة ١٩٣٨م ، ج٦ ص٢٥٩ .

للإشراف عليها وتنظيم الكتب فيها و فهرستها والقيام بكل ما يلزم لها من خدمة واشتمل موظفو المكتبات على الجماعات التالية[1]:-

١-خازن المكتبة : وهو مديرها ويتم اختياره من خيار العلماء .

٢- المناولون : وهم موظفون يقومون بتحضير الكتب للقراء ورواد المكتبة من أجل المطالعة.

٣-النساخ : ويقومون بنسخ الكتب للمكتبة خاصة النادر منها وكتابتها بخطوط جميلة.

٤-المترجمون : ويقومون بنقل الكتب من اللغات المختلفة إلى العربية.

٥-المجلدون : ويجلدون الكتب لحمايتها وحفظها من التلف.

٦-المفهرسون : ويعملون على تنظيم الكتب في الرفوف وفهرستها لتسهيل الرجوع إليها.

٧-الخدم: ويقومون بتنظيف المكتبة وعمل كل ما تحتاج إليه من صيانة وخدمات.

وكان لكل مكتبة نظام إعارة، حيث كان يسمح بإعارة الكتب إعارة خارجية لقاء ضمان يقدمه رواد المكتبة إذا كان من عامة الناس، أما إذا كانوا من الطلبة والعلماء فلا يؤخذ منهم شيءٌ.

وكان الإنفاق على المكتبات من ريع الأوقاف التي توقف عليها، حيث كانت الدولة تخصص لها أوقافاً معينة، ويقدم لها بعض الأغنياء وأهل الخير أوقافاً تساعد في الإنفاق عليها ومن أشهر المكتبات العامة عند المسلمين:-

أ- بيت الحكمة:

وهي مكتبة كبيرة عامرة أنشأها أولاً الخليفة العباسي هارون الرشيد سنة(١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩ م) في بغداد، فقد كان الرشيد يحب العلم ويشجع

---

[1] احمد امين : ضحى الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٦م ، ج٢ ص٦٤ ، مصطفى السباعي : من روائع حضارتنا ، ص٢٢٥ .

العلماء[1]، وكانت هذه المكتبة تشتمل على عدد كبير من الكتب العلمية والأدبية، ووصلت هذه المكتبة أوج ازدهارها في خلافة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) الذي أولى العلم والتأليف عناية فائقة، فكان ينفق على كل عمل علمي بمقدار وزنه ذهباً [2]وكان شغوفاً بعلوم الحكمة فأرسل في طلب الكتب من جميع الأقطار واختار المترجمين من اللغات الاجنبية اليونانية والسريانية والفارسية والقبطية لترجمة الكتب من هذه اللغات الى العربية.

وكان في بيت الحكمة ما ألّفه العلماء والأدباء في مجالات اللغة والتاريخ والفقة وعلم الكلام وغيرها، فعمل في هذه المكتبة عدد كبير من العلماء منهم حنين بن إسحاق ويوحنا بن ماسويه ويوحنا بن البطريق وأبناء موسى بن شاكر و محمد بن موسى الخوارزمي وعلان الشعوبي وسعيد بن هارون الكاتب و ثابت بن قرة الحراني ويعقوب بن إسحاق الكندي وأبو سهل الفضل بن نوبخت وغيرهم[3].

وتسلم إدارة هذه المؤسسة عدد من العلماء منهم سهل بن هارون وهو شاعر فارسي الأصل، كما تولاها معه سعيد بن هارون الكاتب، ورجل آخر اسمه سلم كان من العلماء الذين أرسلهم المأمون إلى بلاد الروم لإحضار المخطوطات والكتب العلمية[4].

واستمر وجود بيت الحكمة في بغداد مكتبة عامة تقدم لطلاب العلم كل ما يحتاجون إليه من الكتب، وتهيئ لهم الأجواء المناسبة للدراسة والمطالعة، وكانت بالإضافة الى كونها مكتبة مركزاً للثقافة العربية الإسلامية ومنتدى للعلماء وقاعة

---

(١) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج١٤ ص٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٠ ص٢٢٤ ، ناجي معروف : أصالة الحضارة العربية ، ص٤٤٢ .

(٢) اب أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ج٢ ص١٤٣ ، ١٦٠ ، عبد الستار الحلوجي : المكتبات ص٤٩ .

(٣) ناجي معروف : أصالة الحضارة العربية ، ص٤٤٥ — ٤٤٧ .

(٤) ابن النديم : الفهرست ، ص١٧٤ ، محمد ماهر حمادة : المكتبات في الإسلام ، ص٦٦ — ٦٧ .

بحث للدارسين ومركزاً لترجمة الكتب ونسخها، فبقيت تقدم خدماتها لروادها من الأدباء والعلماء إلى أن استولى المغول على بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م،فتعرضت كغيرها من منشآت العالم الإسلامي للتدمير والاحراق والضياع[١].

ب- دار الحكمة :

وهى مكتبة الفاطميين التي أنشأها الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله في القاهرة وافتتحت سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٥ م، وتحدث عنها المقريزي في خططه فقال: (وفي يوم السبت العاشر من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة فتحت الدار الملقبة بدار الحكمة، وجلس فيها الفقهاء وحملت الكتب اليها من خزائن القصور المعمورة، ودخل الناس اليها ونسخ كل من التمس نسخ شيء مما فيها مما التمسه، وكذلك من رأى قراءة شيء ممافيها ، وجلس فيها القراء والمنجمون، وأصحاب النحو واللغة والأطباء بعد أن فرشت هذه الدار وزخرفت وعلقت على جميع أبوابها وممراتها الستور، وأقيم قوام وخدّام وفراشون وغيرهم وسموا بخدمتها، وحصل في هذه الدار من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب التي أمر بحملها إليها من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة ما لم ير مثله مجتمعاً لأحد قط من الملوك) [٢].

فكانت هذه المكتبة تحوي الكثير من الكتب النفيسة وفي شتى ميادين العلم والادب، ويذكر المقريزي أنها كانت تضم أربعين خزانة كان في واحدة من هذه الخزائن (١٨٠٠٠) كتاب من كتب العلوم القديمة، وكانت هذه المكتبة تفتح أبوابها

---

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٧ ص٥١ ، شعبان عبد العزيز خليفة : الكتب والمكتبات في العصور الوسطى ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ١٩٩٧م ، ص٢٩٢ - ٢٩٣ .

(٢) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، ج٢ ص٣٧٩ ، وانظر اتعاظ الحنفا ، ج٢ ص٥٦ .

لجميع الناس على اختلاف طبقاتهم وفئاتهم، وهيأ لهم الخليفة الحاكم كل ما يحتاج إليه زوارها من الحبر والأقلام والورق وغير ذلك[١].

ويذكر بعض المؤرخين أن المكتبة كانت تحتوي على (٦٠٠٠٠٠)كتاب وقال آخرون فيها مائتا ألف مجلد مصنفة في الفقه والمذاهب المختلفة واللغة العربية والحديث والتاريخ والسير والفلك والدين والكيمياء إضافة إلى أعداد كبيرة من المصاحف الشريفة، ويذكر أبو شامة أنها كانت تضم بين كتبها (١٢٢٠) نسخة من كتاب تاريخ الطبري، وأن مجموع كتبها مليونا كتاب[٢].

وكان من عادة الخليفة إذا قام بزيارة هذه المكتبة أن يترجل ويسير إلى دكة مرتفعة فيجلس عليها، ويأتيه خازن المكتبة بنسخ مختلفة من المصحف الشريف مختلفة الحجم، ويطلب غيرها فيقوم الخليفة بالمصادقة على اقتنائها[٣].

وبقيت هذه الدار قائمة يؤمها طلاب العلم والثقافة الى أن سقطت الخلافة الفاطمية، وسيطر صلاح الدين الأيوبي على أمور مصر، فهدمها وبنى مكانها مدرسة للشافعية[٤].

ج- مكتبة قرطبة :

وهي المكتبة التي أنشأها عبد الرحمن الاوسط في الأندلس في أوائل القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وهي مكتبة ضخمة أرسل مؤسسها بعض المندوبين إلى المشرق لإحضار الكتب لها من مكتبات المسلمين هناك.

واهتم بهذه المكتبة عبدالرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٣-٩٦١ م) الذي جمع حوله الشعراء والمفكرون، وجهد للحصول على الكتب المختلفة من جميع

---

(١) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ج٢ ص٥٦ ، المواعظ والاعتبار ، ج٢ ص٣٧٩ .

(٢) أبو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين ، دار الجيل ، بيروت ، ج١ ص٢٠٠ ، عبد الستار الحلوجي : المكتبات ، ض ٥٠ .

(٣) أنظر سعيد اسماعيل علي : مهاعد التربية الإسلامية ، ص٤٣٢ – ٤٣٣ ، عبد الستار الحلوجي : المكتبات ، ص٥٠ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، ج٤ ص٧٩ ، عبد الله العمري : تاريخ العلم عند العرب ، ص٣٨ .

أنحاء العالم الإسلامي، كما حاول الحصول على الكتب من مدينة القسطنطينية، فأحضر منها الكتب اليونانية التي ضمت كتاب ديوسقوريدس في الأدوية والنبات وكتاب هروسيوس ويبحث في تاريخ اليونان والرومان[1].

- أما الحكم الثاني (المستنصر بالله، ٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦ م)فكان ذا ثقافة عالية سار على نهج والده وتتلمذ على أبي علي القالي صاحب كتاب الأمالي، وذكر ابن خلدون أنه كان محباً للعلم ويكرم أهله، جمّاعة للكتب، فكان ينفق على شرائها أموالاً كثيرة، فعندما وصله خبر يفيد أن أبا الفرج الأصفهاني يؤلف كتاباً لم يسبق إليه هو كتاب الأغاني، أرسل إليه ألف دينار من الذهب الخالص ليبعث له بنسخة الكتاب قبل وضعه في مكتبات العراق ففعل[2].

ويذكر بأن هذه المكتبة كانت تضم أربعمائة ألف مجلد، ولها فهرسة تشتمل على أربعة وأربعين مجلداً في كل مجلد خمسون ورقة كان من بينها عشرون ورقة للشعر وحده[3].

وبقيت هذه المكتبة عامرة تستقبل رواد العلم و المعرفة إلى عهد الدولة العامرية، حيث أحرقت كثير من كتب الفلسفة الموجودة فيها إرضاء للعامة والفقهاء.

٢-المكتبات الخاصة :

وهي المكتبات التي أنشأها العلماء في بيوتهم، وكانوا لا يقصرون نفعها على أنفسهم، بل يسمحون للآخرين بالاستفادة منها وكانت هذه المكتبات منتشرة في بلاد

---

(1) شعبان عبد العزيز خليفة : الكتب والمكتبات في العصور الوسطى ، ص ٣٠٦ ، عمر فروخ وآخرون : تاريخ العلوم عند العرب ، ص ٣٤٢ .

(2) المقري : نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، ج١ ص٣٨٦ ، سعيد اسماعيل علي : معاهد التربية الإسلامية ، ص٤٣٧ .

(3) المقري : نفح الطيب ، ج١ ص٣٨٥ ، شعبان عبد العزيز : الكتب والمكتبات ، ص٣٠٦ – ٣٠٧ .

العالم الإسلامي عند الأدباء والعلماء، فلا تجد عالماً أو أديباً إلاّ وله مكتبة خاصة، وكانت بعض هذه المكتبات تحوي آلاف الكتب، ومنها :

١-مكتبة الفتح بن خاقان المتوفى سنة (٢٤٧هـ/٨٦٠م) : وكان الفتح من المحبين للكتب والاشتغال بالعلوم، وأقام في بيته خزانة كتب كانت من المكتبات العامرة بأنواع الكتب المختلفة، عهد بجمعها الى واحد من خيرة رجال عصره في العلم والأدب هو علي بن يحيى المنجم، وكان يحضر الى هذه المكتبة فصحاء الأعراب وعلماء الكوفيين والبصريين[١].

٢-مكتبة حنين بن إسحاق المتوفى سنة(٢٦٠هـ/٨٧٣ م)، وكان من أشهر المترجمين الى اللغة العربية، فكان يترجم من الفارسية والسريانية واليونانية، وكونَ مكتبة كبيرة احتوت على مجموعات كبيرة من الكتب الأجنبية، وكان يتنقل بين الأقطار للحصول على الكتب، وقد عينه المأمون رئيساً لقسم الترجمة في بيت الحكمة، فترجم كتب أفلاطون وأرسطو وديوسقوريدس، وألف عدداً من الكتب أكثرها في الطب [٢].

٣- مكتبة ابن العميد وزير البويهيين أبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد الكاتب المعروف، وهو أديب فاضل له أثر كبير على الكتابة العربية حتى قال عنه الثعالبي (بدأت الكتابة بعبد الحميد وانتهت بابن العميد)[٣]، وكانت له مكتبة رائعة أشرف عليها المؤرخ المشهور ابن مسكويه، وفيها من الكتب ما يزيد على حمل مائة وقر[٤].

---

[١] ابن النديم : الفهرست ، ص١٦٩ ، محمد ماهر حمادة : المكتبات في الإسلام ، ص٨٧ .

[٢] ابن النديم : الفهرست ، ص٤٠٩ – ٤١٠ ، شعبان خليفة : الكتب والمكتبات ، ص٢٧٢ – ٢٧٣ .

[٣] ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج٥ ، ص ١٠٣ – ١٠٤ ، ١٠٩ وما بعدها .

[٤] أنظر ابن مسكويه : تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، شركة التمدن الصناعية ، القاهرة ، ج٦ ص٢٢٤ – ٢٢٥، محمد ماهر حمادة : المكتبات في الإسلام ، ص٨٨ – ٨٩ .

٤-مكتبة العماد الأصفهاني : وهو أبو عبدالله محمد بن محمد الكاتب المتوفى سنة (٥٩٧هـ/١٢٠٠م) عاش في دمشق وتلقى العلم في بغداد، وعمل في خدمة السلطان صلاح الدين الأيوبي وارتحل معه الى مصر، فحصل على نصيب كبير من الكتب الفاطمية التي عرضت للبيع بعد إلغاء الخلافة على يد صلاح الدين، وكان العماد كاتباً ومؤلفاً من الطراز الأول أنشأ مكتبة فريدة، وكان صاحب مؤلفات كثيرة منها : الفتح القسي في الفتح القدسي، وديوان الرسائل وديوان شعر وكتاب البرق الشامي، وكتاب خريدة القصر وفريدة العصر(١) .

٥-مكتبة سفيان الثوري المتوفى سنة (١٦١هـ/٧٧٨م) وهو من الائمة المجتهدين وكبار المؤرخين، اشتغل بالفقه والحديث وله كتب كثيرة منها الجامع الكبير والجامع الصغير وكتاب الفرائض، كون مكتبة كبيرة، لكنه قام بدفنها عندما امتنع عن تولي القضاء للمهدي خوفاً عليها، فلما توفي المهدي أخرجوا هذه المكتبة، فوجدوا فيها تسع قمطرات كل واحد منها بارتفاع قامة الرجل الى صدره(٢).

٦-مكتبة العزيز بالله الفاطمي المتوفى سنة (٣٦٥هـ/٩٧٥ م)، فيذكر المقريزي أن الخليفة الفاطمي العزيز بالله كانت له خزانة كتب فيها ثلاثون نسخة من كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي منها نسخة بخط الفراهيدي نفسه،وعشرون نسخة من كتاب تاريخ الطبري منها نسخة بخط الطبري، ومائة نسخة من كتاب الجمهرة لابن دريد (٣). كما كان لوزيره يعقوب بن كلس مكتبة

---

(١) أنظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣ ص٣٣ – ٣٤ ، المقريزي : المقفى الكبير ، ج٧ ص٢٠٤ – ٢١١، ابن العماد : شذرات الذهب ، ج٤ ص٣٣٢ – ٣٣٣ .

(٢) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج٩ ص١٦١ ، شعبان خليفة : الكتب والمكتبات ، ص٢٧٤ – ٢٧٥ .

(٣) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، ج٢ ص٢٩٠ .

ضخمة كان يجتمع فيها النساخون المهرة فينسخون القرآن الكريم، وبعضهم ينسخ الحديث والفقه [1].

٧-مكتبة أسامة بن منقذ المتوفى سنة (٥٨٤هـ/١١٨٨ م): وهو مؤرخ وأديب مشهور له من المؤلفات كتاب الاعتبار، والبديع ولباب الآداب، وكانت له مكتبة عامرة، يقال أنه باع منها أربعة آلاف كتاب في ضائقة لحقت به فلم تتأثر بذلك [2].

٣-مكتبات المساجد والمدارس :

ولما كانت المساجد مكاناً لحلقات العلم والدراسة عند المسلمين، فقد حرص المسلمون على تزويدها بالكتب التي تلزم العلماء والتلاميذ فأقيمت المكتبات في المساجد أو ملحقة بها، وكذلك زودت المدارس بالكتب لكي تكون في أيدي طلاب العلم .

فبعد تحويل الجامع الأزهر إلى مركز للعلم نقل إلية الخليفة العزيز الكثير من المصاحف والكتب وكان يزوده بالكتب بصورة دائمة حتى أصبح يضم أكثر من أربعين غرفة للكتب[3]، وكانت مكتبة الجامع الأزهر من المكتبات الهامة في العصر الفاطمي وكان يعهد بالإشراف عليها إلى داعي الدعاة .

وكانت في المساجد الكبرى أيضاً مكتبات تحتوي على الكتب الدينية والمصاحف بالدرجة الاولى إضافة الى الكثير من الكتب في العلوم الأخرى بما يلبي حاجة العلماء والدارسين فيها، فكانت مكتبة في المسجد الحرام بمكة المكرمة،

---

(١) اللواداري : الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية ، ص٢٢٥ – ٢٢٦ ، شعبان خليفة : الكتب والمكتبات، ص٢٧٥ .

(٢) ياقوت الحموي : معجم الادباء ، ج٥ ص٢٤٣ ، محمد ماهر حمادة : المكتبات في الاسلام ، ص٩٥ .

(٣) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، ج٤ ص٥٢ – ٥٣ ، سعيد اسماعيل علي : معاهد التربية الاسلامية ، ص ٤١٠ .

ومكتبة في المسجد النبوي بالمدينة المنورة، ومكتبة في جامع الزيتونة بتونس، ومكتبة في جامع بني أمية بدمشق، ومكتبة في جامع قرطبة بالأندلس .

وكذلك اشتملت المدارس الإسلامية على مكتبات هامة فخصصت للمدرسة النظامية في بغداد مكتبة غنية زودَها نظام الملك بالكتب النفيسة، وألحق المستنصر بالله العباسي بالمدرسة المستنصرية في بغداد مكتبة ضمت المصاحف والكتب العلمية والأدبية بما قدّره بعض العلماء بثمانين ألف مجلد [1].

وضمت المدرسة الناصرية بمصر التي أقامها السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م خزانة كتب كبيرة، وفي المدرسة الجمالية بمصر التي انتهت عمارتها سنة ٨١١هـ /١٤٠٨م (خزانة كتب كان فيها عشرة مصاحف كبيرة طول المصحف ٤-٥ أشبار، وكتب أخرى في مختلف العلوم والفنون) [2].

وهنالك مكتبات كان يتم إلحاقها بالمستشفيات، ليستفيد منها الأطباء والتلاميذ الذين كانوا يدرسون الطب ويتدربون في المشافي الإسلامية، فانشأ نور الدين زنكي في دمشق مارستاناً في القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي،الحق به مكتبة كانت تضم جملة واسعة من كتب الطب وأوقفها على الطلبة والمعلمين[3].

وكذلك الحقت بالمارستان المنصوري في القاهرة الذي أنشأه المنصور قلاوون[4] مكتبة تشتمل على الكتب الطبية زاد عددها على المائة ألف كتاب، ويقال أن أكثرها نقل من دار الحكمة في القاهرة.

---

(1) محمد ماهر حمادة : المكتبات في الاسلام ، ص١٣٩ – ١٤٢ .

(2) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ج٢ ص٣٨٢ ، سعيد اسماعيل علي : معاهد التربية الاسلامية ، ص٤١٥ .

(3) النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، ج١ ص١٣٧ – ١٣٨ ، محمد ماهر حمادة : المكتبات في الاسلام ، ص١٤٥ .

(4) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، ج٤ ص٢٦٨ – ٢٦٩ .

المستشفيات :

كان المستشفى عند المسلمين يعرف باسم المارستان أو البيمارستان، وهو لفظ فارسي يتكون من مقطعين هما: البيمار وتعني المرضى وستان وتعني الموضع، فيكون معناها موضع المرضى أو بيت المرضى[1]، وهو المكان المخصص لاقامة المرضى من أجل تلقي العلاج، والذي يتدرب فيه طلاب العلم في مهنة الطب ويتمرسون فيه، ويقال بأن أول من اتخذه أبقراط اليوناني الذي خصص في بستان له موضعاً للمرضى، وقام على خدمتهم ومداواتهم، وسمي ذلك المكان (أخسندوكن) أي مجمع المرضى[2].

اختلف المؤرخون في بداية ظهور المستشفيات في الاسلام، فهناك من أعادها الى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان المسلمون يقومون بأعمال المستشفيات، وهناك من رأى أنها تعود الى العصر الاموي، وهناك من أعاد نشأتها الى عهد بني العباس.

وعندما حوصر عبدالله بن الزبير في مكة ضرب فسطاطاً في ناحية المسجد، فإذا جرح أحد من أصحابة أدخله الفسطاط ليعالج ويعتنى به أشد الاعتناء، وكان هذا المكان يعرف باسم المارستان العربي واعتبروه أول المستشفيات الاّ أن الأرجح أن المارستان بمعناه الصحيح تم إنشاؤه في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٨٦ أو ٨٨ هـ /٧٠٦ أو٧٠٨ م وكان الهدف من إنشائه معالجة المرضى والعناية بالمصابين بأمراض مزمنة كالعمى والجذام حيث

---

(1) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص٤٧ ، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، ج٤ ص٢٦٦ ، حكمت نجيب عبد الرحمن : دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، جامعة الموصل ١٩٧٧م ، ص٧٢ .

(2) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص٤٧ ، عمر فروخ وآخرون : تاريخ العلوم عند العرب ، ص٥٠١ — ٥٠٢ .

كان المصابون بالجذام يحبسون وتجرى عليهم الأرزاق والمعالجة مجاناً وعين لهم الأطباء الذين يقومون بالإشراف على المارستان ورعاية من فيه [1].

نظام المستشفيات :

كان يتم اختيار المستشفى في أفضل المواقع وأحسنها بحيث تتوافر فيه الشروط الصحية، لذلك كانت تبنى المشافي على التلال أو بجوار الأنهار كالمارستان العضدي الذي بناه عضد الدولة البويهي على نهر دجلة في مدينة بغداد [2].

وراعى الأطباء عند إقامه المستشفى الفصل بين الرجال والنساء، فكان كل مستشفى يشتمل على قسمين أحدهما للرجال والآخر للنساء، بحيث كان كل قسم يشكل ما يشبه المستشفى المستقل، وكان كل قسم من أقسام المستشفى مزوداً بكل ما يلزم وما يحتاج اليه من الآت وأدوات وفراشين وخدم ومشرفين من الرجال والنساء، ويشتمل على قاعات لمختلف الأمراض كانت بمثابة أقسام متخصصة، فهناك قسم للأمراض الباطنية، وقسم للمجبرين، وقسم لامراض المعدة والأمعاء وقسم للكحالين (أمراض العيون) وقسم للولادة [3].

وكان يراعى توفر الماء بشكل دائم للمستشفى وأن تكون قاعاته واسعة ويعين له رئيس يسمى (ساعور البيمارستان)، كما يعين رئيس لكل قسم من الأقسام المختلفة كرئيس الباطنية ورئيس الكحالين، وأن تلحق به صيدليه يتوفر

---

(1) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، ج٤ ص٢٦٧ .

(2) عمر فروخ وآخرون : تاريخ العلوم عند العرب ، ص٥٠٤ .

(3) انظر ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ج٢ ص٢٢١ ، أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، دار الرائد العربي ، بيروت ١٩٨١م ، ص١٨ – ١٩ ، حكمت عبد الرحمن : دراسات في تاريخ العلوم ، ص٧٥.

فيها كل ما يلزم من الأدوية، ولها رئيس أو شيخ وكانت بعض المستشفيات تضم مدرسة لتعليم الطب (1).

وكانت الدولة الاسلامية تولي عناية خاصة للمستشفيات حيث كانت توكل مهمة مراقبة المستشفيات والوقوف على حالة المرضى وما يقدم لهم من طعام وقيام الأطباء بدورهم في رعاية المرضى، وكان الأطباء ينظمون العمل في المستشفى ليلاً ونهاراً ويسهرون على راحة المرضى ويتفقدون أحوالهم بين الحين والآخر (2).

أنواع المستشفيات :

١-المستشفيات الثابتة:

وهي المستشفيات التي بنيت في المدن لتقديم العلاج والرعاية للمرضى أو ألحقت بالمدارس أو بالمساجد، وكان هذا النوع منتشراً في معظم المدن الاسلامية كالقاهرة وبغداد ودمشق والقدس وواسط والموصل وحرّان والرقة وغيرها، وبدأ بناء هذا النوع من المستشفيات في العصر الأموي في خلافة الوليد بن عبد الملك،ثم اهتم العباسيون ببناء المستشفيات فبنى هارون الرشيد وبنى المقتدر وكذلك بنى الفاطميون في القاهرة وبنى الأيوبيون والمماليك في مصر وبلاد الشام، وكثر عدد المستشفيات مع ازدياد الحاجة إليها في فترة الحروب الصليبية.

ومن أهم المستشفيات التي بناها المسلمون مستشفى ابن طولون في مدينة القاهرة وبناه أحمد بن طولون وحبس عليه الأرزاق، وكان يشتمل على جناحين أحدهما للرجال والآخر للنساء، وله أنظمة حيث كان يقدم الطعام والثياب للمرضى

---

(1) ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء ، ج١ ص٢٢١ ، علي شلق : العقل العلمي في الاسلام ، ص١٦٤ ، روم لاندو :العرب والاسلام ، ص٢٦٩ .

(2) علي شلق: العقل العلمي في الاسلام ، ص١٦٦ – ١٦٧ .

ويستمر في رعايتهم حتى يتم الشفاء، وكان الأمير أحمد بن طولون يتفقد هذا المستشفى بصورة دائمة [1].

ومنها المستشفى الذي بناه كافور الإخشيدي في مدينة القاهرة سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م، ومستشفى المغافر الذي بناه الفتح بن خاقان في خلافة المتوكل على الله العباسي، والمستشفى العضدي الذي بناه عضد الدولة البويهي في مدينة بغداد على شاطئ نهر دجلة وبنى نور الدين زنكي في مدينة دمشق المستشفى النوري كما بنى صلاح الدين الأيوبي في مدينة القاهرة المستشفى الناصري أو الصلاحي، وقد وصفه ابن جبير في رحلته إلى مدينة القاهرة سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م فقال بأنه قصر من القصور الرائعة حسناً واتساعاً[2].

وبنى السلطان المملوكي المنصور قلاوون المستشفى المنصوري الكبير بعد إصابته بمرض القولون (القولنج) وكان في السابق قاعة لست الملك ابنة الخليفة العزيز بالله الفاطمي، ووقف عليه قلاوون عقارات وأراضي كثيرة زادت قيمتها على مليون درهم في كل سنة[3]، وخصص هذا المستشفى لمداواة مرضى المسلمين من الرجال والنساء الأغنياء والفقراء سواء أكانوا من أهل مصر أو القادمين اليها لأي غرض من الأغراض .

٢-المستشفيات المتنقلة:

وعرفت منذ زمن مبكر عند المسلمين، حيث كانوا يخصصون فرقاً من الأطباء والممرضين لمرافقة الجيوش الاسلامية لتقديم ما يلزمها من الإسعاف والعلاج عند الحاجة، ثم تطور المسلمون في هذا الأمر فأصبحوا يهيئون فرقاً متخصصة بعلاج المرضى وتقديم كل ما يلزم من خدمات طبية تقوم بمرافقة

---

(1) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، ج٤ ص٢٦٧ ، علي شلق : العقل العلمي ، ص١٦٨ – ١٦٩ .

(2) ابن جبير : الرحلة ، ص٢٦ .

(3) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، ج٤ ص٢٦٨ – ٢٦٩ ، عبد الله العمري : تاريخ العلم ، ص١٠١ .

الجيوش الإسلامية، وبعض هذه الفرق ترافق القوافل التجارية وقوافل الحجيج وعمار الديار المقدسة، وكانت هذه الفرق بمثابة مستشفيات محمولة تتحرك حسب الحاجة وتكون مجهزة بكل ما يلزم للمرضى ومعالجتهم من أدوية وأدوات طبية وطعام وشراب ولباس وأطباء وممرضين، وبعض هذه المستشفيات تتحرك في البلاد الاسلامية عند الحاجة وعند انتشار الأمراض والأوبئة من أجل مقاومتها وتقدم العلاج لمن يلزم في المناطق المختلفة [1].

فعلي بن عيسى وزير الخليفة العباسي المقتدر في بغداد سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م أمر سنان بن ثابت طبيب الدولة والمشرف على مستشفى بغداد أن يقوم بإرسال الأطباء إلى الأرياف لخلوها من الأطباء، بحيث يحمل الأطباء معهم الأدوية وكل ما يلزم وينتقلون بين المناطق الاسلامية فيقيمون في كل بلدة مدة من الوقت وحسب الحاجة إلى ذلك، وكانت هذه المستشفيات تحمل على الدواب كالجمال والبغال .

٣-المستشفيات المتخصصة:

وكانت تخصص لأمراض محددة لأنها تحتاج إلى رعاية من نوع خاص كالأمراض العقلية ومرض الجذام، وأحياناً كانت تفصل أجنحة خاصة من المستشفيات العامة تخصص لبعض أنواع الأمراض بحيث لا يسمح لمن فيها بالاختلاط ببقية الناس في المستشفى[2]، ويعتبر هذا النوع من المستشفيات الثابتة عند المسلمين، ومنها المستشفى الصلاحي في مدينة القاهرة الذي زاره ابن جبير وتحدث عنه [3].

---

[1] أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات ، ص١١ ، حكمت عبد الرحمن : دراسات في تاريخ العلوم ، ص٧٦ .

[2] عمر فروخ وآخرون : تاريخ العلوم ، ص ٥٠٨ – ٥٠٩ .

[3] ابن جبير : الرحلة ، ص٢٦ .

الفصل السادس

الآداب والعلوم عند المسلمين

١. علوم اللغة والأدب
٢. العلوم الاجتماعية
٣. الرياضيات
٤. الترجمة
٥. الفلسفة
٦. علم الفلك
٧. الطب
٨. الكيمياء
٩. العلوم الطبيعية

علوم اللغة والأدب

أ-اللغة والنحو:

اللغة : اللسن وهي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، ولغوت أي تكلمت، واللغو : النطق، يقال: هذه لغتهم التي يلغون بها أي ينطقون[1]، واللغة هي الألفاظ الموضوعة للمعاني .

والنحوّ هو إعراب الكلام العربي، والنحو القصد والطريق، ونحاه ينحوه وينحاه نحواً وانتحاه، ونحو العربية منه إنما هو انتحاء سَمْت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكبير والإضافة والنسب وغير ذلك، ونحا الشيء ينحاه وينحوه إذا حرّفه، ومنه سمي النحو لأنه يحرف الكلام إلى وجوه الإعراب[2].

وبذل علماء اللغة العربية جهوداً كبيرة في جمع الألفاظ العربية ووضع قواعد للنحو والصرف، وكانت المصادر التي اعتمد عليها العلماء تشمل القرآن الكريم والشعر العربي إضافة إلى بعض القبائل العربية في بلاد العرب، ويعزى الفضل إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه في وضع أصول النحو العربي اللذين اعتمدا على القياس، على أن أبا الأسود الدؤلي سبق الجميع في بحث المواضيع النحوية والتكلم في أصوله لذلك يعتبر مؤسس علم النحو، فعندما دخل إلى علي بن أبي طالب وشكا إليه ما يراه ويسمعه من فساد اللغة وأنتشار اللحن فيها، طلب منه علي كرم الله وجهه أن يضع أسساً للغة، فقال له: (ضع للناس حروفاً، أي حركات)، فقام أبو الأسود بذلك[3]، وكان أول من اشتغل بالنحو ووضع أساس مدرسة البصرة ، وهي أقدم مدرسة في النحو[4].

---

[1] ابن منظور : لسان العرب ، ج١٥ ، ص٢٥١ – ٢٥٢ .

[2] ن . م ، ج١٥ ، ص٣٠٩ – ٣١٠ .

[3] ابن النديم : الفهرست ، ص٥٩ – ٦١ .

[4] حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج١ ص٥٠٥ .

ونشأ علم اللغة في البصرة في عهد مبكر، فكان سوق المربد بالبصرة مكاناً لمفاخرات الشعراء، حيث كان يلتقي أهل البصرة بالأعراب الذين قدموا للبيع والشراء، وكان يخرج من أهل البصرة طلاب العلم كالأصمعي والجاحظ،فيأخذون اللغة مشافهة .

لقد كان العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ينطقون بالعربية على سجيتهم،فلما أظهر الله تعالى الإسلام على سائر الأديان واتسعت الفتوح الإسلامية وانتشر الإسلام بين الشعوب في البلاد المفتوحة اختلط العرب بغيرهم، ولما كان الداخلون في الإسلام يتعلمون العربية لحاجتها في أداء الشعائر، ظهر اللحن عندهم في اللغة عند القراءة، فخشي رجال العلم من ضعف ملكة اللغة عند المسلمين، فأسرعوا إلى وضع القواعد والضوابط التي تكفل سلامة اللغة ودلالات الألفاظ خاصة في القرآن الكريم، وسميت مجموعة هذه الضوابط بعلم النحو[1].

وشرع علماء البصرة في تدوين اللغة، فقد صنف الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠-١٧٥هـ/٧٢٠-٧٩٢م) كتابه المشهور (العين) الذي يعتبر أقدم القواميس والمعاجم العربية التي دونت فيها ألفاظ اللغة العربية[2]، فقد رتبها الخليل بن أحمد على حروف المعجم بحسب مخارجها بادئاً بحرف العين وبه سمي الكتاب .

وظهرت ثلاث مدارس اهتمت بدراسة علوم اللغة العربية هي مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ومدرسة بغداد، فأصحاب مدرسة البصرة اقتفوا أثر سيبويه والخليل بن أحمد فأخذوا بقاعدة القياس، وأخذ اتباع مدرسة الكوفة بالاتجاه النصّي، بينما اتخذت مدرسة بغداد موقفاً وسطاً وحاولت أن تجمع مزايا المدرستين دون أن تتعصب لواحدة منها على الأخرى، وبرز عدد كبير من العلماء المسلمين الذين اشتغلوا باللغة والنحو منهم :

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج١ ص٥٤٦ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ، ص٦٣ – ٦٤ .

١-ابن الأعرابي : محمد بن زياد الكوفي، وكان أبوه مولى للعباس بن محمد بن علي، نشأ في رعاية المفضّل الضبّي فكان معلمه الأول، وكان عالماً باللغة وأصولها، وكان أحفظ الناس للغات القبائل وأيام العرب وأنسابهم، كان الخليفة الواثق يستدعيه إلى مجلسه في سامراء ليستأنس برأيه في المسائل اللغوية والأدبية، وله مؤلفات كثيرة منها كتاب النوادر وكتاب الألفاظ وكتاب نسب الخيل[1].

٢-ابن السكيت : يعقوب بن إسحاق (ت٢٤٦هـ/٨٦١م)، ولقّب بالسكيت لأنه كان كثير السكوت، درس على الفرّاء وابن الأعرابي وغيرهم من علماء اللغة والنحو، وأصبح عالماً بالقرآن واللغة، وله مؤلفات عديدة منها كتاب إصلاح المنطق، وكتاب الأضداد وكتاب المقصور والممدود [2].

٣-ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ/٨٩٠م) نشأ ببغداد وتعلم على رجالها من علماء اللغة والأدب، لقب بالدينوري لأنه تولى قضاء مدينة الدينور في إقليم الجبل فنسب إليها، فاشتهر باللغة والأدب والفقه والقرآن الكريم، وله مجموعة واسعة من الكتب والمؤلفات منها (أدب الكاتب) و(المعارف) و (الشعر والشعراء) و (عيون الأخبار)[3] .

٤-ابن جنّي الموصلي : (ت٣٩٢هـ/١٠٠٢م)، وأمّه جارية روميّة، وينسب إليه ابتكار مبحث جديد في علم اللغة هو الاشتقاق[4]، وله كتاب الاشتقاق .

---

(1) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج٥ ص٢٨٢ – ٢٨٣ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج٤ ص ٣٠٦- ٣٠٨.

(2) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد،ج١٤ص٢٧٤، ياقوت الحموي: معجم الادباء، الطبعة ٢، القاهرة، ج٧ص٣١٠.

(3) ابن قتيبة : عيون الاخبار ، ج١ ص٩ – ٥٢ ، ابن النديم : الفهرست ، ص١١٥ – ١١٦ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج٣ ص٤٢ – ٤٤ .

(4) آدم متز : الحضارة الاسلامية ، ج١ ص٤٣٧ .

ب-الأدب العربي :

١-الشعر

الأدب هو الإجادة في فني النظم والنثر، أو ما يعبر عن معنى الحياة بأسلوب لطيف جميل سواء أكان ذلك شعراً أم نثراً [١].

ولم يشتغل العرب في صدر الإسلام بالأدب لاشتغالهم بالفتوح الإسلامية وتنظيم الدولة العربية التي توسعت كثيراً، فحافظت الروح الأدبية التي كانت سائدة في العصر الجاهلي على وجودها وقد غض الإسلام من قيمة الشعراء الذين يستخدمون أشعارهم لأغراض مشينة كالهجاء، قال تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون) [٢].

وفي المقابل أعلى من قدر الشعراء الذين كانوا ينتصرون لمبادئ الحق والعدل، ويدافعون عنها، أمثال حسان بن ثابت، الذي قربه الرسول ﷺ، وورد عن الرسول أنه قال (ان من البيان لسحراً وان من الشعر لحكمة) .

لقد توقف شعر الهجاء بين المسلمين، وبرز منذ العصر الراشدي نوع جديد من الشعر هو شعر الفتوح، وهو شعر مشبع بالروح الإسلامية، يدعو إلى تمجيد الجهاد لأن غايته الدفاع عن المسلمين، والرغبة في نشر عقيدة الإسلام، وبدأ يظهر نوع آخر من الشعر تتمثل فيه الأحداث السياسية والنزعات الدينية وتطور هذا النوع من الشعر في العصر الأموي الذي شهد ازدهاراً كبيراً، في مجال الشعر، فتعددت أغراضه وألوانه وتطورت فنونه، وظهر شعراء كبار أمثال جرير(ت ١١٢هـ/٧٢٩م) والفرزدق (ت ١١٤هـ/٧٣٢م) والأخطل (٩١هـ/٧١٠م) أصحاب النقائض، وامتاز شعرهم بالهجاء العنيف المقذع .

---

[١] محمد فائز القصري : مظاهر الثقافة الاسلامية ، ط١ ، ١٩٧٩م ، ص٢٢٩ ، عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص١٨٩ .

[٢] سورة الشعراء : الآيات (٢٢٥ – ٢٢٦) .

وفي العصر العباسي ظهر كثير من الشعراء الذين نهجوا بالشعر مناهج جديدة في المعاني والموضوعات والأساليب حتى فاقوا من سبقهم من الشعراء،وتطورت أغراض الشعر بفعل التطور الحضاري، وتميز هذا العصر بالإغراق في الخلاعة والمجون، وامعان بعض الشعراء في وصف الحياة اللاهية المبتذلة، الأمر الذي أوجد ما يعرف بشعر المجون والخمريات[1] .

كما برزت في شعر هذه الفترة الدعوة إلى الزُّهد والتقشف في الحياة، والابتعاد عن ملذاتها ومغرياتها، فكانت هذه الدعوة رد فعل على أهل الفسق والمجون والخلعاء من الشعراء، ومن أبرز شعراء العصر العباسي (أبو الطيب أحمد بن الحسين ت (٣٥٤هـ/٩٦٥م) وابن الرومي وأبو تمام والبحتري وأبو نواس، فمن شعر ابن الرومي في الغزل، تغزله بجارية اسمها (وحيد) يقول فيها[2].

يا خليلي تيّمتني وحيد	ففؤادي بها مُعنّى عميد
غادة زانها من الغصن قدٌّ	ومن الظبي مقلتان وجيد
وزها من فرّعها ومن الخد	دين ذاك السواد والتوريد

ومن شعر أبي تمام في الحروب قصيدته في فتح عمورية ومنها [3].

السيف أصدق إنباء من الكتب	في حدّه الحدُّ بين الجد واللعبِ
بيض الصفائح لا سود الصحائف في	مُتونهن جَلاءُ الشّكِ والرّيبِ
فتح الفتوح تعالى أن يحيط به	نظم من الشعر أو نثر من الخطبِ
تدبير معتصم بالله منتقم	لله مرتقب في الله مرتغبِ
لم تغزُ قوماً ولم ينهد إلى بلد	إلاّ تقدمه جيش من الرُّعبِ

---

(1) احمد عبد الباقي : معالم الحضارة العربية،ص٣٤٣.

(2) ابن الرومي: الديوان، تحقيق حسن نصار ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٧٤م ، ج٢ ص٧٦٢ – ٧٦٥.

(3) ابو تمام : الديوان ، دار المعارف ، القاهرة ، ج١ ص٤٠ وما بعدها .

ويمكن رد الأسباب التي ساعدت على تطور الشعر في العصر العباسي وظهور مناهج جديدة في الشعر والأدب إلى العوامل التالية :

١-تطور الحياة المادية للناس وثرائهم نتيجة إقبالهم على الاعمال التجارية،والمهن الحرة .

٢- اختلاف صورة الحياة وقيم الأشياء عما كانت عليه في العصر الجاهلي.

٣- انتشار الحركة الشعوبية التي قامت على أساس الحط من شأن العرب وإظهار مثالبهم .

٤- التأثر بالثقافات الأجنبية خاصة الثقافة الفارسية .

٥- تشجيع الخلفاء و الأمراء وكبار رجال الدولة للشعراء والانعام عليهم بالمنح والعطايا .

ويرتبط بالشعر علم آخر نشأ في البصرة على يد أحد رجالاتها الكبار هو علم العروض فكان الشعراء ينظمون الشعر مهتدين بحاسة السمع، وليس هناك قانون مكتوب يلتزمون به إلى أن جاء الخليل بن احمد الفراهيدي فاستنبط من العروض وعلله ما لم يستخرجه أحد ولم يسبقه إلى علمه أحد من العلماء فوضع علم العروض، وصنف في ذلك كتابين هما كتاب العروض وكتاب النغم[1] .

٢- النثـــــر :

النثر هو الكلام غيرالموزون، وهو من علوم العرب قبل الإسلام، فقد كانت لدى العرب ملكة الخطابة، واستمرت هذه الملكة عند المسلمين، فاستخدمت الخطابة عند القادة وأمراء الجند لتحميس الجنود على القتال، وفي المساجد لإلقاء

[1] أنظر امين القضاة : مدرسة الحديث في البصرة ، ص٧٣ – ٧٤ .

المواعظ والعبر والدروس الدينية على المسلمين، فبرز ابن نباتة عبد الرحيم بن محمد الفارقي (ت ٣٧٤هـ/٩٨٤م) وكان خطيباً وإماما في علوم الأدب[١].

أما النثر كعلم فكان يعبَّر عنه (بالنثر الفني)، فبدأ ظهوره بشكل واضح في العصر الاموي بعد تعريب الدواوين، حيث ارتبط ارتباطا وثيقاً بديوان الإنشاء وكتابة الرسائل، التي بدأت تتطور بظهور عبد الحميد الكاتب (١٣٢هـ/٧٤٩م) الذي وضع أسس الكتابة الفنية، وبلغت أوجها في القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي على يد ابن العميد (ت٣٦٠هـ/٩٧١م)، وكان عبد الحميد الكاتب يعمل كاتباً لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وهو من كبار علماء الأدب العربي،اشتهر بكتابة الرسائل فله رسائل في اكثر من ألف ورقة، وهو أول من أطال في الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب، فاستعملها الناس من بعده[٢]، ولشهرة عبد الحميد وابن العميد فقد ضرب بهما المثل فقيل (فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد)[٣].

لقد تنوعت الكتابة في العصر العباسي نتيجة لكثرة العلوم وتنوع الفنون،فأصبح لكل علم من العلوم كتّاب مشهورون، فللفقه كتاب وللفلسفة كتاب وللأدب كتاب بخاصة النثر الفني، ونشط النثر نتيجة تحول الشعوب في البلاد المفتوحة إلى الإسلام، واتقانهم اللغة العربية، وقيام حركة الترجمة التي ظهر أثرها في ترجمه الآثار الأدبية الهامة، مثل كتاب (كليلة ودمنة) الذي ألّفه بيدبا الهندي باللغة السنسكريتية سنة ٣٠٠م، ثم ترجمه برزويه إلى الفلهوية، ثم إلى السريانية، ثم ترجمة عبدالله بن المقفع (ت١٤٠هـ/٧٥٧م) إلى اللغة العربية [٤].

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج٣ ص١٥٦ – ١٥٨ .

(٢) ابن النديم الفهرست،ص١٠٧،ابن خلكان:وفيات الاعيان،ج٣ص٢٢٨–٢٣١.

(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج٣ ص٢٢٨ .

(٤) ابن النديم : الفهرست ، ص١٧٢ .

وكتاب (ألف ليلة وليلة) المترجم عن كتاب (هزار أفسانه) الفارسي إلى اللغة العربية[1]، وهو يشتمل على قصص قديمة فارسية وهندية، ثم أضيفت له قصص عراقية منذ أيام هارون الرشيد .

وظهر نوع جديد من النثر في العصر العباسي هو فن المقامات، والمقامة هي المجلس أو الندوة، والمقامة كفن أدبي هي حكاية تقال في مقام معين،وتتناول كلاماً متصلاً بقصد الموعظة، فيبدي الكاتب رأيه على شكل قصص متفرقة تدور حول أشخاص أذكياء، وكان أول من أبدع في هذا الفن (بديع الزمان الهمذاني ت ٣٩٨هـ/١٠٠٧م)[2] الذي أملى أربعمائة مقامة تدور حول بطلين هما عيسى بن هشام وأبو الفتح الإسكندري[3]، ونسج على منواله ابن ناقية (ت ٤٨٥هـ/١٠٩٢م) مجموعة من المقامات.

أما الحريري (ت ٥١٦هـ-١١٢٢م)[4]، فقد وضع مجموعة رائعة من المقامات جعل بطلها أبو زيد السروجي، وهي تشتمل على كثير من فرائد الأدب والحكم والأمثال والأشعار النادرة، فجاءت تحفة أدبية رائعة، احتذى فيها حذو بديع الزمان واقتفى أثره واعترف بفضله[5].

وأخذت تظهر في النثر العربي تعابير وألفاظ علمية وآراء فلسفية واصطلاحات كلامية لم تكن مألوفة من قبل، ومال الكتّاب العرب في العصر العباسي إلى الاسهاب والاستطراد وعاد السجع ليأخذ مكانه، واستخدم لتجميل

---

(1) افسانة – تعني ألف خرافة (أنظر عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص٢٠٠) .

(2) هو احمد بن الحسين بن يحيى الهمداني – واشتهر ببديع الزمان (أنظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج١ ص١٢٧ ، ١٢٩)

(3) الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج٤ ص٢٥٦ ، ياقوت الحموي : معجم الادباء ، ج٢ ص١٦١ .

(4) هو أبو محمد القاسم بن علي الحريري (أنظر ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج٤ ص٦٣ – ٦٨ ، ياقوت الحموي : معجم الادباء ، ج١٦ ص٢٦١) .

(5) أنظر ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج١ ص١٢٧ ، ج٤ ص٦٣ – ٦٨ ، ابن العماد : شذرات الذهب ، ج٤ ص٥٠ – ٥٣ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ج٤ ص٥٠١ – ٥٠٢ .

بعض الجمل والكتابات بتعابير موسيقية موزونة خاصة في كتب الدواوين ورسائل الخلفاء، أما المواضيع التي عالجها الأدباء فقد كثرت وتعددت وكان أبرزها الكتابة عن أخلاق الناس وعلاقاتهم، وتأثر الكتّاب بروح الخفة والتهكم التي ظهرت في حياة المجتمع آنذاك ونزعة الجد والصرامة التي كانت من سمات المجتمع أيضا في العصر العباسي الثاني .

العلوم الاجتماعية

أ-التاريخ :

التاريخ لغة من أرَخَ، والتاريخ تعريف الوقت والتأريخ التدوين، وأرّخ :كرر كتابة التاريخ، ولفظ التاريخ يفيد العهد والحساب والوقت، وقيل ان التأريخ الذي يؤرخه الناس ليس بعربي محض، وأن المسلمين أخذوه من أهل الكتاب[1]، والتأريخ:غاية الشيء ووقته الذي ينتهي إليه، وهو مصدر (أرّخ) اللفظ الشائع بلغة قيس أو (ورّخ) بلغة تميم [2].

ويرى بعض الباحثين أن لفظ تأريخ مأخوذ من ياريخ العبرية، ومعناها القمر أو يرخ ومعناها الشهر، وبذلك يكون التأريخ هو التوقيت أي تحديد الشهر[3]، بينما يرى آخرون ان لفظ تأريخ تعريب للكلمة الفارسية (ماه روز) ومعناها كما يقول البيروني (حساب الشهور والأيام)[4]، أو التوقيت القمري لأن لفظ ماه روز يقصد بها بدء الشهر القمري، وعرّب المسلمون هذا اللفظ بمؤرخ وجعلوا مصدره

---

(1) ابن منظور : لسان العرب ، ج٣ ص٤ .

(2) أحمد جمال العمري : الحديث النبوي والتأريخ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٩٠م ، ص٢٨ .

(3) أنظر بلير : دائرة المعارف الاسلامية / التأريخ ، مجلد ٤ ص٤٧٣ ، أحمد العمري : الحديث النبوي والتاريخ ، ص٢٨ .

(4) البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، القاهرة ١٣٣٧هـ، ص٢٩ .

التأريخ[1]، وبهذا يكون التأريخ لفظ معرب يدل على حركة الزمان وسير الحياة وتقلب الأفراد والمجتمعات والدول [2].

وعلم التأريخ هو تتبع أحداث الماضي تسجيلاً ودراسة وتحليلاً، سواءً أكانت متعلقة بالفرد أو الجماعة، بحيث يمكن الإفادة منها في الحاضر والتنبؤ مستقبلاً . واستخدم المسلمون التاريخ بمعناه الاصطلاحي لأول مرّة عندما أدخل عمر بن الخطاب التقويم الهجري حيث بدأ باستخدامه سنة ٢٢هـ/٦٤٣م وعندما احتاج إلى تسجيل أسماء الجنود وتحديد الاعطيات السنوية للجند وأفراد المجتمع الإسلامي، وأرّخ المسلمون بالأشهر الهلالية التي كانت تتراوح ما بين ٢٩- ٣٠ يوماً.

ومع ظهور الإسلام وانتشاره انفتح العرب على كثير من الأمم والشعوب صاحبة الحضارات العريقة، فتأثرت بها، وبدأت النهضة الحضارية في الدولة العربية الإسلامية، وشملت هذه النهضة الجانب التاريخي، فعني المسلمون بتدوين الأحداث والأخبار المتعلقة بهم وبغيرهم من الأمم والشعوب، ويمكن تلخيص الأسباب التي دفعت المسلمين للتوجه إلى الكتابة التاريخية بالأمور التالية [3]:

١- الرغبة في التعرف إلى أحوال الأمم الماضية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وقد وجّه القرآن الكريم أنظار المسلمين إلى الاهتمام بالتاريخ بحكم ما فيه من قصص وأخبار تناولت أنباء السابقين من الأمم والشعوب، قال تعالى : (تلك القرى نقص عليك من أنبائها ..)[4]، وقال أيضا:(ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ، وما كان لرسول أن يأتي بآية إلاّ بإذن الله، فإذا جاء أمر الله قضي بالحقّ

---

[1] البيروني : الآثار الباقية ، ص٣٠ ، أحمد العمري : الحديث النبوي والتاريخ ، ص٢٩ .

[2] علي شلق : العقل العلمي في الاسلام ، ص٤٢٧ .

[3] سعيد عاشور: تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٦٤-٦٥، احمد عبد الباقي : معالم الحضارة العربية ،ص ٣٦٩ -٣٧٠ .

[4] سورة الأعراف : الآية ١٠١ .

وخسر هنالك المبطلون)[1]، ففي القرآن من أخبار الأمم البائدة الشيء الكثير مثل قوم عاد وثمود، وأخبار الملوك مثل فرعون وبلقيس ملكة سبأ، وذي القرنين،هذا بالإضافة إلى أخبار الأنبياء والمرسلين من عهد آدم عليه السلام إلى عهد محمدﷺ.

٢- تنبيه الرسول الكريم ﷺ إلى أهمية التعرف على الأخبار المختلفة،بإشارته إلى ما تضمنه القرآن الكريم، لقولة عليه الصلاة والسلام : (القرآن فيه خبر من قبلكم ونبأ من بعدكم، وحكم ما بينكم)[2].

٣-اتساع الدولة الإسلامية، فدخلت في نطاقها العديد من الشعوب ذات التاريخ العريق مثل أهل مصر والشام والعراق وفارس، وهؤلاء كان يصعب قطع الصلة بينهم وبين ماضيهم، وكان لابد من الربط بين حاضر هذه الشعوب وماضيها، لأن لهذه الشعوب تراث تعتز وتفاخر به الأمم .

٤- رغبة بعض الخلفاء والولاة المسلمين في التعرف إلى أخبار الملوك وحكام الأمم الأخرى وأساليب سياستهم، للإفادة منها في إدارة الحروب وسياسة الرعية [3].

٥-الحاجة إلى معرفة البلاد المفتوحة وطريقة فتحها صلحاً أو عنوةً بهدف تقدير الضرائب على هذه البلاد من الخراج والجزية .

وسارت بدايات علم التاريخ عند العرب والمسلمين في اتجاه ديني، وهو الاتجاه الذي ظهر عند أهل الحديث في صدر الإسلام، حيث أصبحت الحاجة ماسّة إلى معرفة سيرة الرسول ﷺ وأقواله وأفعاله وحروبه ومعاهداته فأقبل بعض الرجال من المسلمين على جمع أخبار السيرة النبوية وتدوينها، فكان هذا هو بداية

---

[1] سورة غافر : الآية ٧٨ .

[2] الابشيهي : المستطرف في كل فن مستظرف ، ج١ ص٢١ ، عطية القوصي : الحضارة الاسلامية ، ص١٨٢.

[3] سعيد عاشور : تاريخ الحضارة العربية ، ص٦٤ ، أحمد عبد الباقي : معالم الحضارة ، ص٣٦٩ .

الاشتغال بعلم التاريخ، فبدأ مؤرخو المسلمين مُحدثِّين، فكان التاريخ الإسلامي في بدايته نوعاً من الحديث[1] .

وسميت الدراسات الأولى لحياة الرسول ﷺ باسم (المغازي)، وهي كلمة تعني غزوات الرسول ﷺ وحروبه، لكنها في الحقيقة تناولت فترة الرسالة بأكملها أي السيرة النبوية، ثم تعدتها لتدوين سيرة الصحابة والخلفاء الراشدين .

ويعتبر عروة بن الزبير [2](ت٩٤هـ/٧١١م) مؤسس دراسة المغازي، فكان أول من ألف في ذلك كتاباً أطلق عليه أسم (المغازي)، تناول فيه سيرة الرسول ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين، واشتغل بالمغازي أيضاً (أبان بن عثمان ت٩٥هـ /٧١٢م)، ووهب بن منبه (ت١١٠هـ/٧٢٩م)[3]، صاحب كتاب (المبتدأ) وهو أول محاولة لكتابة تاريخ الانبياء ورسالاتهم .

وانتهي بعد هؤلاء علم المغازي إلى رجال بدؤا بنقل الكتابة من الحديث إلى التاريخ، حيث كتب محمد بن اسحاق[4] أقدم سيرة محفوظة بأكملها، وجمع في كتاباته بين أساليب المحدثين والقصاص، واستشهد في كتاباته بكثير من الشعر الصحيح والموضوع .

واستفاد من الأحاديث والروايات والقصص التاريخية، وقام عبدالملك بن هشام (ت ٢١٨هـ/٨٣٥م)، المؤرخ المشهور باختصار هذه السيرة فيما وصل إلينا باسم (سيرة ابن هشام)[5]، حيث حذف منها الأقسام التي رآها ضعيفة، وطرح الشعر الموضوع .

---

(1) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة ، ص٢٠٤ ، سعيد عاشور : تاريخ الحضارة ، ص٦٦ .

(2) محمد بن سعد : الطبقات ، ج٥ ص١٧٨ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ،ج٣ ص٢٥٥ – ٢٥٨ ، ابن كثير: البداية والنهاية ، ج٩ ص١٠٧ – ١٠٩ .

(3) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج٦ ص٣٥ – ٣٦ ، ياقوت الحموي : معجم الادباء ، ج١٩ ص٢٥٩ .

(4) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج٤ ص٢٧٦ – ٢٧٧ .

(5) ابن خلكان : وفيات الاعيان ،ج٣ ص١٧٧ .

وتطورت دراسة السيرة والمغازي على يد محمد بن عمر الواقدي (ت٢٠٧هـ/٨٢٤م)[١]، حيث ألف كتاب (المغازي)، ونظم كتابه على السنين حتى أحداث (١٧٩هـ/٧٩٧م) ، ثم جاء ابن سعد (٢٣٠هـ/٨٤٧م)، فألف كتابه (الطبقات الكبرى)[٢] في ثمانية أجزاء، تضمن الجزءان الأول والثاني سيرة الرسولﷺ، وفي بقية الأجزاء تناول أخبار الصحابة والتابعين متبعاً في ذلك ترتيب الامصار؛ مكة فالمدينة والبصرة والكوفة وهكذا، فوضع بذلك الصيغة النهائية لدراسة السيرة النبوية والمغازي، أما تدوين الأخبار، فقد بدأت بداية محدودة في صدر الإسلام، خاصة أخبار الأمم البائدة والديانات السابقة للإسلام،وظهرت الحاجة لها عند المشتغلين بتفسير القرآن الكريم .

وحاول علماء المسلمين الاستفادة من أخبار هذه الأمم لاستخراج العبرة منها،ثم زادت الحاجة إلى تدوين أخبار الفتوح الإسلامية لمعرفة ما فتح صلحاً وما فتح عنوة لتقدير الخراج على أراضي البلاد المفتوحة، فنما جنباً الى جنب في القرن الثاني الهجري تدوين أخبار الماضين وأحوال الجاهلية وحوادث الإسلام إلى جانب تدوين السيرة والمغازي، وأطلق على هذا العمل اسم (الأخبار) وعلى المتخصصين في روايتها اسم الاخباريين .

ويعتبر على بن محمد المدائني (ت٢١٥ هـ/٨٣٠ م) من أشهر الإخباريين المسلمين ومن الإخباريين المشاهير أيضاً أبو مخنف (ت ١٥٧هـ/٧٧٥م)[٣] ومحمد بن السائب الكلبي[٤] (ت١٤٦هـ/ ٧٦٤م) وابنه هشام بن الكلبي (ت٢٠٤هـ/٨٢١م) وعوانة بن الحكم (ت١٤٧هـ/٧٦٥م)[٥].

---

(١) محمد بن سعد: الطبقات الكبرى ، ج٧ ص٣٣٤ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج٤ ص(٣٤٨ – ٣٥١).

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج٤ ص٣٥١ – ٣٥٢ ، ابن النديم : الفهرست ، ص١٣٦ .

(٣) ابن النديم : الفهرست ،ص١٣٦ .

(٤) ن.م، ص١٣٩ – ١٤٠ .

(٥) ن.م، ص١٣٤ .

ومع الوقت صار الاخباريون يستقلون عن المحدثين، ويكتفون برواية الأخبار، وصار بعضهم يهتم بجمع أخبار قطر من الأقطار، فاختص أبو مخنف (لوط بن يحيى) بأخبار العراق وفتوحها، والمدائني بأمر خراسان والهند وفارس والوا قدي بالحجاز والسيرة، واشتركوا جميعاً في الاهتمام بفتوح الشام [1].

واستمرت الكتابات التاريخية حتى نهاية القرن الثاني الهجري /الثامن الميلادي تقتصر على أخبار الأمم الماضية ومنها تاريخ العرب قبل الإسلام،وتاريخ السيرة النبوية وأحداث صدر الإسلام مع التوسع في المادة التاريخية من حيث زمانها ومكانها، ومراعاة صحتها ودقتها، وصارت مصادر المؤرخ أكثر دقة وضبطاً لأنها تستمد مادتها من سجلات دواوين الدولة المختلفة التي كان يشرف عليها أدباء يتميزون بسعة الاطلاع، وأفاد المؤرخون من أسفار طلبة العلم وتنقلهم بين أقاليم الدولة في التعرف على الأخبار وأماكن حدوثها من أشخاص شهدوها مباشرة أو سمعوا عنها ممن كان على اتصال وثيق بها .

كذلك كان لحركة الترجمة التي بدأت تتطور كثيراً أهمية كبيرة في الكتابات التاريخية، لأنها زودت المؤرخين العرب بمعلومات وأخبار عن الأمم السابقة خاصة ما يتعلق بالناحية الحضارية .

كانت الكتابات التاريخية أول الأمر تقوم على رواية الأخبار والحوادث بحيث تسند إلى الأشخاص الذين نقلت عنهم، كما هو في كتابات محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، وابن عساكر (ت٥٧١هـ/١١٧٥م).

ثم رأى المؤرخون أن يذكروا الحوادث بلا إسناد مرتبة على السنين، كما فعل ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، في كتابه الكامل في التاريخ، وأبو الفداء ابن كثير، (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) في كتابه البداية والنهاية .

---

[1] ابن النديم : الفهرست ، ص١٣٧ ، أحمد عبد الباقي : معالم الحضارة ، ص٣٧٠ .

ومع مرور الوقت زاد الاهتمام بكتابة التاريخ وتسجيل أحداثه وأخباره، فتعددت الكتابات التاريخية، وفيما يلي أنواع الكتابات والكتب التاريخية عند المسلمين :

١-كتب السير والمغازي: وهي الكتب التي تبحث في سيرة الرسول ﷺ وغزواته، وقد يتناول بعضها أخبار الصحابة والتابعين، وكانت هذه الكتب في بداية أمرها جزءاً من الحديث يرويها المهتمون بها كرواية الأحاديث، واتبع فيها أسلوب المحدثين الأوائل في إسناد الروايات، ومن هذه الكتب(سيرة ابن إسحاق)، ولم يصلنا هذا الكتاب، إلاّ بالصورة المختصرة التي تنسب إلى ابن هشام، فيما عرف بالسيرة النبوية أو (سيرة ابن هشام)[1]، وكتاب (المغازي) لمحمد بن عمر الواقدي المتوفى سنة (٢٠٧هـ/٨٢٤م)[2]، وكتاب (الطبقات الكبرى)لمحمد بن سعد (ت٢٣٠هـ/٨٤٧م)[3].

٢- كتب الحوليات : وهي الكتب التي تعالج التاريخ بشكل متسلسل وفق تعاقب السنوات، وكان بعض المؤرخين يبدأون هذا النوع من الكتب بالكتابة عن بدء الخليقة وقصة آدم وحواء، ثم يقوم بذكر الرسل والأنبياء والأمم البائدة ، والدول ومشاهير الحكام، حتى يصل إلى عصر الإسلام، ثم يتحدث عن مولد الرسول ﷺ وسيرته وظهور الدعوة الإسلامية إلى أن يصل إلى بداية الهجرة النبوية، عندها يبدأ الالتزام بالتاريخ الهجري ويقوم بمعالجة الأحداث سنة بعد سنة.

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ،ج٣ ص١٧٧ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ، ص١٤٤ .

(٣) ابن النديم : الفهرست ،ص١٤٥ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج٤ ص ٣٥١ – ٣٥٢ .

ومن أشهر مؤرخي المسلمين الذين اتبعوا التاريخ على السنين محمد بن جرير الطبري [1](ت٣١٠هـ/٩٢٢م) في كتابه (الرسل والملوك)، ومسكويه (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م) في كتابه (تجارب الأمم)، والمقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) في كتابه(اتعاظ الحنفا في أخبار الأئمة الفاطميين الخلفا)،الذي تناول فية أخبار الدولة الفاطمية .

٣-تاريخ المدن : وهي الكتب التي تعالج تاريخ مدينة معينة مثل كتاب (أخبار مكة) لمحمد بن عبدالله الأرزقي (ت٢٥٠هـ/٨٦٥م)[2]، و(تاريخ مدينة بغداد) للخطيب البغدادي [3](ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، وكتاب (تاريخ مدينة دمشق الكبير)، لابن عساكر(ت ٥٧١هـ/١١٧٥م).

٤-تاريخ الوقائع والحروب : وهي الكتب التي تسجل الأحداث الهامة من خلافات وحروب وأزمات وعلاقات مع الدول المجاورة، وكان للفتوحات الإسلامية نصيب وافر من اهتمام المؤرخين، ومن هذه الكتب (فتوح الشام) المنسوب للواقدي، وكتاب (فتوح البلدان) لأحمد بن يحيى البلاذري[4]، (ت٢٧٩هـ/٩٤٧م)، وكتاب (وقعة صفين) للازدي (المنقري).

٥-كتب الأنساب : وهي الكتب التي تهتم بتدوين أنساب العرب وأصولهم وقبائلهم، فكان أبناء القبائل العربية يعتزون بالانتساب إلى قبائلهم، واهتم كثير من المؤرخين في العصر الإسلامي بكتابة الأنساب لحفظها وحمايتها من الضياع.

ويعتبر محمد بن السائب الكلبي، وابنه هشام من أشهر مؤرخي الأنساب العربية[5]، وهشام بن محمد هو صاحب كتاب (الجمهرة في الأنساب)، ولمصعب

---

[1] الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج٢ ص١٦٢ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج٤ ص١٩١ - ١٩٢ ، ياقوت الحموي : معجم الادباء ، ج١٨ ص٤٠ .

[2] ابن النديم : الفهرست ،ص١٦٢ .

[3] ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج١ ص٩٢ - ٩٣ ، ياقوت الحموي : معجم الادباء ، ج٤ ص١٣ .

[4] ابن النديم : الفهرست ، ص١٦٤ .

[5] ابن النديم : الفهرست ، ص١٣٩ - ١٤٠ .

ابن عبدالله الزبيري (ت٢٣٣هـ/٨٥٠م) كتابين في النسب هما؛ (النسب الكبير) و(نسب قريش)[١]، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م)[٢]، وكتاب (أنساب الأشراف) للبلاذري .

٦-كتب التراجم والطبقات : وهي الكتب التي تهتم بتدوين أخبار وسير مشاهير الناس من أهل العلم والمعرفة والسياسة والتجارة والحكم والدين وغير ذلك، وبدأ الاهتمام أول الأمر بتسجيل فضائل الصحابة، فكانت البداية التي انطلق منها المؤرخون لتدوين كتب التراجم والطبقات وكان هناك دافع ساهم في زيادة الاهتمام بهذا العلم وهو قيام المحدثين، بالبحث في سير الرجال لمعرفة من تصح روايته ممن لا تقبل منه الرواية، ثم قام المهتمون باللغة والأدب بالاخذ بنفس النهج الذي سار فيه المحدثون، فدونت كتب في سير الشعراء والادباء والاطباء والمحدثين وغيرهم[٣]، واتخذ المؤرخون على الأغلب سنة الوفاة أساساً للتأريخ وتدوين هذه الكتب.

ومن الكتب المؤلفة بهذا المجال كتاب (أخبار الحكماء) للقفطي، وكتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م)، وكتاب (معجم الأدباء) لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، وكتاب (سير أعلام النبلاء) للذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٧٤م) .

٧- كتب المذاهب والأديان: وهي الكتب التي تتناول البحث في المذاهب والأديان للأمم التي اختلط بها المسلمون كالفرس والروم والهنود وغيرهم، أو الفرق الإسلامية المختلفة، فقد رغب المسلمون في التعرف على أصول هذه الأمم وأديانها ومذاهبها، وذلك بهدف تنظيم العلاقة بين عناصر الدولة الإسلامية .

---

(١) ابن النديم:الفهرست،ص١٦٠ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ،ج٣ص٣٢٥ – ٣٣١ .

(٣) أنظر سعيد عاشور : تاريخ الحضارة ، ص٧١ .

ومن الكتب التي تناولت هـذه الدراسـات كتـاب (مقـالات الإسـلاميين) للأشعري، وكتاب (الفرق بين الفرق وبيان الناجية منهم) لعبد القـاهر الجرجـاني (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، وكتاب الإمام الغزالـي (ت٥٠٥هـ/١١١١م) (فضـائح الباطنية)، وكتاب (الفصل في الملل والأهواء والنحل) للشهرستاني .

٨-كتب التاريخ العام : وهي الكتابات التي تسجل أخبار الأمم والشعوب منذ بدء الخليقة، ويستمر فيها المؤرخون إلى أيامهم، ومن هذه الكتب : كتاب (الرسـل والملوك) للطبري، وكتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثـير، وكتـاب (البدايـة والنهايـة) لابـن كثـير (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، وكتـاب ابـن خلـدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) المعروف بـ (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العـرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) .

ب-الجغرافيا :

الجغرافيا كلمة يونانية تعني صورة الأرض، وكانوا يريدون بها التعرف إلى أحوال الأقاليم في القسم المعمور من الأرض، ومعرفة مواقع البلـدان وأطوالـها ومدنها وجبالها وبحارها وأنهارها .

وقد عرف المسـلمون علـم الجغرافيـا فـوردت فـي رسـائل إخـوان الصفا،[1] وأدركوا أهمية هذا العلم نظراً للحاجة إليه في الأسـفار المختلفـة، فـي الرحلات التجارية ورحلات الحج وطلب العلم والزراعة[2] .

وكان للمسلمين نشاط واسع ورحلات كثيرة، فجابوا البلاد من الشرق إلـى الغرب ووصلوا إلى أقاصي شرق آسيا، وإلى مجاهل إفريقية وسـواحل المحيـط الأطلسي، وأقاموا علاقات تجارية لم يسمع بـها الأوروبيـون إلا فـي عصـور

---

[1] اخوان الصفا : الرسائل ، دار صادر ، بيروت / ١٩٥٧م ، ج١ص١٥٨ .

[2] أنظر المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص٢ ، سعيدعاشور : تاريخ الحضارة ،ص٧٤ .

متأخرة، وسجل المسلمون مشاهداتهم خلال هذه الرحلات في وقت مبكر، فكانت أول رحلة مدونة تعود لتاجر يعرف باسم (سليمان البحار أو التاجر) من القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي حيث أبحر من سيراف على الخليج العربي وبلغ شواطئ الصين، وكتب أخبار مشاهداته في البلاد التي زارها وملاحظاته عن عادات أهلها وتقاليدها [1].

وقد شجعت الدولة الإسلامية على الرحلة والتنقل من خلال اهتمامها بالطرق والمسالك الواصلة بين البلاد الإسلامية، فعملت على إقامة مؤسسات ينزل فيها التجار والمسافرون كالخانات والوكالات والفنادق، على طول الطرق بين المدن والأقاليم، وكانت مزودة بكل ما يلزم المسافرين، كما حرصت الدولة على إقامة الرباطات في الثغور وعلى حدود الدولة وأطرافها، وإنشاء المنارات العالية في الموانئ والثغور والمدن وفي واحات الصحراء ليهتدي بها المسافرون في البر والبحر .

اطلع العرب على المعلومات والمعارف الجغرافية الموجودة عند الأمم الأخرى كاليونان، واقتبسوا منهم بعض المعارف، إلا أنهم لم يكتفوا بذلك، فقد وجدوا فيها كثيراً من المغالطات والنقص، فقاموا بتصحيحها، وطوروها، وأضافوا إضافات فريدة أفادت المكتبة الجغرافية، حتى بلغ من كثرة المؤلفات الجغرافية التي وضعها علماء المسلمين ورحلاتهم أن قام بعض المستشرقين فجمعوا بعض هذه المؤلفات فضموها إلى بعضها وأطلقوا عليها اسم (المكتبة الجغرافية العربية)،ومن أبرز منجزات العرب في علم الجغرافيا :

١-القول بكروية الأرض، فقد أشار إلى ذلك ابن خرداذبة وقال بأن الأرض مدورة كتدويرة الكرة، وموضوعة في جوف الفلك كالمحة في جوف البيضة، كما أشار إلى ذلك المسعودي أيضاً، وابن خلدون [2].

---

[1] سعيد عاشور:تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، ص٧٥ ، أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الاسلامية ،ص٣٦٥.

[2] ابن خلدون : العبر ، ج١ ص٤٤ .

٢-رسم صورة (خريطة) للكرة الأرضية، وقام بهذا عدد من الجغرافيين المسلمين، وكان أبرزهم الادريسي الذي رسم معالم الأرض على كرة كبيرة من الفضّة لروجر الثاني ملك صقلية .

٣-المسلمون هم أول من وَضع أصول الرسم على مسطح كروي، وقد اعترف الغرب بالدور الفعال الذي قام به علماء المسلمين في هذا المجال .

٤-أول من حاول الدوران حول الكرة الأرضية هم المسلمون، والوصول الى مناطق من العالم الجديد، قبل الاكتشافات الجغرافية في أوائل العصور الحديثة، وذلك من خلال الرحلة التي قام بها الاخوة المغررين (المغرّبين) الذين أبحروا من لشبونة عبر المحيط الأطلسي حتى وصلو إلى جزيرة الغنم (في أمريكا الوسطى)، وكانوا ثمانية رجال كلّهم أقارب[١].

٥-أول من استخدم البوصلة في الملاحة البحرية، فالصينيون هم الذين اخترعوا البوصلة لكنهم لم يتمكنوا من الإفادة منها فقام المسلمون بذلك[٢] .

وهنالك مجموعة من العوامل دفعت المسلمين للاهتمام بعلم الجغرافيا منها[٣]:

١-معرفة البلاد التي فتحها العرب والاطلاع على أحوال سكانها وتنظيم ادارتها وفرض الخراج على أرضها .

٢-معرفة الطرق التجارية الموصلة إلى البلاد الإسلامية والبلاد المجاورة،لتسهيل انتقال التجار والمسافرين .

٣-الرحلة في طلب العلم، فكان المسلمون يرحلون إلى سائر الامصار الإسلامية للتأكد من رواية الحديث الشريف، ورغبة في الالتقاء بالعلماء والادباء في أماكن أقامتهم .

---

(١) الادريسي : نزهة المشتاق ، ج٢ ص٥٤٨ – ٥٤٩ .

(٢) سعيد عاشور : تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، ص٧٩ .

(٣) أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص٣٦٦ .

٤-أداء فريضة الحج مما يستدعي معرفة الطرق والمسالك من الديار المقدسة إلى جميع الامصار والولايات الإسلامية، وتوفير الأمن لها وحماية سالكيها .

٥-الاطلاع على المعارف الجغرافية عند الأمم والشعوب الأخرى كاليونان،وذلك بعد نشاط حركة الترجمة، فرغبوا في تصحيح بعض المعلومات التي أدركوا خطأها، وإضافة معلومات جديدة في المعارف الجغرافية .

ويعتبر اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م) أول جغرافي من المسلمين وصف الممالك معتمداً على ملاحظاته الخاصة، فقد سافر في البلاد وطاف أنحاء المملكة الإسلامية، وكلما التقى برجل سأله عن بلاده وزروعها وساكنيها، وعن لباس أهلها وديانتهم ومقالاتهم، وأثبت ما توثق من صحته، حتى وضع كتابا في الجغرافية هو كتاب البلدان[١] .

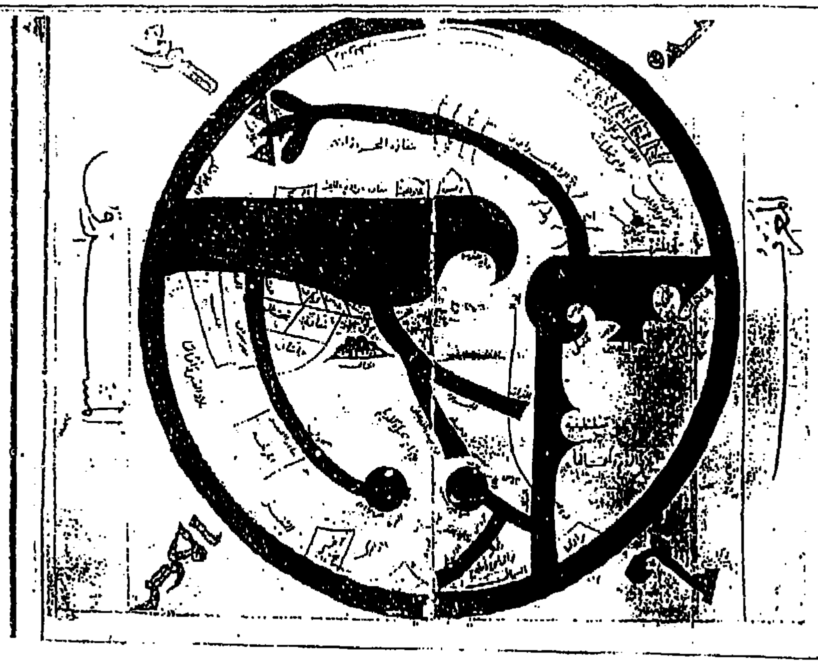
ووضع المسعودي كتاباً في الجغرافية يعتبر من أشهر الكتب الجغرافية أطلق علية اسم (مروج الذهب ومعادن الجوهر) تحدث فيه عن الأرض ومدنها وجبالها وبحارها وأنهارها وأغوارها وبحيراتها، وأمور أخرى كثيرة[٢].

وأنفق المقدسي (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) على رحلاته أكثر من عشرة الاف دينار، وهو يطوف البلاد ويسجل ملاحظاته عنها، فوضع كتابه الشهير(أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، ذكر فيه الأقاليم الإسلامية وما فيها من المفاوز والبحار والبحيرات والأنهار ووصف أمصارها المشهورة، ومدنها ومنازلها وطرقها و تجاراتها، واختلاف أهل البلدان في كلامهم وألسنتهم وألوانهم ومذاهبهم ومكاييلهم ونقودهم وموازينهم، وطعامهم وشرابهم وثمارهم ومياههم، ومعرفة مفاخرهم وعيوبهم، وعدد المسافات والسهول والجبال ومعادن الخصب ومواضع

---

[١] سعيد عاشور : تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ،ص٧٦ ، أحمد عبد الباقي : معالم تاريخ الحضارة ، ص٤٠١ .

[٢] انظر المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج١ ص١٥ .



خارطة العالم عند ابن حوقل (قرن ٤هـ)



خارطة العالم عند الادريسي (قرن ٦هـ)

الضيق والجدب والصنائع والعلوم[1] وما إلى ذلك فجاء من أجود الكتب التي وصلت إلينا .

أما ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) فقد تجول في بلدان كثيرة من العالم، واطلع على مكتبات مرو وطشقند وبلخ وغيرها، وألف كتابه (معجم البلدان)، حيث جمع فيه أسماء البلدان والمدن والقرى الشهيرة، ورتبها على حروف المعجم مع نبذة عن كل بلد اشتملت على تعريف بموقعه ومعلومات تاريخية أدبية أو علمية تطول أو تقصر حسب أهمية كل منها [2].

وألف العلماء المسلمون مؤلفات كثيرة في الجغرافيا يمكن تصنيفها حسب موضوعاتها إلى الأنواع التالية :

١-**كتب الجغرافيا العامة:** وتهتم بدراسة جغرافية العالم المعروف آنذاك،وتسجل معلومات مختلفة عن البلدان والمناطق التي يذكرها الجغرافيون وقد يضاف إلى المعلومات الجغرافية معلومات تاريخية، واقتصادية واجتماعية في كثير من الاحيان، ومن هذه الكتب كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر)للمسعودي، وكتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) للمقدسي، وكتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) للادريسي .

٢-**الجغرافيا الإقليمية:** وتهتم بدراسة الأقاليم والحديث عن مدنها وأخبارها وأهلها، وخططها والطرق الموصلة إليها، وصناعات أهلها وتجارتهم، ويسميها البعض الكتب البلدانية، منها كتاب (صور الأقاليم) لأبي زيد البلخي (ت٣٢٢هـ/٩٣٤م)، وكتاب (المسالك والممالك) لابن خرداذبة(ت٣٠٠هـ/٩١٢م)، وكتاب (البلدان) لليعقوبي، وكتاب (المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار) المعروف بخطط مصر للمقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) .

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص١ – ٢ .

(٢) انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، سعيد عاشور : تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، ص٧٨ .

٣-**المعاجم الجغرافية**: وهي الكتب التي تهتم بدراسة أسماء البلاد والمواضع والمدن، مرتبة على نسق معين، وغالباً ما يتم ترتيبها على حروف المعجم، وفي طليعة هذا النوع من الكتب (معجم البلدان) لياقوت الحموي، وكتاب (مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع)، لعبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت٧٣٩هـ/١٣٦٥م)، وهو مختصر لمعجم البلدان، و (معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضيع) لأبي عبيد البكري، وكتاب (الروض المعطار في خبر الأقطار) لمحمد بن عبد المنعم الحميري(ت٦١٠هـ/١٢١٣م).

٤-**كتب الرحلات** : وهي الكتب التي تسجل أخبار ومعلومات خاصة بالبلاد التي زارها الرحالة، وما شاهدوه خلال أسفارهم عن مناطق زيارتهم، ومنها رحلة سليمان التاجر في منتصف القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي، و رحلة ابن جبير (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، ورحلة ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) الذي بدأ رحلاته من مدينة طنجة في المغرب الأقصى، وطاف جميع أنحاء العالم القديم آنذاك، وكتب رحلته التي سماها (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) .

٥-**الجغرافيا البحرية**: وتهتم بذكر البحار والظواهر الجغرافية فيها كالأنواء والرياح والمد والجزر، وما فيها من المخلوقات، وما يجري فيها من الرحلات البحرية، ومن أشهر من كتب في هذا الموضوع البحار العربي أحمد ابن ماجد صاحب كتاب (الفوائد في أصول علم البحر والقواعد)، وكان ابن ماجد هذا عالماً باستخدام البوصلة، خبيراً بمنازل القمر ليهتدي إلى الاتجاهات في البحر،وخبيراً في شؤون الرياح وهبوبها، ومعرفة المسالك البحرية والشواطئ،وهو الذي أرشد الملاح البرتغالي (فاسكو ديغاما) سنة٩٠٤هـ/١٥٠١م في بحر العرب حتى أوصله إلى ميناء كلكتا في الهند [1].

---

[1] علي شلق : العقل العلمي في الاسلام ، ص٣٧١ .

الرياضيات

عرّف العرب علم الرياضيات بأنه علم غرضه إدراك المقادير أو مجموعة العلوم التي تتناول الكمية المجردة والعلاقات بين أقسامها وأشكالها، وتشتمل على الحساب والجبر والمقابلة والهندسة والمثلثات والموسيقى والفلك(١)، حيث اعتبر القدماء علمي الفلك والموسيقى النظرية من جملة العلوم الرياضية، غير انها على الأغلب تدرس في أبواب مستقلة .

وكان اهتمام العرب قبل الإسلام بهذه العلوم محدوداً باستثناء علم الفلك حيث كانت لهم معرفة بالكواكب والنجوم لحاجتهم إلى ذلك فقد عرفوا أسماء الكثير منها ورصدوا مواقعها وحركاتها .

وظهرت حاجة كبيرة إلى العلوم الرياضية وازدادت هذه الحاجة كثيراً مع تطور الدولة العربية الإسلامية، فاتصل العرب بالأمم الأخرى وأفادوا من معارفهم الرياضية ، فاطّلعوا على حساب الهنود وأخذوا عنهم نظام الترقيم، فهذبوه وأضافوا إليه الكثير .

أ-الحساب :

عرّف ابن خلدون الحساب بأنه : (صناعة علمية في حساب الأعداد بالضم والتفريق ، فالضم يكون في الأعداد بالأفراد وهو الجمع وبالتضعيف تضاعف عدداً بآحاد عدد آخر وهذا هو الضرب، والتفريق يكون أيضاً في الأعداد إما بالإفراد مثل إزالة عدد من عدد ومعرفة الباقي وهو الطرح، أو تفصيل عدد بأجزاء متساوية تكون عدّتها محصّلَةً وهو القسمة سواء كان هذا الضم والتفريق في الصحيح من الأعداد أو الكسر)(٢) .

---

(١) انظر عبد الله العمري : تاريخ العلم عند العرب ، ص١٣١ ، احمد الملاّ : أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية ، ص١٥٢ ، عبده الحلو وبهزاد جابر : الوافي في تاريخ العلوم عند العرب ، ص٨٦ .

(٢) ابن خلدون : العبر ،ج١ ص٤٨٣ .

واختلفت الشعوب القديمة في كتابة الأرقام فكتب المصريون القدماء الأرقام على شكل خطوط عمودية، وكتبوا العشرة على شكل حذوة الحصان (   ) والألف على شكل زهرة اللوتس، واستخدم البابليون أشكالاً مسمارية أفقية وعمودية، فالواحد على شكل (V) والعشرة على شكل (<)، أما الإغريق فاستخدموا الحروف الأولى لكلمات الأعداد .

واستخدم الرومان خطوطاً عمودية بجوار بعضها البعض لترمز إلى الأعداد فالواحد **I** والاثنين **II** والثلاثة **III** والأربعة **IV** والخمسة **V** والستة **VI** والعشرة **X** والخمسون **L** والمائة **C** والخمسمائة **D** والألف **M**[(1)].

وعرف العرب الحساب منذ ما قبل الإسلام، لكنه كان يتناسب وحاجاتهم الاجتماعية من عدّ وبيع وشراء وتقسيم الغنائم، وأمور الكيل والوزن، ولم تكن لديهم رموزٌ خاصة بهم، ولكنهم استعملوا طريقتين في الحساب هما [(2)]:

١-**استعمال الكلمات بحروفها الكاملة** ، فإذا أرادوا التعبير عن رقم (٤) كتبوا (أربعة) وعن العدد (١٠٠) كتبوا (مائة) وهكذا .

٢-**حساب الجمّل** : وهي طريقة أخذوها عن شعوب بلاد ما بين النهرين وطبقوها على حروف الأبجدية عندهم، بحيث أعطى كل حرف من هذه الحروف قيمة عددية ثابتة ، فإذا أرادوا الدلالة على رقم أو عدد معين كتبوا الأحرف الدالة عليها ، فكان الرقم (١) يدلل عليه بالحرف أ، والرقم (٢) بالحرف (ب) والرقم (٣) بالحرف (ج) وإذا أرادوا التعبير عن العدد (٢٤) دللو عليه بـ كـد والعدد

---

(١) أنظر هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص٦٩،٧٠ ، حكمت عبد الرحمن : دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ،ص٨٢ .

(٢) أنظر قدري طوقان : العلوم عند العرب ،ص٥٢،محمد مطيع الحافظ : تاريخ العلوم عند العرب، ص٩٨ ، عبده الحلو : الوافي في تاريخ العلوم عند العرب ، ص٩٦ .

(٣٠٩) بـــ شط .. وهكذا، والجدول التالي يبين القيم الرقمية أو العددية لكل حرف من الحروف الأبجدية[١] .

[redacted]					
أ	١	ك	٢٠	ش	٣٠٠
ب	٢	ل	٣٠	ت	٤٠٠
ج	٣	م	٤٠	ث	٥٠٠
د	٤	ن	٥٠	خ	٦٠٠
هـ	٥	س	٦٠	ذ	٧٠٠
و	٦	ع	٧٠	ض	٨٠٠
ز	٧	ف	٨٠	ظ	٩٠٠
ح	٨	ص	٩٠	غ	١٠٠٠
ط	٩	ق	١٠٠	-	-
ي	١٠	ر	٢٠٠	-	-

فمثلاً يا كانت تساوي ١١ لأن ي = ١٠ ، أ = ١ ، وكذلك دم = ٤٤ ، طـــم = ٤٩ ، بع = ٧٢ ، بغ = ٢٠٠٠ ، جغ = ٣٠٠٠ ، كـــغ = ٢٠٠٠٠ ، وقـــغ = ١٠٠٠٠٠ ... وهكذا .

وفي العصر العباسي اخذ العرب عن الهنود نظام الترقيم وهو نظام يســتخدم الأرقام التسعة المعروفة اليوم بالإضافة إلى الصفر، وأدخل هذا النظام مـــع أحـــد العلماء الهنود الذين وفدوا على الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، حيـــث بـــدأ المسلمون بترجمة الكتب من اللغات المختلفة للإفادة من معارف الأمم الأخـــرى، فهذب المسلمون هذه الأرقام وكوّنوا منها مجموعتين رقميتين بدا الناس باستعمالها ولا تزال حتى اليوم، وهما [٢]:

١-**الأرقام الغبارية** : وسميت كذلك لأنها كانت ترسم على مســطحات مــن التراب الناعم، وتسمى أيضاً الأرقام العربية بعد أن تم نقلها إلى أوروبا في القـــرن

---

[١] الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص١١٤ .

[٢] عطية القوسي : الحضارة الاسلامية ، ص٢٥٠ ، محمد الحافظ : تاريخ العلوم ، ص٩٨ – ٩٩ .

الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، ولا تزال تستخدم إلى اليوم في بلاد المغرب وأوروبا، وترسم كما يلي[1] .

1 2 3 4 5 6 7 8 9

٢-الأرقام الهندية : وهي الأرقام التي استعملت في البلاد العربية في المشرق العربي ولا تزال تستخدم إلى اليوم ، وترسم كما يلي [2].

١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩

وكان العرب قد استخدموا لفظ صفر قبل الإسلام بمعنى لا شيء، وهو بذلك لا يعني رقماً حسابياً، إلا أنهم عادوا في القرن الثاني الهجري /الثامن الميلادي واستعملوا الصفر رقماً حسابياً ورسموه على هيئة حلقة أو دائرة، واستعمل لحفظ المراتب في العمليات الحسابية مكان العشرات أو الآحاد أو المئات عندما لا يوجد أرقام في هذه الخانات[3]، ونقل استعمال الصفر من العرب إلى أوروبا .

واستعمل المسلمون الكسر العشري ووضعوا علامته، ويرجع الفضل إلى العالم غياث الدين الكاشي (ت ٨٤٠ هـ / ١٤٣٦ م) في هذا الإنجاز، وقاموا بتحديد النسبة بين محيط الدائرة وقطرها وهي النسبة التي يرمز لها بالحرف (ط) أو ما يسمى النسبة التقريبية وقسموا الأعداد إلى فردية وزوجية، وقالوا بأن الواحد هو أصل الأعداد، وتوسع العرب المسلمون في بحوث النسبة والتناسب[4]، ومهدوا لحساب التفاضل والتكامل .

---

(١) عبده الحلو : الوافي في تاريخ العلوم ، ص٩٧ .

(٢) سعيد عاشور : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص١٠٤ .

(٣) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص١١٣ ، قدري طوقان : العلوم عند العرب ، ص٥٣ .

(٤) عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ، ص ١٣٣ .

ب-الجبـــــر :

الجبر هو نوع من تبسيط المسائل الحسابية المعقدة، وتسهيل الطرق المؤدية إلى حلها[1]، وهو أحد العلوم الرياضية التي تستخرج به المجـــهولات باســتخدام حروف وأرقام وعلامات، ويعود الفضل في ظهور هذا العلم إلى العــالم العربــي محمد بن موسى الخوارزمي الذي عاش في عصر المأمون ، فهو مؤســس هــذا العلم وأول من ألف فيه بصورة منظمة ونقل إلى اللغات الأوروبية بلفظــه العربي **(A lgebra)** .

لقد قسم العرب المعادلات إلى ستة أقسام ووضعوا حلولاً لكل منها ، وحلّــوا كثيراً من معادلات الدرجة الثانية بطرق هندسية، كما حلّوا معادلات الدرجة الثالثة والرابعة بواسطة قطع المخروط[2]، واستعملوا منحنى نيكوميدس في تقسيم الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية ، واستعملوا الرموز في الأعمال الرياضيـــة، فاســتعملوا لعلامة الجذر الحرف (ح) ، وأشاروا إلى المجهول بـــالحرف الأول مــن كلمــة (شيء) وهو حرف (ش)، ثم تحول إلى (س)، واستعملوا لعلامة المساواة حــرف (ل) وللنسبة ثلاث نقط (. .)، وجمع العرب بين الهندسة والجبر واســتعملوا كــلاً منها لحل بعض الأعمال المتعلقة بالعلم الآخر، وبحثوا في نظرية ذات الحدين التي بواسطتها يمكن رفع مقدار جبري ذي حدين إلى أي قوة معلومة أسها عدد صحيح موجب [3].

لقد ترك محمد بن موسى الخوارزمي (ت ٢٣٥ هــ / ٨٥٠ م) كتاباً فـــي الجبر أطلق عليه اسم (الجبر والمقابلة)، وضعه في خلافة المـــأمون وبتشـــجيع منه، وبقي هذا الكتاب لقـــرون عديـــدة مصـــدراً مـــهماً بمادتـــه العلميـــة فـــي الرياضيات،كما اعتمد عليه فحول علماء أوروبا وترجموه إلى اللغة اللاتينية .

---

(1) ابن خلدون : العبر ج١ ص٤٨٣ .

(2) أنظر الخوارزمي : مفاتيح العلوم ،ص١١٦ – ١١٧ ، ابن خلدون : العبرج١ص٤٨٣ – ٤٨٥ .

(3) قدري طوقان:العلوم عند العرب، ص٥٦ – ٥٧، سعيد عاشور: تاريخ الحضارة العربية ، ص١٠٦ – ١٠٧.

وترك الخوارزمي مؤلفات كثيرة في الرياضيات والفلك والعلوم المختلفة منها الزيج الأول والزيج الثاني، وكتاب العمل بالاصطرلاب، وكتاب التاريخ [1].

ج- الهندسة والمثلثات :

علم الهندسة هو النظر في الأشكال والمقادير المتصلة الحاصلة من تقاطع الخطوط ونسب بعضها من بعض، وكانت قبل الإسلام علماً يونانياً أو علماً فيثاغورياً نسبة إلى فيثاغورس وقد استفاد العرب المسلمون من منجزات اليونان في هذا المجال، فبدأوا بترجمة كتاب إقليدس في الهندسة وهو كتاب (الأصول والأركان) في أيام أبي جعفر المنصور [2]، فكان لهذا العمل فائدة كبيرة حتى لأوروبا، فلم يتمكن الأوروبيون من الوقوف على هذا الكتاب والإفادة منه إلا من الترجمة العربية التي نقلها أديلارد الباثي إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي [3].

وأضاف العرب في الهندسة إلى ما نقلوه عن اليونان، وطبقوا النظريات الهندسية في الحياة العملية، فيشيد ابن القفطي بفضل الحسن بن الهيثم في هذا المجال ، فقد ألف كتاباً في الهندسة على نسق كتاب (الأصول) [4].

أما علم المثلثات فهو علم عربي لأن علماء المسلمين هم أول من وضع هذا العلم بشكل علمي وفصلوا بينه وبين الفلك، فالعرب استعملوا الجيب بدلاً من وتر ضعف القوس الذي استعمله اليونان، والمسلمون هم أول من أدخل المماس إلى حساب المثلثات، وإلى أبي الوفاء البوزجاني (ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م) يرجع الفضل في وضع النسب المثلثية (الظل) واستخدمها في حل المسائل

---

[1] ابن النديم : الفهرست ، ص٣٨٣ ، أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الاسلامية، ص٩٢ .

[2] أنظر الخوارزمي : مفاتيح العلوم، ص١١٨ ، ابن خلدون : العبر ، ج١ ص٤٨٥ – ٤٨٦ وانظر ابن النديم : الفهرست ، ص٣٧١ .

[3] سعيد عاشور : تاريخ الحضارة العربية ، ص١٠٨ .

[4] ابن القفطي : أخبار الحكماء، ص١١٤ ، عطية القوصي : الحضارة الاسلامية، ص٢٥٤ .

الرياضية،ووضع البوزجاني ايضاً جداول للمماس وأوجد طريقة دقيقة لحساب جداول الجيب، أما البيروني (ت ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م) فكتب رسالة في استخراج الأوتار من الدائرة [١].

واستعمل المسلمون المماسات والقواطع ونظائرها في قياس الزوايا والمثلثات، ووضعوا الجداول الرياضية التي مهدت لاكتشاف قانون اللوغريتمات[٢].

علم الفلك

هو العلم الذي يبحث في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة ويسميه ابن خلدون علم الهيئة[٣]، أما الخوارزمي فيقول بأنه يسمى بالعربية التنجيم وباليونانية اصطرنوميا، فاصطر هو النجم، ونوميا هو العلم[٤] .

وكان علم الفلك معروفاً عند بعض الأمم القديمة كاليونانيين والهنود وغيرهم، كما كان معروفاً عند العرب قبل الإسلام، وعند البابليين والكلدانيين والفرس، وعرف عرب الجاهلية الأبراج وعدداً من النجوم والكواكب وكانت لها أسماء عربية كالثريا والفرقدين وأسماء بابلية أو كلدانية أو فارسية كالمريخ وزحل والمشتري والزهرة .

واستعان العرب بمواقع النجوم ومطالعها للاهتداء في البراري والاستدلال على الجهات، واهتموا بحركات القمر فحسبوا به الشهور والسنين وعمدوا إلى النسيء لحل مشكلة الفرق بين طول السنتين الشمسية والقمرية[٥]، واستمر وجود

---

[١] سعيد عاشور : تاريخ الحضارة العربية ، ص١٠٨ – ١٠٩ ،عبده الحلو : الوافي في تاريخ العلوم عند العرب، ص٨٧ – ٨٨ ، قدري طوقان : العلوم عند العرب ،ص٦٢-٦٣ .

[٢] عطية القوسي : الحضارة الاسلامية ، ص٢٥٥ .

[٣] ابن خلدون : العبر ، ج١ ص٤٨٧ .

[٤] الخوارزمي : مفاتيح العلوم، ص١٢٢ .

[٥] محمد مطيع الحافظ : تاريخ العلوم عند العرب، ص١١٠ – ١١١ ، عبده الحلو : الوافي في تاريخ العلوم عند العرب، ص١٢٠ .

النسيء حتى ظهور الإسلام الذي حرمه بقوله تعالى : (إنما النسيء زيادة في الكفر) .

وبدأ اهتمام المسلمين بعلم الفلك في العصر الأموي، حيث ترجم أول كتاب في الفلك هو (مفتاح النجوم) المنسوب لهرمس الحكيم في أواخر العصر الأموي، وزاد الاهتمام بعلم الفلك في العصر العباسي منذ عهد الخليفة أبي جعفر المنصور الذي أولى الفلك عناية كبيرة وكان يصطحب معه (نوبخت الفارسي)،وكلف ابراهيم الفزاري بنقل كتاب في حركات النجوم هو (السندهند)،وفي عهد المأمون نقل يحيى بن البطريق (المقالات الأربع لبطليموس).

واهتم المسلمون بإنشاء المراصد الفلكية فبنى الأمويون مرصداً في دمشق، وفي العصر العباسي أمر المأمون باتخاذ المراصد الفلكية، فقدم لها ما تحتاج من أموال لبنائها وتجهيزها بآلات الرصد، فبنى مرصداً في الشماسية ببغداد،ومرصداً آخر في دمشق على جبل قاسيون، ثم توالى إنشاء المراصد في أنحاء الدولة الإسلامية، فبنى شرف الدولة البويهي مرصداً في بستان دار الحكمة،وأقام الفاطميون مرصداً على جبل المقطم في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله وعرف بالمرصد الحاكمي، واستخدم المسلمون بعض الآلات لرصد النجوم ومنها الاصطرلاب الذي استخدم في قياس الارتفاعات والمسافات وارتفاع النجوم والكواكب وتحديد أوقات الصلاة ومطالع البروج[1]، وصنع المسلمون آلة جديدة للرصد في عهد المأمون سميت (ذات الحلق)[2] وتتكون من حلقات نحاسية تمثل كل واحدة منها موضعاً في الفلك .

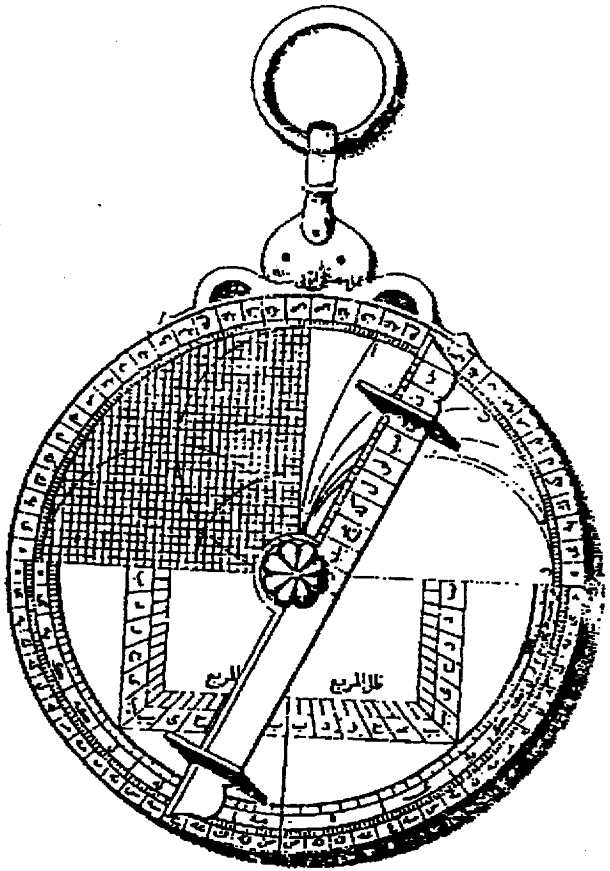
---

[1] عطية القوسي : الحضارة الإسلامية، ص٢٤٩ ، محمد مطيع الحافظ ، تاريخ العلوم، ص١١٤، عبده الحلو : الوافي في تاريخ العلوم ، ص١٢٣ .

[2] ابن خلدون : العبر، ج١ص٤٨٨ .

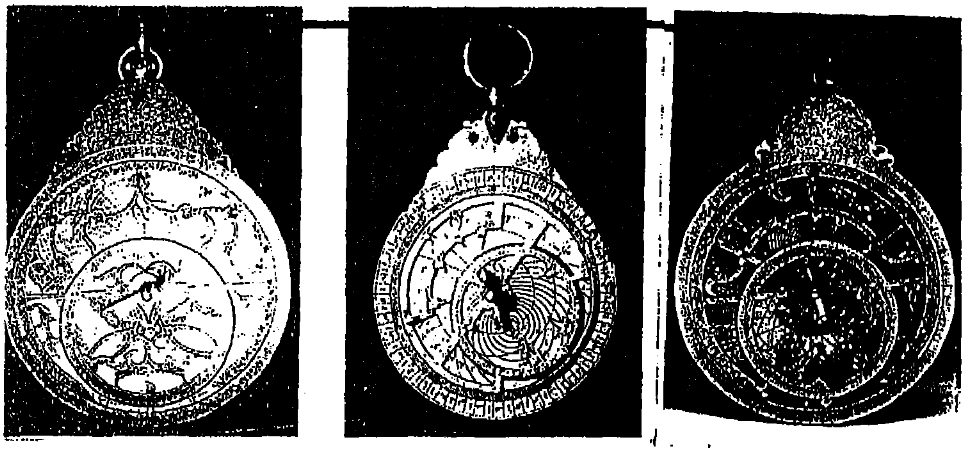


الوجه



الظهر

الاصطرلاب



أشكال متعددة من الاصطرلاب

وأهم منجزات العرب والمسلمين في الفلك وضع الأزياج[1] وحفظ تراث الأقدمين من الضياع بنقل الكتب الفلكية إلى العربية مثل المجسطي الذي ضاع أصله اليوناني وبقيت الترجمة العربية، وقياس محيط الأرض وتقدير الاعتداليين الربيعي والخريفي، ورصد الكسوف والخسوف، وتحديد اتجاه القبلة في المساجد تحديداً دقيقاً[2] .

وكانت الأسباب التي ساعدت على تطور علم الفلك وازدهاره عند المسلمين كثيرة منها :

١-الحاجة إلى تحديد أوقات الصلاة والصيام والأعياد، وتحديد اتجاه القبلة .

٢-معرفة الاتجاهات وطرق المواصلات .

٣-انفتاح المسلمين على علوم الأمم الأخرى وحضارتها ونقل العديد من الكتب الفلكية .

٤-تشجيع الخلفاء خاصة العباسيين لعلماء الفلك وإنشاء المدارس والمراصد الفلكية .

ومن علماء المسلمين في الفلك محمد بن موسى الخوارزمي صاحب كتابي الزيج الأول والزيج الثاني وأبو الريحان البيروني (٣٧٤هـ/٩٨٤م) الذي تمكن من تحديد خطوط الطول والعرض تحديداً دقيقاً، وله مؤلفات عديدة منها (الآثار الباقية عن القرون الخالية) وكتاب (القانون المسعودي) .

---

[1] الزيج : هو صناعة حسابية على قوانين عددية، وهي اختلاف حركات ومواضع الكواكب في الكرة السماوية من وقت لآخر (أنظر عبده الحلو : الوافي في تاريخ العلوم ص١٢٥) .

[2] أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٣٥٣ – ٣٥٤ ، عبده الحلو: الوافي في تاريخ العلوم ، ص١٢٦ – ١٢٩ ، محمد مطيع الحافظ : تاريخ العلوم ، ص٣٦.

الطـــــب

كانت لدى العرب قبل الإسلام معرفة بالطب لكنها على الأعم الأغلب كـانت مبنية على التجربة[1] وبعضها كان من خبراتهم التي اكتسبوها عن طريق اتصالهم بالأمم الأخرى، وورد في أشعار العرب ما يدل على معرفتـهم بـالطب، فمـن أشعارهم :

ما كان في الرأس أخرجه بغرغرة   فالقيء يخرج ما في الصدر من عفن
وكل ما كان في صلب فـذلك لا   يسيل إلا بأخـلاط من الحـقن

واشتهر من أطباء العرب في الجاهلية ابن حذيم الذي كـان طبيبـاً حاذقـاً يضرب به المثل فيقال (أطبّ من ابن حذيـم)، والحـارث بـن كلـده، ورفيـدة الأسلمية،وزينب طبيبة بني أود التي كانت صاحبة خبرة في مداواة أمراض العيـن وكانت بعض علاجاتهم في الطب مبنية على السحر والشعوذة .

ولما جاء الإسلام، حث الرسول صلى الله عليه وسلم على النظافة، وأوصـى بالحجر الصحي، ومن أقواله (ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن)، وقـد عملـت بعض النساء ممرضات مع الجيش الإسلامي، يعالجن الجرحى ويقدمن الدواء لمن يحتاج إليه مثل رفيدة الأسلمية، ونسيبة بنت كعب المازنية، وزينب طبيبة بنـي أود التي اشتهرت بالجراحة في صدر الإسلام .

لقد حارب الإسلام الخرافة التي ارتبطت بالطب ونهى عن الرجـوع إلـى العرافين والكهان وأبطل المداواة بالسحر والشعوذة، وسمح باستشارة الأطباء حتى وان كانوا من غير المسلمين، فعندما مرض سعد بن أبى وقاص في مكـة عـاده رسول الله ﷺ واستدعى الحارث بن كلدة ليعالجه[2] ، وألف العلماء المسـلمون كتباً تحمل اسم (الطب النبوي)، وتفسيراً لما أورده الرسـول ﷺ فـي هـذا

---

[1] ابن خلدون : العبر ج١ ص٤٩٣ ، عبده الحلو : الوافي في تاريخ العلوم، ص٢٦ .

[2] ابن أبي اصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص١٦١ ، عطية القوصي: الحضارة الإسلامية ، ص٢٢٣.

المجال ، منها كتاب (الطب النبوي) لابن قيم الجوزية (ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩م)، وكتاب (المنهل السوي في الطب النبوي) لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ /١٥٠٦م).

زاد اهتمام المسلمين بالطب في العصر الأموي وشجع الخلفاء الأطباء على الحضور إلي دمشق، وأغدقوا عليهم الأموال لترجمة المؤلفات الطبية إلى اللغة العربية ومزاولة مهنة الطب ، واتخذ بعضهم أطباء لهم، فمعاوية بن أبي سفيان جعل (ابن آثال) طبيبه الخاص وأكرمه وأحسن وفادته، وأولى خالد بن يزيد الطب عناية كبيرة فكان ينفق بسخاء على جمع الكتب الطبية وترجمتها .

ويعتبر الوليد بن عبد الملك هو أول من أنشأ المستشفيات في الإسلام،وخصص لها الأطباء وحدد لهم المرتبات والأرزاق[1]، وكان تياذوق من مشاهير الأطباء أيام بني أمية[2] صحب الحجاج بن يوسف إلى العراق، وقدم خدمة كبيرة للطب فقد فسر أهمية العلاقة بين الطبيب والمريض والتشخيص والعلاج .

وازدهر الطب في عصر بني العباس نتيجة الاهتمام الزائد من الخلفاء بسبب حاجة بعضهم إلى الأطباء لعلاجهم مثل أبي جعفر المنصور الذي استقدم جرجيوس[3] الطبيب من جند يسابور لعلاجه، ونتيجة الاهتمام بالحركة العلمية وحركة النقل والترجمة، كان للطب نصيب وافر من هذا الاهتمام ، فأقام هارون الرشيد بيمارستاناً كبيراً في بغداد لتعليم الطب والعلاج ، والحق به مكتبة كبيرة،وأنشئت في أوائل القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي أول نقابة طبية في الإسلام لتسجيل وترخيص الأطباء لممارسة مهنة الطب ، ففي سنة ٣١٩هـ/٩٣٠م علم الخليفة المقتدر بأن أحد أطباء بغداد أخطأ في تشخيص أحد

---

(١) اليعقوبي : التاريخ ج٢ص٢٩٠ – ٢٩١ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج١ ص٤٣١ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص١٧١ – ١٧٢ ، ١٨١ .

(٣) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص١٨٣ .

مرضاه ووصف العلاج له، ومات على أثر ذلك، فأمر الخليفة المحتسب بأن يمنع جميع الأطباء من ممارسة الطب حتى يقدم امتحاناً يجيز له ذلك، فكلف سنان بن ثابت بن قرة باجراء هذا الامتحان، فأجري لما يقرب من تسعمائة طبيب في بغداد[1].

وكان للمسلمين دور كبير في مجال الطب فدرسوا علوم الأوليين خاصة اليونان وترجموا كتبهم إلى اللغة العربية، فعدّلوا فيها وصحّحوها، وأضافوا إلى الطب إضافات جديدة لم يسبقهم إليها أحد ومن منجزاتهم في هذا المجال :

١- تعليل الكثير من الأمراض وتحديد الدواء المناسب لها كأمراض الجدري والحصبة والتهاب السحايا والسل الرئوي .
٢- عرفوا الدورة الدموية الصغيرة، وتنسب معرفتها إلى ابن النفيس.
٣- كانوا أول من استخدم (المخدر) في الطب والعمليات الجراحية، وذلك باستعمال نبات (الزؤان) أو الشيلم، واستخدموا العقاقير المخدرة لتسكين الألم.
٤- عرفوا الأمراض النفسية ووصفوا لها العلاج، وفسروا كثيراً من الاضطرابات التي تصيب الإنسان وأدرك الرازي أثر الموسيقى على نفسية المريض.
٥- إجراء العمليات الجراحية، فباشروا جراحة الأنف والأذن والحنجرة والفم والأسنان، واستخدموا الآلات في الجراحة كالمقص والمبضع والصنّارة وغيرها.
٦- قاموا باستخراج الحصاة أو تفتيتها في المسالك البولية .
٧- عرفوا الكثير من أمراض الأطفال .
٨- استخدموا مصارين الحيوانات في خياطة الجروح .
٩- وصف السكتة الدماغية، واحتقان الدماغ، وقام بذلك ابن سيناء .

---

(1) انظر ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ص٣٠٠ – ٣٠٧ ، محمد مطيع الحافظ : تاريخ العلوم عند العرب ص٥٨ .

١٠- سرّعوا في دراسة العقم ومعرفة الأورام الخبيثة .

١١- قاموا بتشريح العين والتعرف على أجزائها[1]، وعرفوا علاج الماء الذي يصيب العين .

١٢- عرفوا تعقيم الجروح وتطهيرها بالكي والقوابض .

١٣-بناء المستشفيات الذي بدأ في خلافة الوليد بن عبد الملك حيث أمر ببناء مستشفى لحبس المجذومين حتى لا يختلطوا بالناس، وآخر لعزل المصابين بالعمى، ثم تطور بناء المستشفيات، واهتم المسلمون باختيار الأماكن المناسبة لبنائها، وكانت هذه المستشفيات تنقسم حسب الأمراض، فكان منها مستشفيات خاصة بالأمراض العقلية كالمستشفى النوري في حلب، ومستشفيات خاصة بالأمراض المعدية كالجذام، والعمى[2] .

واشتهر عدد كبير من الأطباء المسلمين كان كثير منهم من النساطرة[3] والسريان مثل آل بختيشوع وآل ماسوية وآل اسحاق، وبني قرة، ومن الأطباء في العصر الإسلامي :

١-حنين بن اسحاق (ت٢٦٤هـ/٨٧٧م) :

وهو من نساطرة الحيرة ينتمي إلي قبيلة العباد العربية[4]، كان فصيحاً بالعربية ويتقن اللاتينية والسريانية والفارسية، عهد إليه المأمون بترجمة كتب الطب عن اليونانية، وكان يعطيه مقابل ذلك زنة كل كتاب يترجمه ذهباً، فترجم مؤلفات أبقراط وجالينوس وروفوس من اليونانية وترأس مدرسة للترجمة كان من

---

(١) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ،ص٩٣ – ٩٤ .

(٢) سبق الحديث عن المستشفيات في الفصل الخامس من هذا الكتاب .

(٣) النساطرة نسبة إلى زعيمهم الاسقف نسطوريوس بطريق القسطنطينية (القرن٥ م)وهم جماعة من المسيحيين يعتقدون بالطبيعة البشرية للمسيح ، أقاموا في مدينة جند يسابور ودرسوا في مدرستها .

(٤) ابن النديم : الفهرست،ص٤١١ – ٤١٢ .

أفرادها ابنه اسحق، فقامت هذه المدرسة بترجمة أكثر من مـــائتي كتـــاب[1] إلـــى العربية، ومن أشهر كتب حنين (كتاب المقالات العشـــر) فـــي العيـــن، وكتـــاب (المسائل) في الطب .

٢-ثابت بن قرة الحراني (ت٢٨٨هـ/٩٠٠م) :

من أهل حران كان صيرفياً ، قدم إلى بغداد بدعوة من أبنـــاء موســـى بـــن شاكر، عمل في الطب والفلسفة والعلوم الرياضية، فنال شهرة واسعة، وله مؤلفات عديدة في الطب منها رسالة في الحصى المتولدة في الكلى والمثانة ورســـالة فـــي الجدري والحصبة، وكتاب في وجع المفاصل والنقرس، وكتاب الأدويـــة المفـــردة لجالينيوس .

٣-الرازي (ت٣١٣هـ/٩٢٥م) :

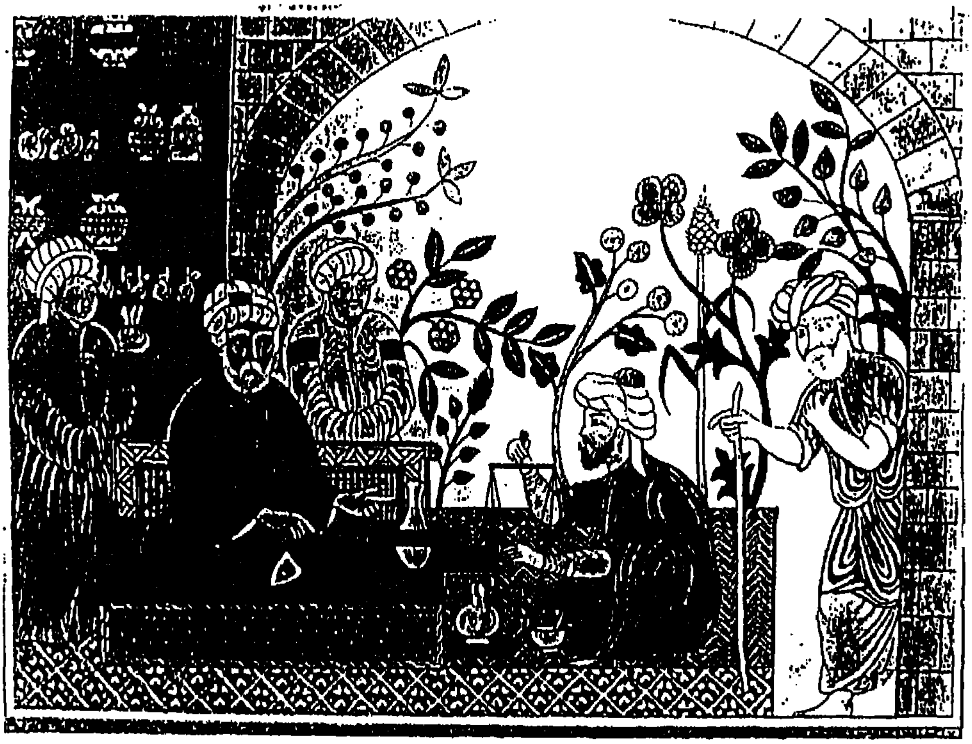
هو أبو بكر محمد بن زكريا، ولد بالري ثم انتقل إلى بغـــداد وأقبـــل علـــى دراسة الطب والفلسفة[2]، وهو أول من أظهر أهميـــة الطـــب الســـريري واهتـــم بالمستشفيات والجلوس إلى جانب أسرّة المرضى لمعرفة حالتـــهم والعنايـــة بـــهم وكتب في علم النفس والأخلاق والكيمياء وبين أهميتها في العلاج والعقاقير وهـــو أول من وصف الحصبة والجدري سريرياً، وأشار إلى انتقالهما بـــالعدوى، وهـــو الذي استخدم مصارين الحيوانات لخياطة الجروح، واستخدم الزئبق في المراهم.

اشترك في بناء المستشفى العضدي (نسبة إلى عضد الدولة البويهي) وكـــان عضد الدولة استشارة في موضع البناء، فأشار عليه أن يعلق قطعة لحم في كل

---

(١) ابن النديم : الفهرست، ص٤١١ – ٤١٢ ، محمد مطيع الحافظ : تاريخ العلوم، ص٥٧ .

(٢) ابن النديم :الفهرست، ص٤١٥ – ٤١٦ .



تحضير الدواء عند المسلمين

جهة من بغداد وفي اليوم التالي اختبر اللحم فوجد موضعاً لم يتغير فيه ريح اللحم فعرف أنه الأطيب مناخاً والأنسب لبناء البيمارستان .

وبعد اكتمال البناء كلفه عضد الدولة بالإشراف على المستشفى، وله مؤلفات كثيرة منها:كتاب الحاوي أو (الجامع لصناعة الطب)، وكتاب المنصوري[1] وكان يلقب بجالينيوس العرب .

٤-ابن سيناء (٤٢٨هـ/١٠٣٦م) :

هو أبو علي الحسين بن عبد الله ، ولد في بخارى من قرى تركستان، وتنقل في طلب العلم، فسافر إلي الري وهمذان واصفهان وبغداد وغيرها من البلاد، واتصل بكبار علماء عصره، ومن مؤلفاته التي نالت شهرة فائقة كتاب (القانون) في الطب حيث جمع معارف سابقيه ومعاصريه في الطب وأضاف إليه إنتاجه وما وصفه من أمراض ومعالجات، وشرح فيه طرق تحضير الأدوية وكيفية استعمالها[2].

درس أحوال العقم وتحدث عن أسبابه، كما تحدث عن السل الرئوي والأمراض التناسلية، ولجأ إلى التطبيب بالتحليل النفسي وشرح اعراض مرض المالنخوليا الذي ينسبه بعض الأطباء إلى الجن .

وصف ابن سينا السكتة الدماغية واحتقان الدماغ وهو أول من استخدم التخدير لإجراء العمليات الجراحية، وعرف مرض السرطان[3] .

---

(1) حول كتب الرازي انظر ابن النديم : الفهرست، ص٤١٦ – ٤١٩، على شلق : العقل العلمي في الاسلام ، ص٦٩ – ٧١ .

(2) محمد مطيع الحافظ : تاريخ العلوم عند العرب ص٦٧ ، عطية القوصي : الحضارة الاسلامية ص٢٣٧ ، ٢٣٩.

(3) عبده الحلو : الوافي في تاريخ العلوم عند العرب ص٥١ .

٥-أبو القاسم الزهراوي الأندلسي (قرن ٥هـ/١١م) :

خلف بن العباس القرطبي وينسب إلى المدينة الزهراء، كان خبيراً بالأدوية المفردة وهو من أكبر الجراحين المسلمين، وهو أول من بحث في التهاب المفاصل ومرض السل ووصف عملية تفتيت الحصى في المثانة، وأشار إلى استخدام النساء في التمريض[١] كممرضات ومساعدات ممرضات واستخدم مجموعة من الآلات في العمليات الجراحية كالمبضع والصنارة والمقص وغيرها.

وله مجموعة من التصانيف المشهورة منها كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) .

٦-ابن زهر الاشبيلي (ت٤٨٤هـ/١٠٩١م) :

هو أبو مروان بن أبي العلاء، من أطباء الأندلس، له كتاب (التيسير في المداواة والتدبير)، وخصصه لذكر أمراض القلب ومداواتها والإشارة إلى أعراض مرض السرطان، وله رسالة في علتي البرص والبهق .

٧-أبو الفرج اليبرودي (ت٤٠٠هـ/١٠٠٩م) :

هو طبيب دمشق المشهور في العصر الفاطمي، ولد ونشأ في قرية يبرود[٢] كان أول أمره فلاحاً يجمع الشيح ويبيعه في دمشق وقوداً للأفران ثم استقر في دمشق وتعلم الطب ثم توجه إلى بغداد ليدرس فيها على الطبيب المشهور أبو الفرج واتصل بمشاهير الأطباء في مصر .

---

[١] ابن أبي اصيبعة : عيون الانباء ،ص٥٠١ .

[٢] ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ص٦١٠ .

الكيميـــــاء

بدأ الاهتمام بهذا العلم عند المسلمين منذ العصر الأموي على يد خـــالد بـــن يزيد بن معاوية(١) ودفعته إلى ذلك الفكرة التي كانت سائدة عند بعض العلماء فـــي العصور القديمة والوسطى وهي إمكانية تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب ،فكلف بعض العلماء بترجمة كتب الكيمياء اليونانية إلى العربية، فنشأ بذلك ما عرف بعلم الصنعة(٢) الذي أسهم في تقدم علم الكيمياء، كما كانت العناية بـــالطب والصيدلـــة وتحضير الأدوية تستدعي الاهتمام بعلم الكيمياء .

وأقبل المسلمون على دراسة هذا العلم وساروا فيه على أســـاس التجربـــة ، فخطا خطوات ثابتة على طريق التطور والتقدم، فقد تحول علم الصنعة على يـــد جابر بن حيان ومن بعده الرازي إلى علم تجريبي، ولكثرة ما قدم العـــرب لعلـــم الكيمياء فقد وصف بأنه علم عربي، وتوصل العرب نتيجة تجاربهم العلمية في هذا المجال إلى تحضير المواد التالية(٣) :

١-حامض الكبريتيك ($H2\ So_4$)، وحـــامض النيـــتريك (HNo_3) وحـــامض الكلوردريك أو روح الملح (HCL) .

٢-الصودا الكاوية (Na OH) التي تستخدم في صناعة الصابون والحريـــر الاصطناعي .

٣-الكحول ($CH_3\ OH$) والنشادر ($NH_4\ OH$) .

٤-ماء الذهب وهو ملح ينتج عن تفاعل الحامض الكلوري المتوفر في المـــاء الملكي مع الذهب .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ، ص٤٩٧ ، عطية القوصي : الحضارة الاسلامية ، ص٢٥٦ .

(٢) تشتمل الصنعة على كتب اليونان والسريان في مجال الكيمياء التي ترجمت إلى اللغة العربية ، ويقول ابن النديم: صناعة الكيمياء ، وهي صنعة الذهب و الفضة من غير معدنها (انظر ابن النديم : الفهرست ، ص٤٩٣) .

(٣) انظر عبده الحلو : الوافي في تاريخ العلوم عند العرب، ص٦٢ – ٦٣ ، قدري طوقان : العلوم عند العرب ، ص٣٠ – ٣١ .

٥-الاثمد (Sb) الذي استخرجوا منه الكحل لطبابة العيون .

٦-نترات الفضة ($Ag NO_3$) التي استخدمت في الصيدلة .

٧-كذلك قاموا بتحضير أكسيد المنغنيز (MnO_2) واستعمل في صناعة الزجاج .

بالإضافة إلى ذلك فقد أدخل العرب طريقة فصل الذهب عن الفضة بالحل بوساطة الحامض ، وأتقن العلماء عمليات التقطير والترشيح والتصعيد والتبلور والتذويب والتسامي والتكليس وغيرها [١].

واستخدموا هذا العلم في الطب والصناعات وفي صنع العقاقير وتركيب الأدوية وتنقية المعادن وتركيب الروائح العطرية ودبغ الجلود وصبغ الأقمشة ، واستخدموا أدوية إذا طلي بها الخشب امتنع احتراقه، وكانت لهم محاولات لكشف الإكسير (حجر الفلاسفة) الذي يهب الحياة ويعيد الشباب[٢] أو يحول المعادن الرخيصة إلى ذهب فيلقى من الإكسير على الجسم المعدني المستعد لقبول صورة الذهب أو الفضة بالاستعداد القريب من الفعل مثل الرصاص والقصدير والنحاس بعد أن يحمى بالنار فيعود ذهباً إبريزاً [٣].

وطور العلماء المسلمون استخدام ملح البارود (نترات البوتاسيوم) الذي اكتشفه الصينيون، فاستغل المسلمون قوة البارود الدافعة لاكتشاف الأسلحة النارية، فكانوا يصنعون مزيجاً من ملح البارود والفحم والكبريت بنسبة (١٠:٢:١,٥) ويسحقون الخليط جيداً، ويحشون به ثلث المدفع فقط حتى لا ينفجر، ويضعون أمام هذا الخليط كرة من الحديد تشبه القنبلة، ثم يشعلون النار في الخليط فينفجر ويقذف الكرة بقوة باتجاه الحصون وتجمعات الأعداء، واستخدم المسلمون المدفع والأسلحة

---

[١] انظر الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص١٤٧ – ١٤٩ ، ابن خلدون : العبر ، ج١ ص٥٠٤ – ٥٠٥ .

[٢] ابن خلدون : العبر، ج١ ص٥٠٤ ، سعيد عاشور : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص١١٨ . روم لاندو : الاسلام والعرب ، ص٢٧١ ، وانظر قدري طوقان : العلوم عند العرب ، ص٢٩ .

[٣] ابن خلدون : العبر ج١ ، ص٥٠٤ .

النارية في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وأخذت أوروبا عنهم هذه الصناعة في القرن التالي، وأخذت في تطويرها بعد ذلك.

ويرتبط نشوء وتطور علم الكيمياء بالعالم العربي المسلم جابر بن حيان الكوفي[1] (ت٢٠٠هـ/٨١٥م)، فهو إمام علماء الكيمياء تتلمذ على الإمام الصادق، وله أكثر من خمسمائة مؤلف في هذا العلم، حيث بقيت كتبه تدرس في أوروبا لقرون عديدة، ومن مؤلفاته: (الميزان) و (نهاية الإتقان) و (رسالة في الأفران) وترجمت إلى اللغة اللاتينية، و (كتاب التكليس) و (كتاب الإيضاح) الذي تكلم فيه عن تكوين الفلزات .

يعتبر جابر بن حيان أول من حضر حامض الكبريتيك (زيت الزاج) واكتشف حامض النيتريك وماء الذهب (النيتروهيدروكلوريد) وكلوريد الزئبق، وتنسب إليه عدة اختراعات في مجال الكيمياء منها :

١-تقطير الخل للحصول على حامض الخليك المركز .

٢-تحضير طلاء يمنع صدأ الحديد .

٣-صناعة ورق غير قابل للاحتراق .

٤-استعمال ثاني أكسيد المنجنيز في صناعة الزجاج .

٥-صبغ الجلود والشعر، واستخدام الشب لتثبيت الألوان .

ويعتبر الرازي من الأعلام الكبار أيضاً في علم الكيمياء[2] فهو الذي اشتهر بتطبيق المنهج العلمي في إجراء التجارب، وتوصل إلى سر الصناعة الذي لم يتوصل إليه العلماء السابقون، فتمكن من تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب،ويقال بأنه اتخذ صحونه وأدواته من الذهب الخالص لكنه احتفظ لنفسه بسر هذه الصناعة لاعتبارات أخلاقية[3] ويذكر في كتابه المعروف بـ (سر الأسرار) تجاربه التي

---

(1) ابن النديم : الفهرست ، ص٤٩٨ – ٤٩٩ .

(2) ابن النديم : الفهرست ، ص٥٠٤ ، علي شلق : العقل العلمي في الاسلام ، ص١١٨ وما بعدها .

(3) انظر عطية القوصي : الحضارة الاسلامية، ص٢٥٧ .

أجراها فيصف المواد التي يشتغل بها والأدوات والآلات التي يستخدمها، ثم الطريقة التي يتبعها في تحضير المركب، وهذا هو النهج الصحيح في البحث العلمي .

الترجمة

كان العرب منذ فترة ما قبل الإسلام على اتصال بالأمم المجاورة، كالفرس والروم والهنود، فاختلطوا معهم وتعرفوا على أحوالهم ولغاتهم، وكان لتجارة العرب مع الأمم والشعوب دور كبير في انتقال معارف هذه الأمم والشعوب إلى العرب من الحبشة والهند وبلاد فارس وبلاد الروم، وتعلم بعض رجال العرب لغات هذه الأمم كالفارسية واليونانية، فالحارث بن كلدة(1) وابنه النظر تعلّما الطب في مدرسة جند يساور .

وبعد الغزو اليوناني لبلاد الشرق العربي سنة (٣٣٣ق.م) أخذت تنتشر الثقافة الهلينية في المنطقة ونشأت مدارس للعلم والفلسفة في نصيبين وحران وانطاكية والإسكندرية وجند يسابور، حيث اهتمت هذه المدارس بالترجمة اهتماماً كبيراً، وقامت بنقل الكثير من العلوم والمعارف إلي العرب (2).

وفي صدر الإسلام انشغل المسلمون بالفتوحات ونشر الإسلام، ثم بدأت الدولة العربية بالاستقرار في العصر الأموي، فبدأت من هناك اهتمامات العلماء بالاطلاع على العلوم والثقافات عندما قام خالد بن يزيد بن معاوية (ت٨٥هـ/٧٠٤م) بتبني بعض أعمال الترجمة ونقل الكتب العلمية والفلسفية الى اللغة العربية، فقد أحضر جماعة من الفلاسفة، وطلب منهم نقل بعض الكتب الى العربية(3) .

---

(1) انظر ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج٢ ص٢٩ ، ابن خلدون : العبر، ج١ ص٤٩٣ .

(2) محمد مطيع الحافظ : تاريخ العلوم عند العرب ، ص١٩ ، عبده الحلو : الوافي في تاريخ العلوم ، ص٢٤ .

(3) ابن النديم : الفهرست ، ص٤٩٧ ، سعيد عاشور : تاريخ الحضارة العربية ، ص٨٥ .

وزاد الاهتمام بحركة الترجمة منذ عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٨-٧٢٠م)، فنقل الطبيب اليهودي ماسر جوية كتاب (القس أهرن) في الطب، وبعض كتب الطب لجالينوس، ونقلت كتب أخرى في الفلك والنجوم، منها كتاب (عرض مفتاح النجوم) في الفلك المنسوب لهرمس الحكيم[1]، إلا أن هذه الأعمال بقيت محدودة .

وبدأت الترجمة تأخذ أهمية خاصة منذ أوائل العصر العباسي، فقد أولى أبو جعفر المنصور أهمية كبيرة لنقل الكتب الطبية والرياضية والفلكية، ثم أسس هارون الرشيد مكتبة ضخمة في بغداد، وشجع على نقل الكتب الطبيعية والرياضية والطبية إلى اللغة العربية .

وكان العصر الذهبي لحركة النقل والترجمة في عهد الخليفة المأمون الذي أنشأ داراً للترجمة، وشجع على ترجمة الكتب الفلسفية والفلكية والرياضية والعلمية، وبلغ اهتمامه بهذا العمل أن خصص جوائز لمن يقوموا بذلك، فكان يدفع وزن الكتاب المترجم ذهباً لمن يقوم بذلك، واهتم بجمع الكتب والحصول عليها بوسائل كثيرة، ففي الصلح الذي عقده مع الروم سنة (٢١٤هـ/٨٣٠م)، وضع في شروط الصلح أن يقوم الروم بتسليمه مكتبة من مكتبات القسطنطينية [2].

واستمر الاهتمام بالنقل والترجمة عند خلفاء بني العباس، وتولى السريان الاهتمام بأعمال الترجمة، فكان أكثر المترجمين منهم، فمن مشاهير المترجمين جورجيس بن بختيشوع وكان طبيباً ماهراً وعمل طبيباً للخليفة المنصور وكان يترجم الكتب من اليونانية إلى السريانية، ويوحنا بن البطريق الذي ترجم كتاب (الأصول) لاقليدس، ومحمد بن إبراهيم الفزاري الذي ترجم كتاب (السند هند) في

---

(1) عبده الحلو : الوافي في تاريخ العلوم عند العرب ، ص٢٣ .

(2) ن.م ، ص٢٣ .

علم الفلك من الهندية إلى العربية، وحنين بن اسحاق وابنه اسحاق، وثابت بن قـرة وغيرهم [1].

أما أهم الكتب التي ترجمت إلى اللغة العربيـة، سـواء مـن اليونانيـة أو السريانية أو الفارسية أو الهندية فمنها:

أ- **في الطب:** ترجم كتاب (السموم) لأبقراط عن اللغة اليونانية، كما ترجـم عن اليونانية أيضاً كتاب (التشريح) لجالينوس وكتـاب (الحشـائش والأعشـاب) لديسقوريدس[2]وكان لهذا الكتاب أهمية كبيرة فـي تطـور علـم الصيدلـة عنـد العرب،كما ترجمت بعض الكتب عن الهندية منها كتاب في أسماء عقاقير الهند[3].

ب- **في الرياضيات:** كان كتاب (الأصول أو الأركان) في طليعـة الكتـب المترجمة عن اللغة اليونانية وترجم عدة مرات، وأشهر مترجميه هو حنيـن بـن اسحاق[4] وابنه، وترجمت رسائل فيثاغورس في الهندسة، وكتاب (المدخل إلى علم العدد) لنيقوماخوس الجرشي عن اليونانية أيضاً، كما ترجمت رسائل عن الهنديـة، واستفاد منها العرب نظام الترقيم الذي طوروه في الرياضيات .

ج- **في الفلك:** ترجم عن اليونانية كتاب (المجسطي) لبطليموس[5] ويتنـاول معلومات جغرافية وفلكية، وترجمت لبطليموس (المقالات الأربـع) و (الكواكـب الثابتة)، وترجم عن الهندية كتاب (السند هند)، حيث ترجمه محمد بـن إبراهيـم

---

(1) محمد مطيع الحافظ : تاريخ العلوم عند العرب ، ص٢٨ – ٣٣ ، علي شلق : العقل العلمي ، ص٤١ – ٤٥.

(2) ابن النديم : الفهرست ، ص٤٠٧ – ٤٠٨ .

(3) عبده الحلو : الوافي في تاريخ العلوم عند العرب ، ص٢٧ .

(4) ابن النديم : الفهرست ، ص٤٠٩ – ٤١٠ .

(5) ن.م، ص٣٧٤ – ٣٧٥ .

الفزاري، بطلب من الخليفة المنصور، ويتضمن الكتاب معارف الهنود في الرياضيات والفلك، خاصة ما يتعلق بالكسوف والخسوف والاعتداليين والتقاويم،واستخرج منه الفزاري زيجاً حول فيه جداول السنين الهندية الشمسية إلى سنين قمرية [1].

د- **في الفلسفة:** ترجمت الكثير من الكتب عن اليونانية منها كتاب (الجمهورية) لأفلاطون، وكتابي (السياسة) و (المقولات) لأرسطو .

هـ- **في الطبيعيات:** ترجمت كتب أرسطو عن اليونانية وهي (الحيوان)،و(النبات)، و (المعادن)، وكتاب (المناظر) لبطليموس الذي يتحدث فيه عن الضوء والرؤيا، وكتاب (الحيل الروحانية) لهيرون .

الفلسفة

الفلسفة مشتقة من اللفظ اليوناني فيلا سوفيا ومعناها محبة الحكمة،والفيلسوف محب الحكمة، ومعنى الفلسفة علم حقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح[2]، وهي فرع من العلوم العقلية التي تسمى علوم الأوائل [3].

تعتبر الفلسفة من مميزات الثقافة اليونانية التي انتشرت في بلاد الشرق منذ فتوح الاسكندر الأكبر، واستمرت بعد ذلك اثر الاجتياح الروماني للمنطقة، فظهر في الاسكندرية المذهب الفلسفي المعروف بالأفلاطونية الحديثة[4] خاصة بعد أن استقر عدد من فلاسفة اليونان في القرن السادس الميلادي في جند يسابور، حيث

---

[1] سعيد عاشور :تاريخ الحضارة الاسلامية ،ص٩٢ .

[2] الخوارزمي : مفاتيح العلوم ،ص٧٩ ، ابن خلدون : العبر ، ج١ ص٤٧٨ .

[3] ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء ،ص١١٣ .

[4] تنسب هذه الفلسفة إلى أفلوطين (ت٢٧٠م) وقد ولد في اسيوط بمصر وتوفي فيها ، وكان صاحب اهتمامات فلسفية فألف عدداً من الكتب في الفلسفة وأقام مذهباً عرف بالمذهب السكندري وكان يميل إلى البحث والتفكير العقلي ثم أخذ يناصر الوثنية ويقاوم المسيحية ، ثم اتجه إلى السحر والغيبيات والتنجيم (انظر عطية القوصي : الحضارة الاسلامية ، ص١٩٨) ..

نشأت فيها مدرسة أسسها سابور الأول واشتهرت بتعليم الطب والفلك والفلسفة،وصار لها دور بارز في العصر الإسلامي[1]، فقد هاجر إليها عدد من الفلاسفة الذين هربوا بعد أن أغلق جستنيان مدارسهم في أثينا سنة (٥٢٩م) .

كان لآراء هؤلاء الفلاسفة الذين عاشوا في جند يسابور أثر كبير في الشرق الإسلامي بعد أن صبغت هذه الفلسفة بالصبغة المسيحية بسبب اعتناق أصحابها الديانة المسيحية، ولاقت قبولاً عند بعض علماء الصوفية والمعتزلة نتيجة نشاط السريان بترجمة بعض الكتب الفلسفية إلى السريانية .

وأخذ كثير من المسلمين بالاطلاع على الفلسفة اليونانية، وحاول بعض مفكريهم الاستفادة من أساليب فلاسفة اليونان في الجدل والمنطق للرد على مجادليهم من اليهود والنصارى، أو في تفسير بعض آيات القرآن الكريم فأدى ذلك إلى ظهور علم الكلام الذي استخدم للدفاع عن الإسلام بالجدل والعقل والمنطق[2].

كانت المعتزلة من أبرز الفرق الكلامية التي اعتمدت على العقل في المسائل الدينية خاصة ما يرتبط بصفات الله تعالى، وخلق القرآن، وكان فلاسفة المسلمين قد تأثروا تأثراً كبيراً بالفلسفة اليونانية، فعكفوا على دراسة كتب سقراط وأفلاطون وأرسطو، وتناولوها بالشرح والنقد والمقارنة البناءة .

واختلف منهج المتكلمين عن منهج الفلاسفة، فالمتكلمون كانوا يطرحون الحقيقة على أنها أمر مسلم به، ثم يتجهون للبرهنة عليها، أي يتخذون الإيمان بالله والتمسك بأركان الدين ثم يعملوا على إثبات ذلك بالأدلة العقلية، أما الفلاسفة فانهم يبدأون من نقطة الصفر ثم يستخدمون العقل خطوة خطوة للوصول إلى الحقيقة، بمعنى أنهم ينظرون إلى كافة الحقائق نظرة مجردة من أي إحساس ديني،ثم يطبقون أساليب العقل والمنطق على كل منها حتى يصلوا إلى الحقيقة [3].

---

[1] محمد مطيع الحافظ : تاريخ العلوم ، ص٢١ ، عبده الحلو : الوافي في تاريخ العلوم ، ص٢٤ — ٢٥ .

[2] سعيد عاشور : تاريخ الحضارة العربية ، ص٩٤ .

[3] ن.م ، ص٩٤ — ٩٥ .

لقد ارتبطت دراسة الفلسفة عند المسلمين بحركة الترجمة لأن معظم الكتب الفلسفية كانت بلغات غير عربية خاصة اللغة اللاتينية، لذلك كانت الدراسات الفلسفية قبل العصر العباسي قليلة جداً لأن حركة الترجمة كانت محدودة فلما تطورت أعمال الترجمة تطور معها الفكر الفلسفي، وقام الفلاسفة المسلمون بدراسات كثيرة، فقاموا بإدخال الفلسفة في شرح الدين الإسلامي والتوفيق بين العلم والدين[1]، ومناقشة مسائل هامة مثل خلق العالم، والخير والشر والنفس الإنسانية وغير ذلك حيث برز دور الفلاسفة المسلمين في الأمور التالية :

١- استيعابهم لأركان الفلسفة اليونانية وفهمها فهماً عميقاً، فقاموا بشرح بعض جوانبها شرحاً دقيقاً، وفسروا كثيراً من مبادئها تفسيراً لم يسبقهم إليه أحد من المفكرين .

٢- نقل الفكر الفلسفي اليوناني إلى الغرب الأوروبي، فغرب أوروبا في أوائل العصور الوسطى في القرن ١١م كانت صلته بالتراث اليوناني مقطوعة في جميع المجالات الفلسفية والعلمية والأدبية، هذا في الوقت الذي أقبل فيه علماء المسلمين على دراسة هذه المجالات وترجمتها إلى اللغة العربية، وعندما بدأ الاتصال الأوروبي بمراكز الحضارة الإسلامية في الأندلس وصقلية والمشرق خلال الحروب الصليبية، تنبه الأوروبيون إلى التراث اليوناني وأهميته لأنهم درسوه على العرب، فقاموا بترجمته من اللغة العربية إلى اللاتينية لأنهم وجدوا أن كثيراً من أصوله قد فقدت ولم يبق له أثر إلا في الترجمات العربية، وكان ممزوجاً بشروح وإضافات العلماء المسلمين[2] .

ومن مشاهير فلاسفة المسلمين :

---

[1] عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص٢١٢ .

[2] سعيد عاشور : تاريخ الحضارة العربية ، ص٩٦ – ٩٧ .

١- أبو يوسف يعقوب الكندي (ت٢٦٠هـ/٨٧٥م)، ويلقب (بفيلسوف العرب) وكان مقرباً من المأمون والمعتصم، حاول بفلسفته أن يوفق بين آراء أرسطو وأفلاطون، وكان متأثراً بفلسفة المعتزلة وفلسفة اليونان خاصة أرسطو،وكان عالماً بالطب والحساب والمنطق والهندسة والنجوم، وله مجموعة من المؤلفات، إلا أن أكثرها تمت مصادرته بعد اتهامه بتأويل الدين وفق الفلسفة[١].

٢-أبو نصر محمد بن طرخان الفارابي (ت٣٣٩هـ/٩٥٠م)[٢]، تنقل في أمهات المدن الإسلامية ثم قصد بلاط سيف الدولة الحمداني، وانكب على دراسة الفلسفة والمنطق والرياضة والطب والموسيقى، وهو أول فيلسوف في الإسلام نظر إلى الفلسفة نظرة شاملة، وكانت فلسفته تعتمد على ثلاثة جوانب رئيسية هي، الفلسفة اليونانية وتعاليم الإسلام والعقل، تأثر الفارابي بالفلسفة اليونانية وترك كتاباً سماه (آراء أهل المدينة الفاضلة) تناول فيه صفات المجتمع المثالي وكان يلقب بالمعلم الثاني تمييزاً له عن أرسطو الذي لقب (بالمعلم الأول) كما لقب بفيلسوف الإسلام [٣].

٣- أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا[٤] (ت٤٢٨هـ/١٠٣٦م)، اشتهر بالطب والفلسفة، وكان يلقب بالشيخ الرئيس، ودرس علوم الدين والرياضة، وكان يعتبر الدين والفلسفة طريقين يؤديان إلى نفس الحقيقة، وألف مجموعة كبيرة من

---

(١) انظر ابن أبي أصيبعة:عيون الانباء ، ص٢٨٥ ، محمد القصري: مظاهر الثقافة الاسلامية ، ص١٤٠ – ١٤١.

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج٥ ص١٥٣ – ١٥٧ ، ابن النديم : الفهرست ، ص٣٦٨ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج٥ ص١٥٤ ، عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ،ص٢١٦ .

(٤) ابن القفطي : تاريخ الحكماء ، ص٤١٣ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء ، ص٢٣٩ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج٢، ص١٥٧ – ١٦٢ .

الكتب منها كتاب (الشفاء) وهو موسوعة فلسفية تشتمل على علوم المنطق والإلهيات والطبيعيات، وكتاب (القانون) في الطب والفلسفة وكتاب (النجاة) و (الإشارات)[1] وكان الشيخ الرئيس من العلماء الذين خدموا في بلاط الدولة السامانية وعمل بالوظائف الإدارية في بخارى وتقلد الوزارة لشمس الدولة الساماني في همدان وبقي فيها حتى وفاته .

٤-**اخوان الصفا:** وهم جماعة شيعية إسماعيلية كان مركزها في البصرة، عاشوا في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وكانوا جماعة سرية أخذت كثيراً من مبادئ الفلسفة الطبيعية، لجأوا إلى تأويل القرآن الكريم تأويلاً مجازياً، ووضعوا مجموعة من الرسائل عددها (٥٢) رسالة تبحث في كثير من النواحي الفلسفية، وكانت أشبه ما تكون بدائرة معارف، وأتم اخوان الصفا أعمال المعتزلة في محاولة التوفيق بين العلم والدين وتحقيق الانسجام بين الشريعة والفلسفة اليونانية[2]، وقالوا : ان الشريعة دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلاّ بالفلسفة[3] .

٥- **أبو بكر محمد بن باجة الأندلسي** (ت٥٣٣هـ/١١٣٩م)[4]، وهو فيلسوف أندلسي عاش في عصر الدولة المرابطية، في وقت تعرض فيه الفلاسفة لموجة من الاضطهاد وكان ابن باجة بين من اتّهم بالزندقة والإلحاد، ومات مسموماً بأيدي أعدائه، وكان قد تأثر بآراء فلاسفة المشرق مثل الفارابي وابن سينا،وبالإضافة إلى الفلسفة فقد اشتغل بالطب والرياضيات والفلك والأدب [5].

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٢ ص١٦٠ .

(٢) القفطي : أخبار الحكماء ، ص٥٩ ، أبو ريد شلبي : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص٣٤٣ -٣٤٤ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج٤ ، ص٤٢٩ - ٤٣١ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الاعيان ،ج٤ ص٤٢٩ .

(٥) ن.م ،ج٤ ص٤٢٩ .

٦- **ابن طفيل القيسي** (ت٥٨١هـ/١١٨٥م)، واشتغل بالطب والفلسفة والفلك، وعاش في عصر الموحدين، وله مجموعة من الكتب أهمها (حي بن يقظان) وهي قصة جميلة يعرض فيها حياة رجل يعيش مع الحيوانات في الغابة منذ صغره وترضعه ضبية ، ثم يهتدي بقوة عقله إلى معرفة الله تعالى[١] .

٧- **أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد** (ت٥٩٥هـ/١١٩٨م)، وهو من أشهر فلاسفة الأندلس عاش في عصر الموحدين، بدأ حياته بدراسة علوم الدين من تفسير وحديث وفقه، ثم انتقل إلى دراسة الطب، ثم إلى دراسة الفلسفة،وأعجب بأرسطو إعجاباً شديداً، فقام بشرح فلسفته وأطلق الحرية لفكره، فاعتبره الغربيون مثلاً أكبر لحرية الفكر في العصور الوسطى، بينما اتهمه المسلمون بالزندقة والكفر خاصة بعد أن عبر عن آراء أرسطو كما فهمها (فأنكر الخلود والبعث وصرح بأن على الإنسان ألا ينتظر ثواباً أو عقاباً غير ما يلقاه في الحياة الدنيا)،وهو من أكبر شراح فلسفة أرسطو لذلك أطلق عليه اسم (الشارح العظيم)[٢].

وقد نصب ابن رشد نفسه مدافعاً عن الفلاسفة الذين هاجمهم الغزالي فأعد كتاباً ليرد فيه على كتاب (تهافت الفلاسفة) الذي طعن فيه الغزالي على الفلاسفة،وأطلق ابن رشد على كتابه اسم (تهافت التهافت) وله مجموعة كتب أخرى منها (كتاب منهاج الأدلة) في علم الأصول، وكتاب (الكليات) في الطب،وكتاب (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) في الفقه[٣] .

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء ، ص٧٨ ، عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ،ص ٢١٧ – ٢١٨ .

(٢) سعيد عاشور : تاريخ الحضارة العربية ، ص١٠٠ ، أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص٣٤٧ .

(٣) أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص٣٤٨ ، عطية القوصي : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص٢٠٦.

٨- **أبو حامد محمد بن أحمد الغزالي (ت٥٠٥هـ/١١١١م)**[1] ولد ونشأ في خراسان، ثم سافر في البلاد وقصد بغداد لطلب العلم والفلسفة، وبدأ دراسة الفلسفة، فقد اعتبرها الطريق للوصول الى المعرفة العلمية، تولى التدريس في المدرسة النظامية ببغداد، فبلغ أوج مجده العلمي خلال هذه الفترة، فكان يحضر دروسه العلمية أكابر العلماء في بغداد ومن يفد عليها، واستمر بالتدريس فيها فيما بين عامي (٤٨٤-٤٨٨هـ/١٠٩٠-١٠٩٤م)، ثم انقطع عن التدريس واتجه للزهد، وعاش في فترة كثر فيها الفلاسفة خاصة من ناهضوا علماء الدين فتصدى لهم وأخذ يبحث عن الحقيقة، فقضى عشرة أعوام بعد أن انقطع عن التدريس بالمدرسة النظامية وهو يتنقل بين البلاد إلى الحجاز وبلاد الشام وبيت المقدس وهو يطالع ويناظر حتى تبين له أن الفلاسفة على ضلال، فحمل عليهم حملة شعواء بالتأليف والمجادلة والمناظرة حتى سمي (حجة الإسلام)، وألف كتاباً في ذلك أطلق عليه اسم (تهافت الفلاسفة) .

وله ثروة هائلة من الكتب العلمية في مجالات متعددة في الفقه والفلسفة وغيرها منها كتابه الشهير (إحياء علوم الدين)، وكتاب (الوسيط) و (البسيط) و(الوجيز) و (الخلاصة) في الفقه، وكتاب (المقاصد) و (المنقذ من الضلال) و(فضائح الباطنية) و (مشكاة الأنوار) .

ومن أعلام الفلسفة الصوفية بالإضافة إلى الغزالي، كان مجيي الدين بن عربي (قرن٧هـ/١٣م) الذي ولد بمدينة مرسية في المغرب، والذي انتهى به الأمر إلى القول بوحدة الأديان، لذلك كانت آراؤه مقبولة عند فلاسفة الغرب ،فأخذ بعضهم عنه بعض الآراء الفلسفية .

---

[1] ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج٤ ص٢١٦ -٢١٩ ، محمد القصري : مظاهر الثقافة الاسلامية ، ص١٤٧ -١٥١ .

العلوم الطبيعية

يرى ابن خلدون أن علم الطبيعة هو العلم الذي يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون، فينظر في الأجسام السماوية والعنصرية وما يتولد عنها من إنسان وحيوان ونبات ومعادن، وما يتكون في الأرض من عيون وزلازل، وما في الجو من ظواهر كالسحاب والرعد والبرق وغير ذلك، وفي حركة الأجسام على تنوعها[1] ويعرف علم الطبيعة باسم الفيزياء .

كان علم الطبيعة معروفاً عند الأقدمين خاصة علماء اليونان الذين وضعوا كثيراً من مبادئه الأولية، ولهم مؤلفات عديدة فيه ترجمها علماء المسلمين فأفادوا منها وصححوا كثيراً من الأخطاء التي وجدوها عندهم، وألف المسلمون مؤلفات كثيرة في الفيزياء، إلا أن كثيراً منها لم يصل إلينا وقد ترجم كثير منها إلى اللغة اللاتينية وأهملت أسماء مؤلفيها من المسلمين فنسبها الأوروبيون إلى (أسماء أوروبية ويمكن إجمال أعمال المسلمين في هذا المجال بما يلي:

١- في الضوء (البصريات) : صحح المسلمون المفاهيم الخاطئة التي كانت عند الإغريق، فكان علماء الإغريق يظنون أن الرؤية تتم بانطلاق النور من العين إلى الجسم المرئي، وجاء الحسن بن الهيثم ليثبت عكس ذلك، فأورد في كتابه (المناظر) أن النور ينطلق من الجسم المرئي إلى العين لتتم الرؤيا، وأن العين جهاز استقبال للضوء لا جهاز إرسال، وأثبت العلم الحديث صحة قول ابن الهيثم، ودليل ذلك أن العين لا ترى في الظلام، إلا إذا وقعت أشعة الضوء على جسم ، فان العين ترى الجسم الذي تقع عليه الأشعة .

وبحث العرب في انعكاس الضوء وانكساره، فتعرفوا إلى قوس قزح، وهو انعكاس الضوء الأبيض في طبقة الغيوم إلى ألوان الضوء السبعة (أحمر،أصفر،أخضر ، أزرق ، برتقالي، بنفسجي ، ليلكي) .

---

[1] ابن خلدون : العبر ، ج١ ص٤٩٢ .

وتحدث ابن الهيثم عن تشريح العين، وأشار إلى أقسامها ووظيفة كل قسم منها، وهي البياض(الشحمة البيضاء)، والحدقة (العنبية) والبؤبؤ(إنسان العين) وهو ثقب في وسط العنبية ينفذ النور من خلاله إلى الأقسام الداخلية من العين،والقرنية التي تغطي مقدمة الحدقة، ولها سطح خارجي محدب وآخر داخلي مقعَر، والجليدية وهي كرة رطبة متماسكة تحتوي من الأمام على السائل المائي ومن الخلف على السائل الزجاجي[1].

٢- الثقل النوعي: فقد بحث العرب في الوزن النوعي للأجسام، وكان سند ابن علي في عهد المأمون هو أول من بحث في الوزن النوعي، وناسب بين أوزان الأجسام المختلفة ووزن الماء، وقام البيروني باستخراج الوزن النوعي لكثير من الأجسام المختلفة ووزن الماء، وقام البيروني باستخراج الوزن النوعي لكثير من الأجسام الصلبة والسائلة، واستخدم لذلك ميزاناً خاصاً سماه الميزان الطبيعي، كما توصل عبد الرحمن الخازن لقياس الوزن النوعي للمواد السائلة.

٣- علل العرب أسباب خروج الماء من العيون الطبيعية والآبار الارتوازية بنظرية الأواني المستطرقة.

٤- عرفوا الجاذبية وتمكنوا من قياس الضغط الجوي .

٥- استخدموا الغرفة المظلمة(آلة التصوير)وأجروا بحوثاً في العدسات والمرايا المحرقة.

٦- عللوا صدى الصوت بأنه يحدث نتيجة انعكاس الموجات الصوتية عند اصطدامها بحاجز مثل جبل أو حائط، وقالوا بأن الضوء يسبق الصوت وأسرع وعللوا بذلك رؤية البرق قبل سماع الرعد.

يعد الحسن بن الهيثم [2](ت٤٣٠هـ/١٠٣٩م)، أشهر علماء الطبيعة، وقد ولد ونشأ في البصرة وكان يميل إلى الفلسفة، استدعاه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله إلى

---

(١) انظر عبده الحلو : الوافي في تاريخ العلوم ، ص٨٠ – ٨٣ .

(٢) انظر ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء ، ص٩٠ – ٩٨ ، ابن القفطي : أخبار الحكماء ، ص ١٦٥ – ١٦٨ .

مصر لبناء سد على نهر النيل بعد أن سمع بقوله (لو كنت في مصر لعملت بنيلها عملاً يحصل منه النفع، ولما أجرى دراساته على مجرى النهر وأدرك عجزه عن تنفيذ السد، عاد إلى الحاكم معتذراً فقبل اعتذاره وولاه أحد المناصب لكنه خاف من تبدل الحاكم عليه، فتظاهر بالجنون وبقي على ذلك حتى وفاة الحاكم فتراجع عن جنونه ولجأ إلى الجامع الأزهر يكتب ويؤلف حتى وفاته[1] .

بحث ابن الهيثم في المرايا وأنواعها، وفي أهمية المرايا المحرقة في تجميع أشعة الشمس وعكسها مركزة على الحصون والقلاع لإحراقها، وصحح نظرية الأبصار التي قال بها اليونان، وله بحوث في امتزاج الألوان، وتفسير قوس قزح والفجر والشفق، وألف العديد من الكتب منها كتاب (المناظر) الذي تناول فيه علم البصريات وأبحاث الضوء، وكتاب (الجامع في أصول الحساب) وكتاب (تحليل المسائل الهندسية) وكتاب (هيئة العالم) وكتاب (أصول الكواكب)، ورسالة في المرايا المحرقة وغيرها .

وكان البيروني من أكابر علماء الطبيعة، فهو الذي حدد الثقل النوعي لعدد من المعادن والأحجار الثمينة،وله كتاب مشهور هو(الآثار الباقية عن القرون الخالية).

الميكانيكا

وعرف أيضاً بعلم الحيل أو علم الآلات، فعند اليونان يعتبر أرخميدس أشهر علماء الميكانيكا، فقد اخترع آلات للحرب كالخطاطيف والمنجنيقات والمرايا المقعرة .

وانصب اهتمام المسلمين في هذا المجال على اختراع آلات الرفع والجر ووزن الثقل، فاستفادوا من منجزات اليونان، وأضافوا إلى هذا العلم إضافات كثيرة،فقسموه إلى قسمين[2] :

---

(1) عبده الحلو : الوافي في تاريخ العلوم، ص٧٥ – ٧٦ ، عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص٢٥٥.

(2) ابن خلدون : العبر ، ج١ ص٤٨٦ – ٤٨٧ ، سعيد عاشور : تاريخ الحضارة العربية ، ص١٠٩ .

الأول : يبحث في جر الأثقال الكبيرة بقوة يسيرة .

والثاني : يهتم بآلات الحركة وصنع الأواني العجيبة .

وبرز عدد كبير من العلماء الذين انصب اهتمامهم على هذا العلم، منهم (أبناء موسى بن شاكر /محمد وأحمد وحسن)، حيث وضعوا كتاباً في أصول الميكانيكا يحتوي على مائة تركيب ميكانيكي، ووضعوا خلاصة خبراتهم فيما عرف باسم (كتاب الحيل) [1].

وعلماء المسلمين هم أول من استخدم الرقاص (البندول) الذي ينسب اختراعه إلى عبد الرحمن بن يونس المصري (ت٣٩٩هـ/١٠٠٩م)[2]، واستعمله الفلكيون لحساب الفترات الزمنية أثناء رصد النجوم كما أن العرب هم الذين اخترعوا الساعة الدقاقة التي أرسلها هارون الرشيد إلى شارلمان، وهي ساعة مائية تدق كل ساعة بسقوط كراتها النحاسية مع قرص معدني، وبرع العرب في صناعة القبانات والموازين الدقيقة لوزن العملة والمعادن الثمينة، وقاموا بصناعة الساعات الشمسية وتمكنوا من تحديد موقع الشمس في كل حين .

---

[1] ابن النديم ، الفهرست، ص٣٧٨ – ٣٧٩ .

[2] سعيد عاشور : تاريخ الحضارة العربية ، ص١٠٩ ، علي شلق : العقل العلمي في الاسلام ، ص٣٠٦ .

الفصل السابع

العمارة والفنون عند المسلمين

١-العمـــــــارة

-المدن الإسلاميـــة

-المساجد الإسلامية

-القصور الإسلامية

٢-الفنون الإسلامية

العمـــــارة

كان لامتداد العرب خارج حدود الجزيرة العربية وانتصارهم على دولتـــي الفرس والروم واختلاطهم بشعوب البلاد المفتوحـــة واطلاعـــهم علـــى فنونـــهم المعمارية وجمعهم للثروة، أثر في تقليد هذه الشعوب في عمارتهم فبنـــوا المـــدن والقصور والدور والمساجد وكـــان لتعـــاليم الإســـلام أثـــر فـــي هـــذا الإنتـــاج الجديد،فأدخلوا عليه الكثير من التطور بحيث أصبح يتلاءم مع تعاليم دينهم فظـــهر فن معماري إسلامي بصورة جديدة وهو فن متميز.

وكان الاهتمام بالمدينة الإسلامية بدأ يظـــهر منـــذ الـــهجرة النبويـــة ســـنة ٦٢٢م،حيث أخذت معالم المدينة القديمة (يثرب) تتغير بحيث تناسب التطـــورات الناتجة عن وجود مجتمع إسلامي فيها؛ فأقيم المسجد الجامع ليكون مركزاً سياسياً وإدارياً إضافة إلى وظيفته الدينية، ثم أنشئت حوله مساكن المـــهاجرين، وأقطـــع الرسول ﷺ القطائع للناس، وجمع بين ذوي القربى في موضع واحد، فتضمنـــت المدينة عدة خطط يسكن كل خطة منها أفراد ينتمون إلى أسرة واحـــدة، وتكـــرر اقطاع الخطط على هذا الأساس عند بناء المدن الإسلامية في العصور التالية .

لقد شهد العالم الإسلامي إزدهاراً كبيراً في فن العمارة نتيجة الثراء الواســـع الناتج عن الفتوحات الإسلامية من جهة والهيمنة على التجارة العالمية من جهـــة أخـــرى وتنوعـــت العمـــارة الإســـلامية فشـــملت منشـــآت دينيـــة كالمســـاجد والزوايا،ومنشآت عسكرية كالمدن والقـــلاع والحصـــون والأبـــراج، ومنشـــآت اجتماعية كالتكايا والبيمارستانات والسبل، ومنشآت سكنية كالقصور والبيوت[1] .

وظهرت على المنشآت الإسلامية خصـــائص ممـــيزة كـــالعقود والأعمـــدة والأقواس والمقرنصات والقباب والمآذن والمشربيات المزخرفة في البيوت، فاتخذ الفن الإسلامي في العمارة تيجاناً وعقوداً مدببة وروابط خشبية، وظهر ما يعـــرف

---

[1] روم لاندو: الإسلام والعرب،ص٣٢٣-٣٢٤، محمود اسماعيل: تاريخ الحضارة العربية ص٢٠٢ .

بعلم عقود الأبنية عند المسلمين[1] وأصبحت أقواس (حذوة الفرس) تدل على الفن المعماري الإسلامي .

كما كانت المقرنصات من أبرز خصائص الفن الإسلامي، والمقرنصات هي الأجزاء المتدلية من السقف، ويذكر عبد المنعم ماجد أنها ربما جاءت من اللفظ اليوناني كورنثي Carnith ، ثم حرفت إلى مقرنص، أو من اللفظ العربي (مقرنص) أي يجلس القرفصاء[2] وهو الأولى .

وكان بناء المشربيات المخرمة أو المزخرفة من مميزات الفن الإسلامي في العمارة، وهي من خشب خرط كستائر للنوافذ، كانت تخفف من حدة الضوء وتمكن النساء من مشاهدة من بالخارج دون أن يراهنّ أحد .

أ-المدن الإسلامية :

احتاج المسلمون إلى بناء مدن جديدة بعد اتساع حركات التحرير والفتح العربي الإسلامي، وبدأ بناء المدن التي اتخذت طابعاً عسكرياً، فبنيت أول المدن لتكون معسكرات للجيش، ثم نقل إليها الجنود أهلهم وذويهم، وبنوا لهم المساكن حول هذه المعسكرات،فتطورت المدن بصورة متدرجة، وبعض المدن بنيت لتكون عواصم أو مراكز للولايات، فيمكن إعادة أسباب بناء المدن عند المسلمين إلى العوامل التالية:

١- العامل العسكري: فبدأت أكثر المدن معسكرات خاصة بالجيش مثل البصرة والكوفة[3] والفسطاط والقيروان.

٢- العامل الإداري: فبعض المدن بنيت لتكون مقراً للإدارة الإسلامية،فالحجاج بن يوسف لم يعجبه اتخاذ البصرة أو الكوفة مقراً

---

(1) حاجي خليفة: كشف الظنون، جـ١ ص١٢، عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ص٢٥٨ .

(2) عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ص٢٥٨ .

(3) عيسى سلمان حميد: تخطيط المدن/حضارة العراق، جـ٩ص١٤ .

لإدارته،فشرع في بناء مدينة واسط بعد أن استشار الخليفة عبد الملك بن مروان وذلك سنة ٨٣هـ/٧٠٢م لتكون مقراً لإدارته[١].

٣- العامل السياسي: فقد نشأت بعض المدن لاعتبارات سياسية، فقيام دولة بني العباس استدعى بناء مدينه جديده لتكون عاصمه لهم، فبنى أبو جعفر المنصور مدينة بغداد سنة ١٤٥هـ /٧٦٣م[٢] وقام جوهر الصقلي ببناء مدينة القاهرة لتكون عاصمة للدولة الفاطمية في مصر، فانتقل إليها الخليفة المعز لدين الله سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م.

٤- العامل الديني: فأقيمت مدن في العراق نتيجة لاعتبارات دينيه،مثل مدينة النجف التي نشأت بسبب وجود ضريح الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه،وكان مشهد الإمام الحسين بن علي رضي الله عنه سبباً في بناء مدينة كربلاء، كما نشأت حول قبري موسى الكاظم ومحمد الجواد وهما من أئمة الشيعة مدينة الكاظمية شمالي بغداد[٣].

وعند بناء المدن، كان المسلمون يأخذون بعين الاعتبار توفر مجموعة من الشروط في مكان بنائها ومن ذلك:

أ- توفر المياه.

ب- أن تكون ذات مناخ مناسب وطيبة الهواء.

ج- الموقع الاستراتيجي وحصانة المنطقة

د- سهولة المواصلات سواء عن طريق البر أو عن طريق البحر.

كما راعى المسلمون في تخطيط المدن وجود عناصر ضرورية لا تقوم المدينة الاسلامية بغيرها، فأصبحت هذه العناصر تميز المدينة الإسلامية على

---

[١] ابن حوقل: صورة الأرض ص٣٢٩، عيسى حميد: تخطيط المدن ص٢٠ .

[٢] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، جـ١ص٨٧ .

[٣] مصطفى عباس الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية، دار الرشيد، بغداد ١٩٨٢م،ص٥٨ .

غيرها من المدن ومن هذه العناصر المسجد الذي كان يتوسط المدينة[1]، وحوله قصر الامارة (مقر الحاكم) ودواوين الدولة الإسلامية (الدوائر الرسمية).

وقريباً من المركز وعلى جوانب الشوارع التي تنطلق من المراكز كانت تقام عادة المحال التجارية والأسواق وهي مركز النشاط الاقتصادي للمدينة،كما كانت تقام في هذه الأسواق القيساريات التي تبنى لاقامة المسافرين والغرباء،وكان يراعى أن تقام المؤسسات الاجتماعية كالحمامات بحيث تكون قريبة من التجمعات السكانية، فهي لا تبعد كثيراً عن المساجد الجامعة والأسواق العامة .

أما المنازل والبيوت فكانت تقام في الأحياء والحارات التي تحمل أسماء القبائل والأسر التي تقيم فيها، حيث كان يسكن أبناء كل أسرة في بيوت متجاورة من هذه الأحياء، وكل مدينة كانت تحاط بسور حصين تقام علية مجموعة من الأبراج لكي يسهل الدفاع عن المدينة في حال تعرضها للخطر، ويشتمل السور على عدد من الأبواب تسهل اتصال المدينة بالخارج، وتفتح هذه الأبواب للدخول والخروج في أوقات السلم وتغلق عند الحاجة وفي الحروب.

وحول الاسوار وقريباً من أبواب المدينة كان المسلمون يخصصون أماكن لتكون مقابر لدفن الموتى، أطلق عليها اسم (التُرب) .

كانت البصرة أقدم المدن التي بناها المسلمون في العراق عند ملتقى دجلة والفرات وذلك سنة ١٤هـ/٦٣٥م، حيث كتب عتبة بن غزوان إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في تمصير البصرة، وقال له بان المسلمين بحاجة إلى منزل يشتون به إذا شتوا ويكنسون فيه إذا انصرفوا من غزوهم[2]، فطلب منه عمر أن يختار مكاناً قريباً من الماء والمرعى، فبنى مسجد البصرة من القصب، وبنى دار الإمارة ومعسكرات الجيش، ولما مات عتبة ولى عليها أبا موسى الأشعري، فاختط الناس وبنوا المنازل باللبن كما أعيد بناء المسجد ودار الإمارة باللبن

---

[1] عيسى حميد: تخطيط المدن، ص١٢ .

[2] البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٥٤، ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ١ص١٩٦ .

والطين، ثم أعيد البناء مرة أخرى في ولاية زياد بن أبيه بالآجر والجص،وسقف بالساج بدلاً من العشب[1] .

وازدهرت مدينة البصرة في العهد الاموي فبقيت أحد المراكز الإدارية في العراق واشتهرت بمساجدها وقصورها وأسواقها ومنتوجاتها الاقتصادية، وزادت شهرتها في العصر العباسي فكانت ملتقى التجار من كل البلاد، وقصدها طلاب العلم والمعرفة، كما صارت محط أنظار الطامعين في السلطة من أعداء الخلافة العباسية.

وبعد انتصار المسلمين في معركة القادسية، وملاحقة جيوش الفرس إلى عاصمتهم ودخول مدينة طيسفون، لم يرغب عمر بن الخطاب أن يقيم الجيش الاسلامي في المدن المفتوحة، وطلب من سعد بن أبي وقاص أن يختط لهم مكاناً قريباً من الماء والمرعى فاختار مكاناً بين الحيرة والفرات يدعى خد عذراء،ومصّرت الكوفة، فكان أول ما اختطّه المسلون فيها مسجدها وذلك سنة ١٧هـ/٦٣٨م، كما بنيت دار الإمارة، وجعلت خططها على أساس القبائل[2]،فكان لكل قبيلة محلة خاصة سميت باسمها، كما دعيت الشوارع الرئيسية بأسماء القبائل،وازدهرت الكوفة بعد أن اتخذها علي بن أبي طالب عاصمة لخلافته سنة ٣٦هـ/٦٥٧م،ولم تتغير أهميتها العلمية والتجارية في العصور التالية، رغم انتقال مقر الخلافة إلى غيرها، وباسمها سمي الخط العربي الجميل الذي استخدم في الكتابات التذكارية والزخرفية (الخط الكوفي) .

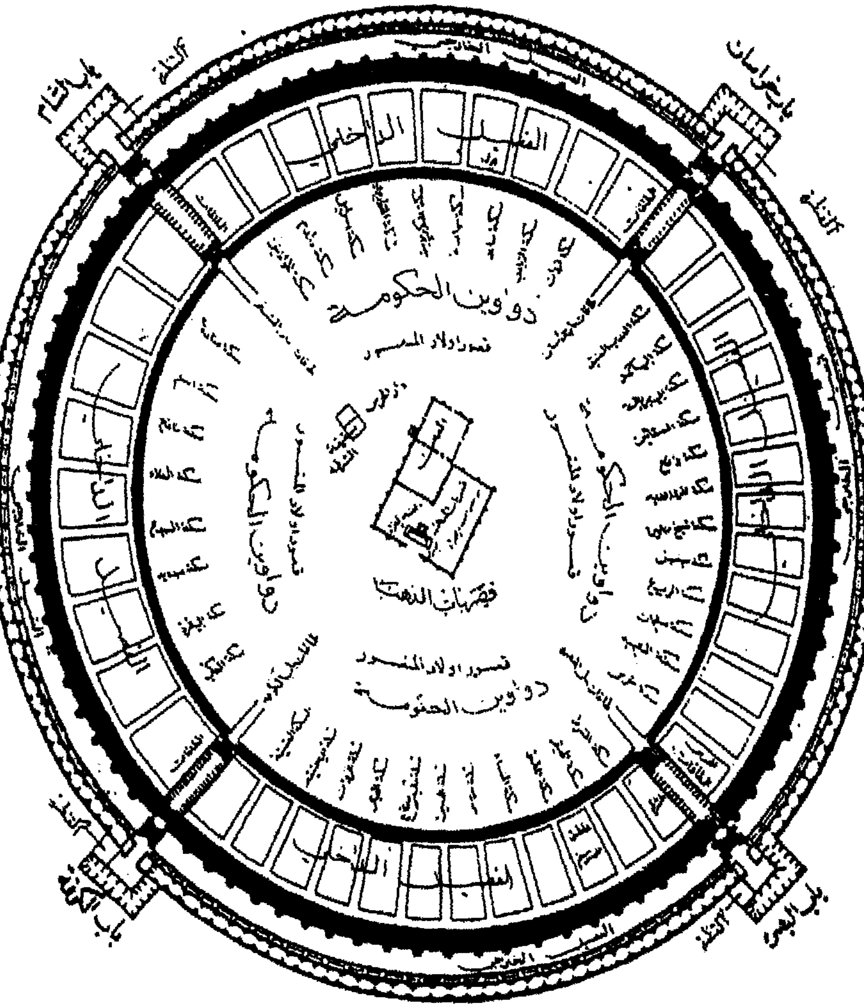
بغداد

يعتبر بناء مدينة بغداد نموذجاً فريداً لبناء المدن في الإسلام، فبعد أن انتقلت الخلافة من بني أمية إلى بني العباس اتخذ عبد الله بن محمد بن علي (السفاح) مدينة الأنبار حاضرة لدولته الجديدة، ولكن مناخها لم يكن مناسباً فتحول إلى

---

[1] أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الاسلامية، ص٢٣٥ .

[2] اليعقوبي: البلدان، ص٧٤-٧٥، التاريخ، جـ٢،ص٤٧ عيسى حميد: تخطيط المدن، ص١٤ .



مخطط مدينة بغداد المدورة / عن كتاب العمارات
العربية الاسلامية في العراق

مدينة الهاشمية، وبقي فيها حتى توفاه الله، وتولى أبو جعفر المنصـــور الخلافـــة فقرر بناء مدينة جديدة تخلد اسمه وتليق بمكانة الدولة العباســـية بحيـــث تتمـــيز بمواصفات عسكرية وإدارية واقتصادية ومناخية.

وبعد دراسة اختار موقع مدينة بغداد، فجمع المهندسين والعمال[1] وشـــرع في بناء مدينة بغداد (مدينة السلام) سنة ١٤٥هـــ/٧٦٢م وأتـم بناءهـا سـنة ١٤٦هـ/٧٦٣م، أو سنة ١٤٩هـ/٧٦٦م[2]، فجاء بناؤها على نهر دجلـــة فـي موقع استراتيجي ذو مناخ ممتاز .

أراد المنصور أن تتوفر في مدينة بغداد كافة المستلزمات العسكرية الدفاعية إضافة إلى التحصينات الطبيعية التي تجعل من الصعب على الأعـداء اقتحامـها فصممت على شكل مدينة دائرية يحيط بها سوران، الداخلي منهما أكـثر سـمكاً وأعلى ارتفاعاً[3] ويحتوي على ابراج دفاعية يتجاوز عددها المائة برج، ويطـل السور الخارجي على خندق يحيط بالمدينة يشكل خطاً دفاعياً اضافياً.

واحتل قصر الخليفة والمسجد الجامع مركز المدينة، وكان القصـر مربـع الشكل طول ضلعه (٢٠٠) متراً تقريباً شيد بالجص والطابوق وسمي بقصر القبـة الخضراء نسبة إلى القبة الخضراء العالية التي تميزه وهي ترتفـع حوالـي(٤٠) متراً عن سطح الأرض وعلى رأسها تمثال لفارس يمسك برمـح ويـدور مـع الريح[4]،كما سمي بقصر باب الذهب أو قصر الذهب .

أما المسجد الجامع فقد شيد باللبن والطين وكان ملاصقاً للقصر من الجهـة الشمالية الشرقية، وهو مربع الشكل طول ضلعه ١٠٠م، وقام هارون الرشيد سـنة ١٩٢هـ/٨٠٨م بتوسيعه وإعادة بنائه بالجص والطابوق، ثم أضيف إليه جزء من

---

(1) اليعقوبي: البلدان، ص١١، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، جـ١ص٨٧ .

(2) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، جـ١ص٨٧-٨٨، ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ١ص٢٣١ .

(3) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، جـ١ص٩٣ .

(4) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، جـ١ص٩٣، عيسى حميد: تخطيط المدن/حضارة العراق، جـ٩ص٣١ .

القصر في خلافة المعتضد سنة ٢٦٠هـ/٨٧٤م لأنه ضاق بالمصلين، وظل مستخدماً للصلاة حتى سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م.

واقيمت حول القصر والمسجد الجامع مجموعة من الابنية بعضها كان منازل لأولاد المنصور، وبعضها الآخر استخدمت لدواوين الحكومة[1] كما أقيمت الأسواق التجارية التي كانت تتصل بمركز المدينة بشوارع مستقيمة أقيمت المحال التجارية على أطرافها، أما البيوت السكنية فأقيمت على مسافة أبعد من دواوين الحكومة بحيث كان يفصلها سور صغير فجاءت البيوت بين هذا السور والسور الكبير بحيث تربطها بداخل المدينة وبالسور الكبير شوارع مستقيمة.

ويشتمل السور الرئيسي على ١١٣ برجاً لها وظيفة دفاعية لحماية المدينة من الأخطار وأربع بوابات رئيسية سميت كل بوابة باسم المنطقة التي تتجه إليها طريق المسافرين من بغداد، وهي باب البصرة وباب خرا سان وباب الكوفة وباب الشام[2] .

وعزز الخليفة المدينة بثكنات عسكرية خارج المدينة المدورة عرفت باسم (الأرباض)، وهي تتسع لقوة كبيرة من الجند، وتم توزيع الأراضي على فرق الجيش المضرية واليمانية والخرسانية في الأطراف الشمالية والغربية .

وبسبب التوسع الكبير على مدينة بغداد وأرباضها ولغاية إنشاء خط دفاعي عن بغداد من الجهة الشرقية، فقد تم بناء مدينة الرصافة على الجانب الشرقي من دجلة وسميت (عسكر المهدي)[3]، فقد كانت الجيوش المقيمة فيها بقيادة المهدي بن المنصور، واحيطت هذه المدينة بسور وخندق دفاعي، وكانت تستدعى الفرق العسكرية المقيمة في الأرباض عند الحاجة للقضاء على الفتن وضرب التمردات على الدولة .

---

(١) اليعقوبي: البلدان،ص٢٢.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، جـ١ص٩٤-٩٥ .

(٣) اليعقوبي: البلدان،ص٢٢ ، خالد الجنابي: الجيش والشرطة، حضارة العراق، جـ٦ص٢٣٩ .

وشهدت مدينة بغداد تطوراً كبيراً على مدى العصور العباسية ونشاطاً هائلاً شمل الجوانب السياسية والاقتصادية والعلمية والعمرانية، واشتهرت بكثرة مساجدها ومدارسها ومنشآتها العامة والخاصة، إلى أن دخلها المغول سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م فقتل عدداً كبيراً من أهلها وأحرق مكتباتها وهدم دور العلم فيها.

القاهرة

بعد أن فتح القائد الفاطمي جوهر الصقلي مصر في خلافة المعز لدين الله سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م لم يعجبه أن يتخذ مدينة الفسطاط أو مدينة العسكر حاضرة لولايته لأن أهل هاتين المدينتين من المسلمين السنة الذين يختلفون مع الفاطميين الشيعة في المذهب، لهذا بدأ بوضع أساس لمدينة جديدة هي مدينة القاهرة لتكون حاضرة لولايته، وملجأ يأوي إليه المغاربة أنصار الفاطميين وتمنع ما قد يحدث من خلاف أو ثورات من المصريين ضد الحكام الجدد[1]، كما أرادها جوهر أن تكون عاصمة جديدة للخلافة الفاطمية .

اختط جوهر المدينة وأحاطها بسور من اللبن وحصنها لتكون قادرة على ردّ أي اعتداء أو خطر يتهددها من الخارج، وليتحصن بها جنده في حال تعرضهم لخطر القرامطة القادمين من الشام[2]، أو خطر الروم الذين كانوا يفكرون بالعودة إلى مصر وبلاد الشام .

بدا جوهر ببناء قصر الخليفة المعز إلى الشمال من الفسطاط، وسمي القصر الشرقي الكبير أو القصر المعزي، وبنى حوله دوراً للجند والموظفين،فكان القصر مركزاً للحكومة الفاطمية وبلاطاً للخليفة ومكاناً لسكناه، وكان قصراً هائلاً

---

(١) انظر ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، جـ٢ص٣٦، حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف: المعز لدين الله، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٤م، ص٢١٠-٢١١ .

(٢) المقريزي: المواعظ والاعتبار، طبعة دار الكتب، جـ٢ص٢٠٥ .

في ضخامته يشكل مدينة لوحده، فذكر بعض المؤرخين أنه كان يحتـــوي علـــى أربعة آلاف غرفة[١]، استخدمت دوراً لدواوين الدولة ومعســـكراً للجيــش ودور السلاح، وبقايا هذا القصر تعرف اليوم بخان الخليلي .

كان لمدينة القاهرة أبواب في أسوارها المبنية باللبن تفتح في النهار وتغلـــق في الليل، فمن الشمال كان باب النصر وبـــاب الفتـــوح، ومـــن الجنـــوب بـــاب زويلة،ومن الشرق باب البرقية (وسمي بأهل برقة الذين أقاموا حيهم قريباً منــه) والباب المحروق، ومن الغرب باب السعادة وباب الفرج وباب الخوخة[٢] .

ولما قدم المعز إلى مصر سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م ورأى أنه لا ساحل للمدينة الجديدة لم يعجبه ذلك فأمر ببناء المقس على النيل .

وأطلق جوهر على هذه المدينة أول الأمر اسم (المنصورية) تيمناً باســـم المدينة التي أنشأها المنصور الفاطمي في تونس قرب القيروان، أو تقربـــاً إلـــى خليفته المعز بإحياء ذكرى والده المنصور، فلما وصل المعز إلى مصـــر أطلـــق على المدينة اسما جديداً هو (القاهرة)، وذلك لأن أساسها شق على طلوع كوكب رصده أحد الحكماء السبعة الذين كانوا في مصر وهو كوكب القاهر، ويقال بـــأن المريخ كان في الطالع عند ابتداء عمارتها وهو قاهر الفلك لذلك سميت القاهرة[٣]. بينما ذكر آخرون أن المعز سماها القاهرة لأنه أرادها أن تقهر مـــن شـــذ عنـــها وحاول الخروج على أميرها وتقهر أعداء الفاطميين أو لأن المعـــز طلـــب مـــن جوهر عند إرساله لفتح مصر أن يبني مدينة تقهر الدنيا[٤] .

ويعتبر بناء الجامع الأزهر من أهم المباني التي أشادها الفاطميون في مدينة القاهرة في الجنوب الشرقي من المدينة ليكون مسجداً رسمياً لهم ومقراً للدعوة

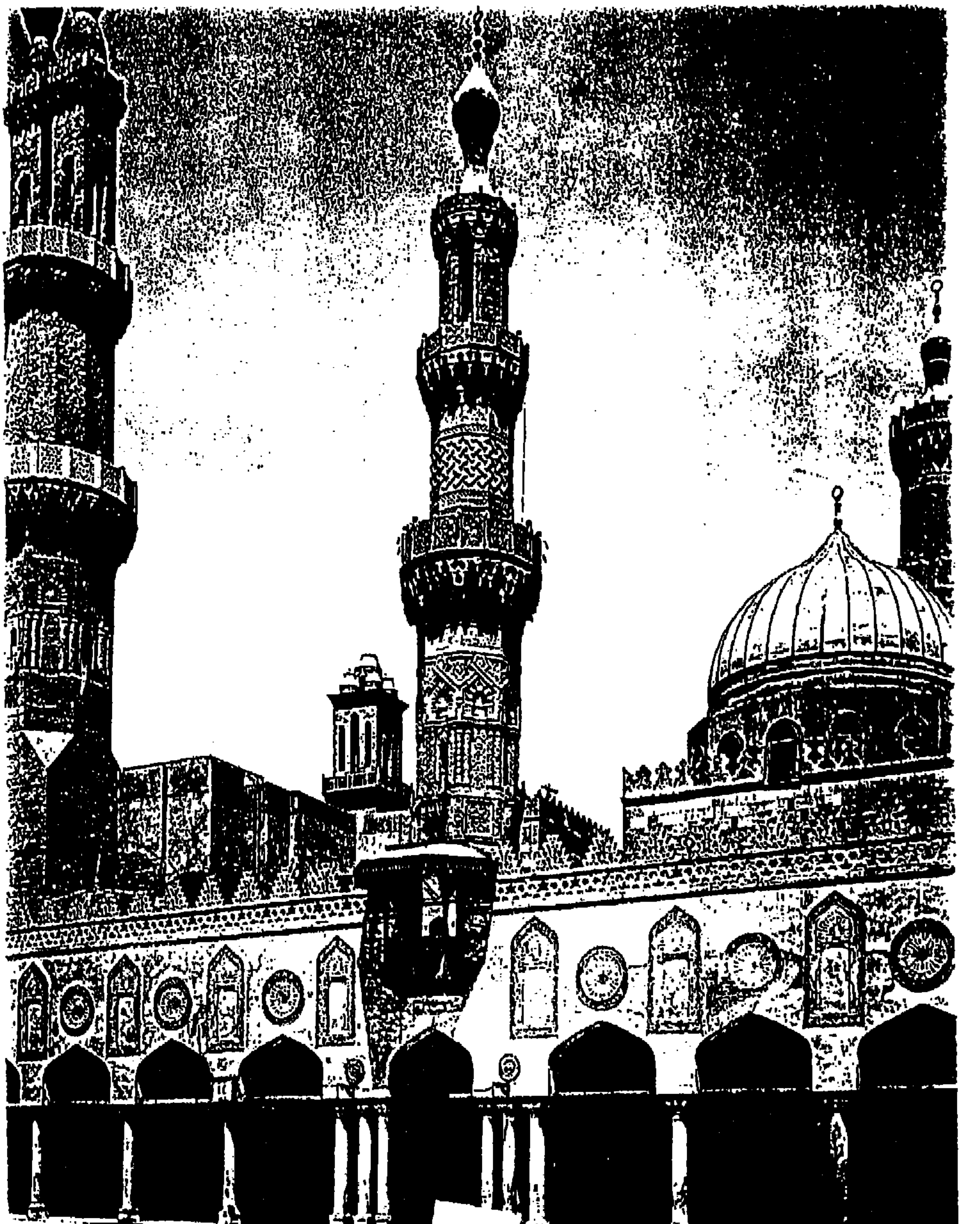
---

(١) حسن ابراهيم حسن: المعز لدين الله، ص٢١٨ .

(٢) المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ٢ص٢٠٥ .

(٣) ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الامصار، جـ٢ص٣٥، المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٢ص١١٢ .

(٤) حسن ابراهيم: المعز لدين الله،ص٢١١ .



الإسماعيلية ورمزاً لسيادة الفاطميين الدينية، وأراد جوهر ألا يفاجئ المسلمين السنة بإقامة شعائر المذهب الإسماعيلي الفاطمي في مساجدهم، ولكي يفسح المجال أمام الفاطميين لأداء شعائرهم الدينية بعيداً عن الاحتكاك بسكان البلاد حتى لا يؤدي ذلك إلى إثارة مشاعرهم .

وأطلق الفاطميون على هذا الجامع اسم الأزهر للإشادة بذكر فاطمة الزهراء بنت الرسول الكريم ﷺ لشدة تعلقهم بها وانتسابهم لآل البيت، ويقال سمي لكثرة البساتين والحدائق الزاهرة التي كانت تحيط به . وكان الجامع الأزهر يشتمل على أقسام عديدة أهمها :

١-مقصورة الصلاة .

٢-الصحن (الساحة المكشوفة) .

٣-ملحقات الجامع وتشمل منارات وأماكن للوضوء ومنبر وغير ذلك .

وكانت المقصورة التي بناها جوهر الصقلي تشتمل على ٧٦ عموداً من الرخام الأبيض اللون على شكل صفوف متوازية، ثم أضيفت مقصورة ثانية في القرن الثاني عشر الهجري تشتمل على ٥٠ عموداً من الرخام، وكان مجموع أعمدته ٣٦٥ عموداً، ويحيط بالجامع من جهاته الأربعة بوائك مقامة على أعمدة من الرخام ، وأنشئ للجامع عند بنائه منارة واحدة، ثم أضيفت له فيما بعد منارات أخرى حتى بلغ عددها خمس منائر يرفع من عليها الآذان .

بني الجامع الأزهر ليكون مكاناً لإقامة الشعائر الدينية، إلا أنه لم يلبث أن أصبح جامعة يتلقى فيها طلاب العلم مختلف العلوم والفنون، فقد أشار يعقوب بن كلس على الخليفة العزيز سنة ٣٧٨هـ / ٩٨٨م بتحويل الجامع الأزهر إلى جامعة لتدريس العلوم الدينية والعقلية فوافقه على ذلك، واجتذب طلاب العلم

والأدب من كل البلاد الإسلامية حيث كان يقدم لهم فيه المأكل والمسكن، وتتوفر لهم وسائل المعيشة وأسباب الراحة[1] .

وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت للجامع أهمية خاصة ، فكان يجلس فيه قاضي القضاة في أيام معينة من الأسبوع، وكان مركزاً للمحتسب، كما كانت تعقد فيه الكثير من المجالس الخلافية والقضائية، وأصبح مركزاً لنشر عقائد المذهب الإسماعيلي .

وأضيفت إلى الجامع بعد أن تحول إلى جامعة مكتبة علمية كانت تشتمل على مائة ألف كتاب منها ستة آلاف كتاب في الطب، وعلى كرتين سماويتين من الفضة صنعهما بطليموس وعلى خريطة جغرافية من الحرير الأزرق عليها صورة أقاليم الأرض وجبالها وبحارها ومدنها ومساكنها[2] .

أنشأ جوهر الصقلي في الجامع الأزهر وفي المقصورة القديمة محراباً سمي فيما بعد باسم (القبلة القديمة)، ثم أضيفت في الجامع تسعة محاريب أخرى بقي منها ستة محاريب[3]، وكانوا يحددون أوقات الصلاة عن طريق المزولة التي أقيمت على جدران صحن الجامع، وبنى الخليفة العزيز بجوار الجامع داراً لجماعة من الفقهاء كانوا يجتمعون فيه بعد صلاة الجمعة ويقرأون القرآن إلى صلاة العصر،وأجرى عليهم الأرزاق وكانت تقدم لهم الهبات والخلع في بعض الأعياد والمناسبات[4].

اشتمل الجامع الأزهر على مجموعة من العناصر الفنية التي تعود إلى العصر الفاطمي في واجهات الصحن وفي بيت الصلاة، حيث توجد زخارف نباتية مورقة وكتابات بالخط الكوفي المزهر، كما اشتمل على زخارف النحت في

---

(1) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص٥٣٦ .

(2) توفيق عبد الجواد: تاريخ العمارة ص٩٩ .

(3) حسن ابراهيم حسن: المعز لدين الله ص٢٢١ .

(4) المقريزي : المواعظ والاعتبار، طبعة دار الكتب ، ج٤ ص٥٢ .

المقصورة وفي جدران القبلة التي زينت بأشكال من تفريعات الأوراق النخيلية[1]،وأمر الخليفة الآمر الفاطمي بأن يصنع له محراب من الخشب، فكان محراباً رشيقاً عليه كتابات ونقوش زخرفية وكتابات بالخط الكوفي تخلد أمر إنشائه ويبدو ان هذا المحراب لا يزال موجوداً في دار الآثار العربية [2].

وتعرض الجامع الأزهر للكثير من التغيير والتوسيع وإعادة البناء، فأضاف إليه بعض الخلفاء والسلاطين أو الأمراء إضافات كثيرة، وأنشأوا فيه مساكن للطلبة وحبسوا عليه الأوقاف لينفق منها على تجديد عمارته وعلى الأئمة والعلماء والأدباء والطلبة وقوام المسجد والمؤذنين وكل ما يلزمه من إضاءة وفرش وغير ذلك ، ثم بنيت حوله المدارس التي ألحقت به فيما بعد .

المساجد الإسلامية

كان المسجد أول وأهم المباني التي أولاها المسلمون عنايتهم، فكان المسجد مركز الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية ويمارس فيه المسلمون وظائفهم المختلفة؛ فيستقبلون الوفود، ويتدارسون شؤون حياتهم،ويجلسون فيه للقضاء، كما يجتمعون لاتخاذ قرار السلم أو الحرب، وهو فوق ذلك المكان الذي يؤدي فيه المسلمون شعائرهم الدينية ويتعبدون تقرباً إلى الله تعالى .

وراعى المسلمون في بناء مساجدهم أن يكون فن معمارها مغايراً لفن معمار الكنائس عند النصارى والأديرة عند اليهود والمعابد الوثنية، فبنوها خالية من الرسوم والصور والتماثيل، واقتصر تزيينها على الآيات القرآنية الشريفة[3]،

---

(1) سعد زغلول : العمارة والفنون ، ص٣٧٣ ٣٧٤ .

(2) توفيق عبد الجواد :تاريخ العمارة ،ص١٠٦،حسن ابراهيم :تاريخ الدولة الفاطمية،ص٥٣٧.

(3) عطية القوصي :الحضارة الإسلامية،ص٢٨٦.

ورسوم النباتات والأشكال الهندسية، ويصف روم لاندو الفن الإسلامي في هذا المجال أدق وصف فيقول:

(الفن الإسلامي لا يهمه أن يروي قصة أو يلقن موعظة، أو ينافس الخالق الأوحد في محاولة إنشاء الكائنات. إن اهتمامه مقصور على التلاعب بالخطوط،والأشكال، والألوان، إنه يعتمد مائة بالمائة على عناصر الفن البصري الحقيقية، اعني على العناصر الجمالية الخالصة)[1]

وكان المسجد عند المسلمين يشتمل على مجموعة من العناصر، هي صحن المسجد الذي كانت تتم فيه الصلاة، والساحة الخارجية التي تتبع المسجد،والمحراب الذي يحدد اتجاه الصلاة عند المسلمين، والمئذنة التي يعتليها المؤذن للمناداة على المصلين (لرفع الآذان)، والمنبر الذي يقف عليه الخطيب لإلقاء خطبة الجمعة، أو التحدث إلى المصلين أو الحضور إذا لم يكن وقت صلاة الجمعة، بالإضافه إلى المقصورة التي استحدثت لأغراض متعددة، منها حماية الخليفة من أي اعتداء، أو جلوس الإمام وخلوّه إلى بعض الأعوان أو المستشارين للتباحث في الشؤون الدينية .

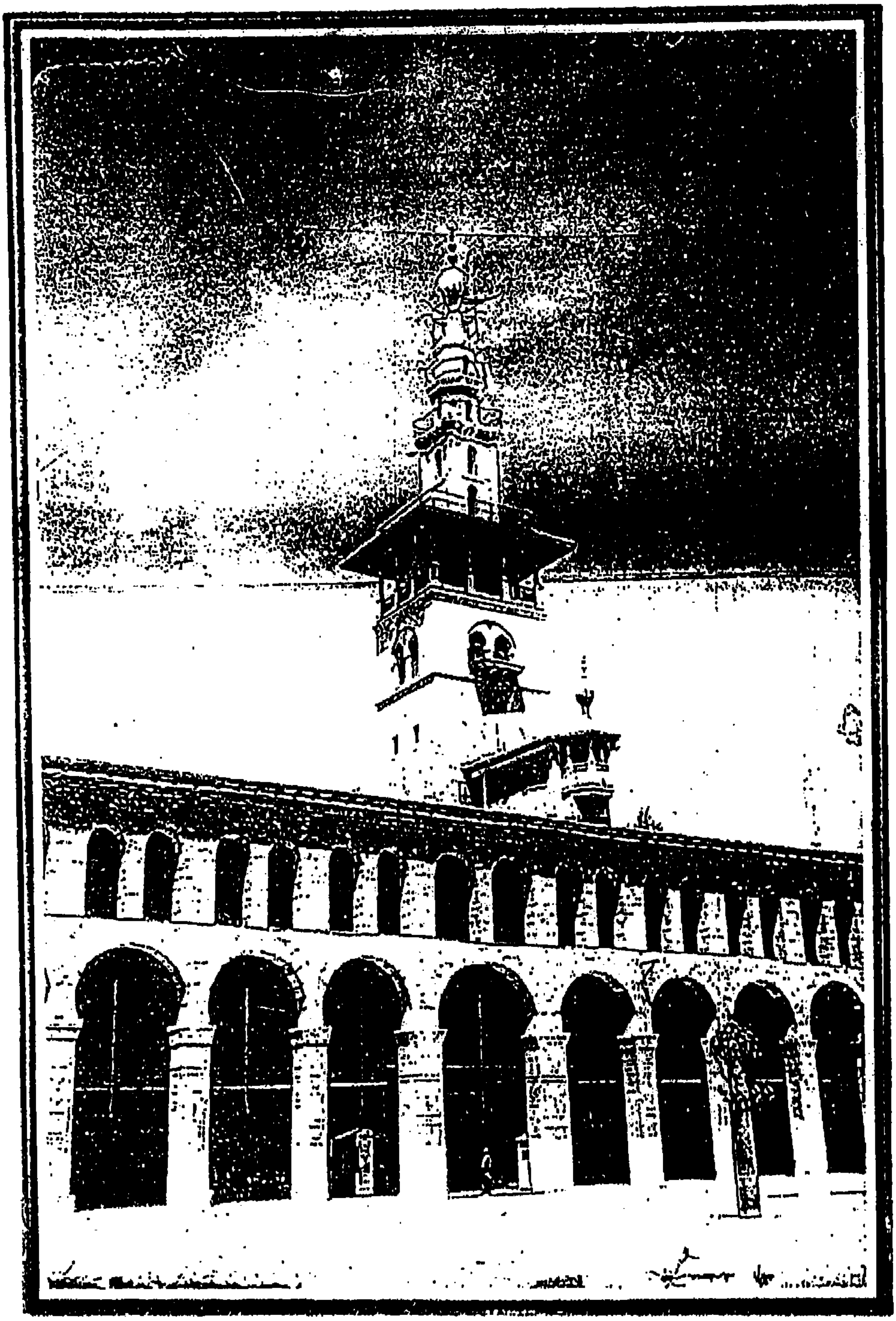
١-الصحن الداخلي:

وكان يشكل بيت الصلاة عند المسلمين، ويتكون من شكل مستطيل يمتد أفقياً على طول جدار القبلة بحيث يقف فيه المصلون على شكل صفوف منتظمة خلف الامام[2]، وقليلاً ما كان المسجد عند المسلمين يخالف الشكل المستطيل، كما هو الحال في مسجد قبة الصخرة المشرفة التي كانت على شكل مثمن منتظم.

---

(1) روم لاندو :الإسلام والعرب،ص٣١٦.

(2) انظر سعد زغلول عبد الحميد:الفنون والعمارة في دولة الإسلام ،منشأة المعارف بالاسكندرية،١٩٨٦م،ص٢٤٦.



إحدى مآذن الجامع الأموي

٢-الساحة الخارجية:

وعادة ما تكون متصلة بالجدار الشمالي أو الجدار المواجه لجدار القبلة، وتكون هذه الساحة فضائية مكشوفة، وأحياناً أطلق عليها اسم الصحن ويتوسطها بركة ماء تستخدم غالباً للوضوء، وتحيط بها أربعة أروقة تسندها الأعمده .

٣- المحراب المجوف:

وهو المكان المخصص لوقوف الإمام في الصلاة، ويحدد اتجاه القبلة(الكعبة)،ويكون في منتصف جدار القبلة، وكان المسلمون في عهد الرسول ﷺ يحددون اتجاه القبلة عن طريق حربة تسمى(العنزة) يذكر الطبري أنها كانت للنجاشي ملك الحبشة فأهداها للزبير بن العوام الذي أهداها لرسول الله ﷺ،فكانت عند المؤذنين، وكان يمشي بها بين يدي رسول الله ﷺ في العيدين،وكانت تركز بين يديه في الفناء،فيصلي في الاتجاه الذي توضع فيه وانتقلت هذه الحربة حتى وصلت إلى الخليفة العباسي المتوكل، فأمر بحملها، فكان يحملها بين يديه صاحب شرطته[١] .

ثم استخدم المسلمون المحراب المسطح لتحديد اتجاه القبلة،وكان يظهر في جدار القبلة على شكل باب وهمي، ثم تطور إلى حنية مجوفة في الجدار تتسع لوقوف الإمام يتقدم الناس في الصلاة، وهو المحراب الذي استحدثه عمر بن عبد العزيز في خلافة الوليد بن عبد الملك[٢] .

٤-المئذنة:

وهي المكان الذي يصعد إليه المؤذن لرفع الآذان واعلام الناس بدخول وقت الصلاة، وكان ظهور المآذن في الإسلام لأول مره في جامع بني أمية بمدينة دمشق وفي خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٨٧هـ/٧٠٦م حيث استخدمت أبراج

---

(١) الطبري :الرسل والملوك،ج٩،ص٢١٠-٢١١،ابن الاثير :الكامل في التاريخ،ج٥ ص٢٩٨.

(٢) سعد زغلول عبد الحميد :العمارة والفنون ،ص٢٥٦-٢٥٨.

المعبد القديم الذي تم تحويله إلى مسجد وأعيد بناؤه ليشتمل على أول المآذن في الإسلام، ثم بنيت المآذن الأولى عند المسلين على منواله في مصر والشام وبلاد المغرب[1]، وكانت هذه المآذن مربعة القطاع تعلوها قبة صغيرة، وقد تكون المئذنة على شكل ثماني أو دائري وتنتهي بقبة صغيرة أيضاً.

٥-المنبر:

وهو المكان الذي يقف عليه الإمام لالقاء خطبة الجمعة، ويكون على يمين المصلي الذي يقف أمام المحراب، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد اتخذ في مسجده بالمدينة المنورة جذع نخلة يستند إليه عندما يوجه خطابه إلى المسلمين، ثم اتخذ المنبر من ثلاث درجات ليطل من أعلاها على جموع المصلين لإلقاء خطبته، وعندما تولى معاوية بن آبى سفيان الخلافة زاد في المنبر أربع درجات لتكون قاعدة للمنبر النبوي حتى يتمكن من إيصال صوته إلى جموع المصلين الكبيرة التي ازدادت كثيراً عن ذي قبل، ولقي المنبر عناية خاصة من فناني المسلمين الذين كانوا يصنعونه من الخشب على الأغلب .

٦-المقصورة:

وهي عبارة عن سياج أو حائط خشبي كان يحيط بكل من المحراب والمنبر في مقدمة المسجد الجامع، وهي المنطقة المخصصة للإمام الذي كان في بداية الأمر هو خليفة المسلمين أو من ينوب عنه، ويذكر المقريزي أن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه هو أول من عمل مقصورة وبناها باللبن، وكانت فيها كوى (نوافذ) ينظر الناس منها إلى الإمام ثم عملها عمر بن عبد العزيز بالساج[2]،وبهذا يكون سبق معاوية بن أبي سفيان الذي يذكر أكثر المؤرخين أنه أول من اتخذ المقصورة لحماية الإمام وتأمين سلامته .

---

(١) توفيق أحمد عبد الجواد:تاريخ العمارة والفنون الإسلامية،دار الكتب ١٩٧٠م،ص٥٥.

(٢) المقريزي :المواعظ والاعتبار،طبعة دار الكتب،بيروت ١٩٩٨م،ج٤ ص٨/نقلاً عن عمر بن شبة.

وكان أول مسجد اختطه المسلمون في الإسلام هو المسجد النبوي في المدينة المنورة وذلك في السنة الأولى للهجرة في موضـــع مربـد كـان يجفـف فيـه التمر،وجعل الرسول ﷺ في الجانب الشرقي منه مساكن أزواجه، واشتمل هـذا المسجد على العناصر الرئيسية التي عرفتها المساجد الإسلامية فيما بعـد، لذلـك اقتدى المسلمون به في بناء مساجدهم في البلاد الإسلامية في الكوفـة والبصـرة والفسطاط والقيروان وغيرها .

وكان بيت الصلاة مسقوفاً بالجريد المغطى بالطين، واتجاهه نحـو الشـمال إلى بيت المقدس حيث القبلة الأولى للمسلمين[1]، فلما تحولت القبلة نحـو الكعبـة بنى المسلمون ظلّة جديدة باتجاه الجنوب نحو الكعبة لتكون للصـلاة، وأصبحـت الظلّة الأولى في نهاية الجامع وعرفت باسم الصفّة، فـأصبحت مـأوى لفقـراء الصحابة الذين عرفوا بأهل الصفّة .

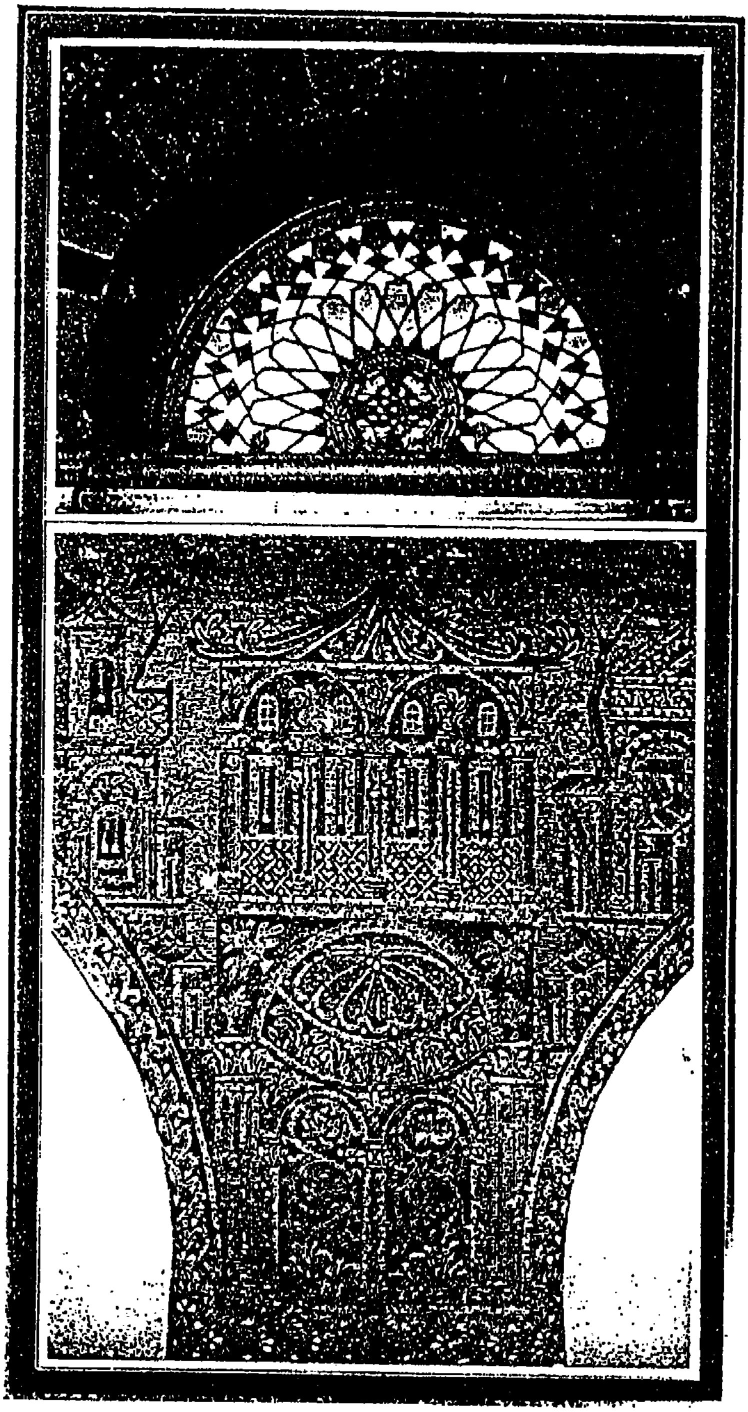
نشأ المسجد بحيث يلبي حاجات الصلاة عند المسلمين، وأخذ يزداد اتسـاعه مع مرور الوقت، ثم زاد عثمان بن عفان في بنائه وبنى جدرانه مـن الحجـارة وسقفه بخشب الساج الثمين، وفي عهد الوليد بن عبد الملك أعيد بناؤه بإشـراف عمر بن عبد العزيز والي المدينة أنذاك سنة ٨٧هـ / ٧٠٦م ، كما تـم زيـادة اتساعه من جهة الشمال في عهد الخليفة العباسي المـهدي (١٥٨ ١٦٩هـ / ٧٧٥ ٧٨٥) .

جامـع بني أميـّة :

بني في خلافة الوليد بن عبد الملك (الوليد الأول) سنة ٨٧هـ/٧٠٦م، وهـو من أحسن المساجد المعروفة في الإسلام، وقد جمع الوليد لبنائه أمهر الصناع

---

[1] ابن سيد الناس :عيون الأثر في فنون المغازي والسير،دار المعرفة،بيروت،ص١٩٤،سعد زغلول:العمارة والفنون،ص٢٤٤.



والمهندسين في العالم من فارس والهند وبلاد الـروم والمغـرب، وأنفـق علـى عمارته خراج الشام سبع سنين [1].

أقيم المسجد على أنقاض معبد وثني قديم في مدينة دمشق ، كان قد تحـول إلى كنيسة في الفترة البيزنطية ، ثم أقيم المسجد مكانـها ، وعـوض المسـلمون النصارى بدلاً منها [2].

اتخذ البناء الشكل المستطيل بأطوال ١٥٦ ٩٧متراً ، وكـان لـه أربعـة أبواب هي باب البريد في الجهة الغربية ، وباب الفراديس (الناطفيين) في الجهة الشمالية ، وباب جيرون في الشرق ، وباب السـاعات (الزيـادة) فـي الجهـة القبلية[3].

كان المسجد من الداخل مزين بأعمدة مـن الرخـام والمرمـر والكتابـات العربية، وله نوافذ من الزجاج الملون، كما اشتملت جدران الأروقة في السـاحة الخارجية على لوحات فنية مزخرفة بالفسيفساء الملونة ، تمثل أشـجاراً وأنـهاراً وبيوتاً وأشكالاً هندسية، فجاءت مثالاً للروعة والجمال [4].

---

(1) ابن حوقل :صورة الارض،ص١٦١ ،المقدسي:أحسن التقاسيم، ص١٥٨ ،ابن عساكر :تاريخ دمشق،ج٢ ص٣٥،ابن شداد: الاعلاق الخطيرة،ص٦٥.

(2) ابن حوقل :صورة الارض، ص١٦١ ،قدامة بن جعفر :الخراج ص٢٩٤-٢٩٥، ابن الفقيه البلدان،ص١٠٦ ،ياقوت الحموي: معجم البلدان ،ج٢ ص٤٦٥.

(3) سمي باب الساعات لانه عمل هناك بركار الساعات لتحديد الوقت، واشتمل على عصافير وحية وغراب من النحاس،فث٣قث٣صكان كلما انتهت ساعة من النهار خرجت الحية فصفرت العصافير وصاح الغراب ، وسقطت حصاة في الطشت التي أسفلها(انظر ابن عساكر :تاريخ دمشق،ج٢ ص٢٤٧.

(4) ابن حوقل :صورة الارض ص١٦١ ،المقدسي:أحسن التقاسيم،ص١٥٩ ،الادريسي،نزهة المشتاق،ج٤ ص٣٦٨.

وبنيت للجامع مئذنة في عهد الوليد الأول هي مئذنة العروس التي كانت تتوسط الرواق الشمالي، لكنها تهدمت وأعيد بناؤها في العهد الفاطمي سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٥م[١].

لقد حافظ الجامع الأموي على بنائه وروعة زخارفه حتى النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، حيث تعرض للحريق سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٨م، فقضت على معالمه الرئيسية، ولم يسلم من الحريق إلا جوانب قليلة من الرواق الخارجي، وأعيد تعميره في أواخر حكم الفاطميين للمدينة[٢].

مسجد قبة الصخرة المشرفة

وهو أول بناء وصلتنا أخباره من فنون العمارة الإسلامية، إذ يعود بناؤه إلى سنة ٧٢هـ / ٦٩١م في خلافة عبد الملك بن مروان[٣]، في مدينة بيت المقدس.

لقد أقيم البناء حول الصخرة التي نسب إليها المسجد والقبة التي تتوسطه،وهي عبارة عن حجر كبير موجود في الحرم القدسي الشريف أبعاده ١٨ ١٣ متراً تقريباً وارتفاع قامة الرجل،وتأتي أهميتها من أن هذه الصخرة هي المكان الذي وطأه المصطفى صلى الله عليه وسلم عندما عرج به إلى السماء.

ويذكر بعض المؤرخين أن عبدالملك بن مروان أراد أن يستفيد من المكانة الدينية لبيت المقدس ووجود المسجد الأقصى أولى القبلتين في صراعه مع عبد الله ابن الزبير،فعمد إلى بناء مسجد حول الصخرة المشرفة قصد به أن يصرف نظر الحجاج مؤقتاً عن مكة حتى لايرغمهم ابن الزبير على ترك طاعةعبدالملك[٤]

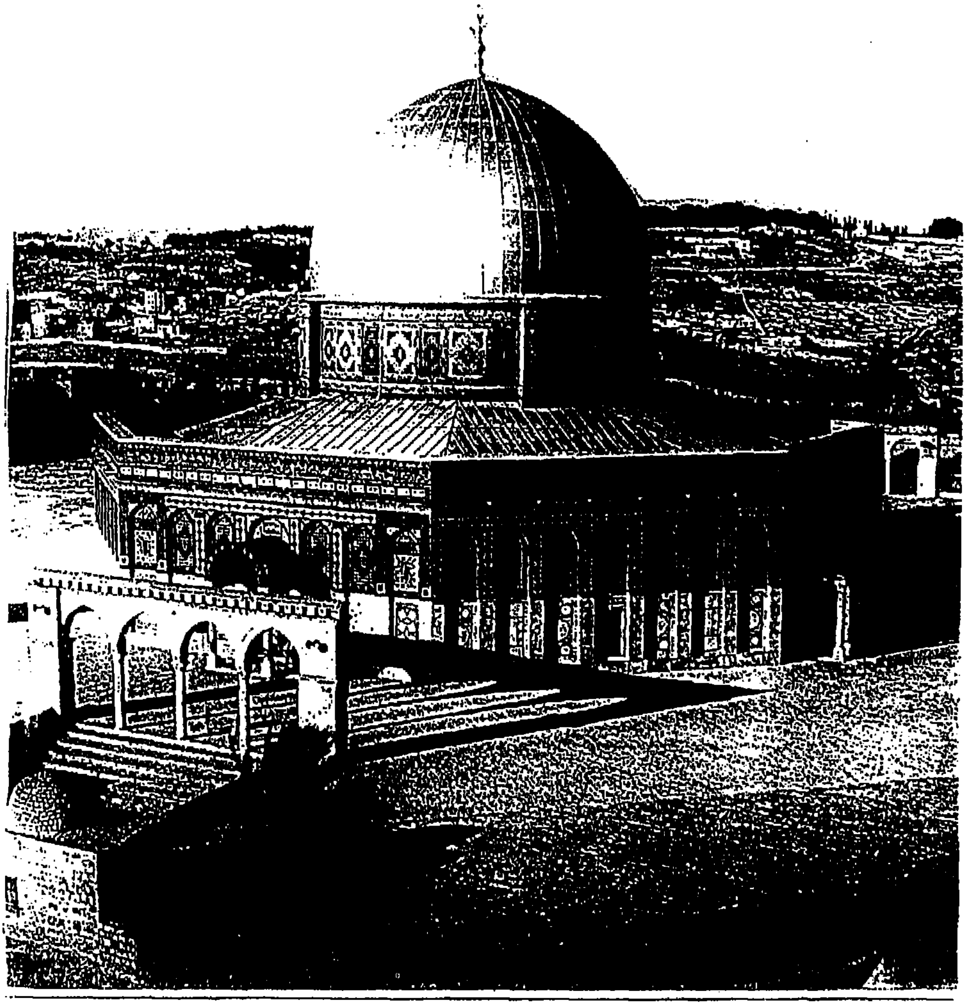
---

[١] ابن بطوطة:الرحلة،ص٩٠، محمد محاسنة: تاريخ مدينة دمشق،ص٧١.

[٢] انظر ابن عساكر :تاريخ دمشق،ج٢ ص٤٨،ابن الجوزي:المنتظم،ج٨ ص٢٤١،ابن الطوير:نزهة المقلتين،ص١٢٥.

[٣] ابن الفقيه:مختصر كتاب البلدان ،ص٩٧، وجدان علي بن نايف: سلسلة التعريف بالفن الإسلامي،ص٢٧،عفيف بهنسي،الشام، لمحات آثارية وفنية،ص١٣٦.

[٤] انظر نبيه عاقل:تاريخ خلافة بني أمية ،ص١٦١.



مسجد قبة الصخرة المشرفة

هذا إضافة إلى أن بناء المساجد يعتبر قربة إلى الله تعالى ، وتوفير مكان مناسب يؤدي فيه المسلمون شعائرهم ويتعبدون لله عزوجل ، وهذا هو السبب الرئيسي لبناء مسجد مع أهمية وقدسية المكان الذي أقيم فيه البناء ، أما السبب الأول الذي يذكره بعض المؤرخين فعائد إلى تزامن إقامة البناء مع الصراع الذي حدث بين عبد الملك بن مروان وعبدالله بن الزبير .

بني مسجد قبة الصخرة على شكل ثماني منتظم[1] من الحجارة طول ضلعه ٢٠,٦٠ متراً وارتفاعه ٩,٥٠ متراً ، ويتوسط البناء حول الصخرة دائرة من أربع دعامات واثني عشر عموداً أقيم فوقها عنق برميلي يحمل قبة عرفت بقبة المعراج أو قبة الصخرة [2]، وفيما بين هذه الدائرة الداخلية والمثمن الخارجي للبناء أقيم مثمن آخر داخلي يتكون من ثمانية قواعد وستة عشر عموداً (عمودين بين كل قاعدتين) تربط بينها الأقواس وظيفتها المساعدة في حمل السقف إضافة إلى وظيفة جمالية .

وفي أعلى كل حائط من الحيطان الخارجية للبناء كانت هناك خمسة شبابيك لإدخال النور، كما يوجد في عنق القبة ١٦ شباكاً أيضاً لتساعد في ادخال النور إلى البناء الكبير .

وجاءت أبوابه لتفتح إلى الجهات الأربع بحيث كان كل بابين متقابلين ، والقبة خشبية مزدوجة قطرها حوالي عشرين متراً ، وارتفاعها خمسة وثلاثون متراً .

قام ببناء هذا المسجد مهندسون وعمال من العرب والروم ، وكان على رأسهم رجاء بن حياة من مدينة القدس ، حيث تم الاستفادة من الطراز البيزنطي في البناء ، فامتزج فيها الذوق العربي بالأسلوب الروحي [3].

---

(1) انظر Creswell : Early Muslim Architecture,P72-73.

(2) المقدسي:أحسن التقاسيم، ص١٦٩، الادريسي: نزهة المشتاق، ص٣٦٠.

(3) وجدان علي :سلسلة التعريف بالفن الإسلامي ،ص٢٨.

لقد جاء فن هندسة البناء وفن الزخرفة والرسم الذي أبدعته يد الفنان في مسجد قبة الصخرة المشرفة آية في الإبداع والجمال ، بحيث كانت مثالاً نادراً من أمثلة الفن والعمارة ، ورغم تعرّض بنائها لعوامل التدمير والإحراق في فترات متعددة ، إلا أنها لا تزال تحتفظ ببعض معالمها التي تجعلها شاهداً من شواهد الفن والعمارة الإسلامية .

كسيت أعمدة البناء والجدران الداخلية والخارجية للقبة والاسطوانة التي ترتكز عليها بالفسيفساء ذات الألوان الجميلة الرائعة من الخضراء والزرقاء والذهبية ، مع قطع من الصدف اللامع وعرق اللؤلؤ وتربيعات المرمر الملون ، وغطيت الدعامات وأكتاف الأعمدة بألواح من النحاس والبرونز المطروق بزخارف بارزة على شكل عناقيد وأوراق العنب ، وأشجار الفاكهة ، ولفائف الاكانتوس (شوكة اليهودي) ، والنخيل ، وهي مطرزة بالجواهر والعقود التي تظهر فيها الرموز الساسانية والبيزنطية [1].

والفسيفساء التي استخدمت في هذا البناء هي قطع صغيرة إما من الحجارة أو الزجاج أو المرمر أو الفخار تلوّن بألوان مختلفة ، وتصف بجانب بعضها البعض لتشكل صوراً أو لوحات أو أشكال هندسية جميلة وتستعمل لتزيين أرضيات المباني وجدرانها ، وبرز شكل النجمة المثمنة لأول مرة في زخارف قبة الصخرة ، وهي عبارة عن مربعين متداخلين يشكلان نجمة ذات ثمان رؤوس.

وبما أن الفنان المسلم ابتعد عن تصوير الأشخاص في المساجد ودور العبادة، فقد استعاض عن ذلك بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة بالخط الكوفي، فكانت النقوش الكوفية في هذا البناء هي أقدم الكتابات المسجلة على الآثار العربية، وهي منقوشة فوق عقود المثمن وعلى جانبيها بشكل شريط طويل يزيد على مائتي وأربعين متراً أكثرها آيات قرآنية .

---

(1) سعيد عاشور :تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٤٩٣، وجدان علي :سلسلة التعريف بالفن ،ص٢٩.

جامـــع قرطبـــة

يعود بناؤه إلى عهد عبد الرحمن الداخل الأموي سنة ١٦٩هـ/٧٨٦م ،وهو من المباني التي أقامها المسلمون في الأندلـــس فـــي مدينـــة قرطبـــة [١]، فبنـــاه عبدالرحمن الداخل ليضاهي بأبهته الجوامع التي بناها أسلافه في الشرق، كالجامع الأموي الكبير بدمشق، ومسجد قبة الصخرة في القدس[٢].

أقيم المسجد على منحدر في مدينة قرطبة يشرف على نهر الوادي الكبـــير، على شكل مستطيل طوله ١٨٠متراً وعرضه ١٣٠ متراً، وبنـــي مـــن الحجـــارة الضخمة المنحوتة نحتاً جيداً، وسقفه من القرميد، ويتكون من خمسة أقسام رئيسية هي :

أ-قاعة الصلاة .

ب-المئذنة .

ج-المنبر .

د-المحراب .

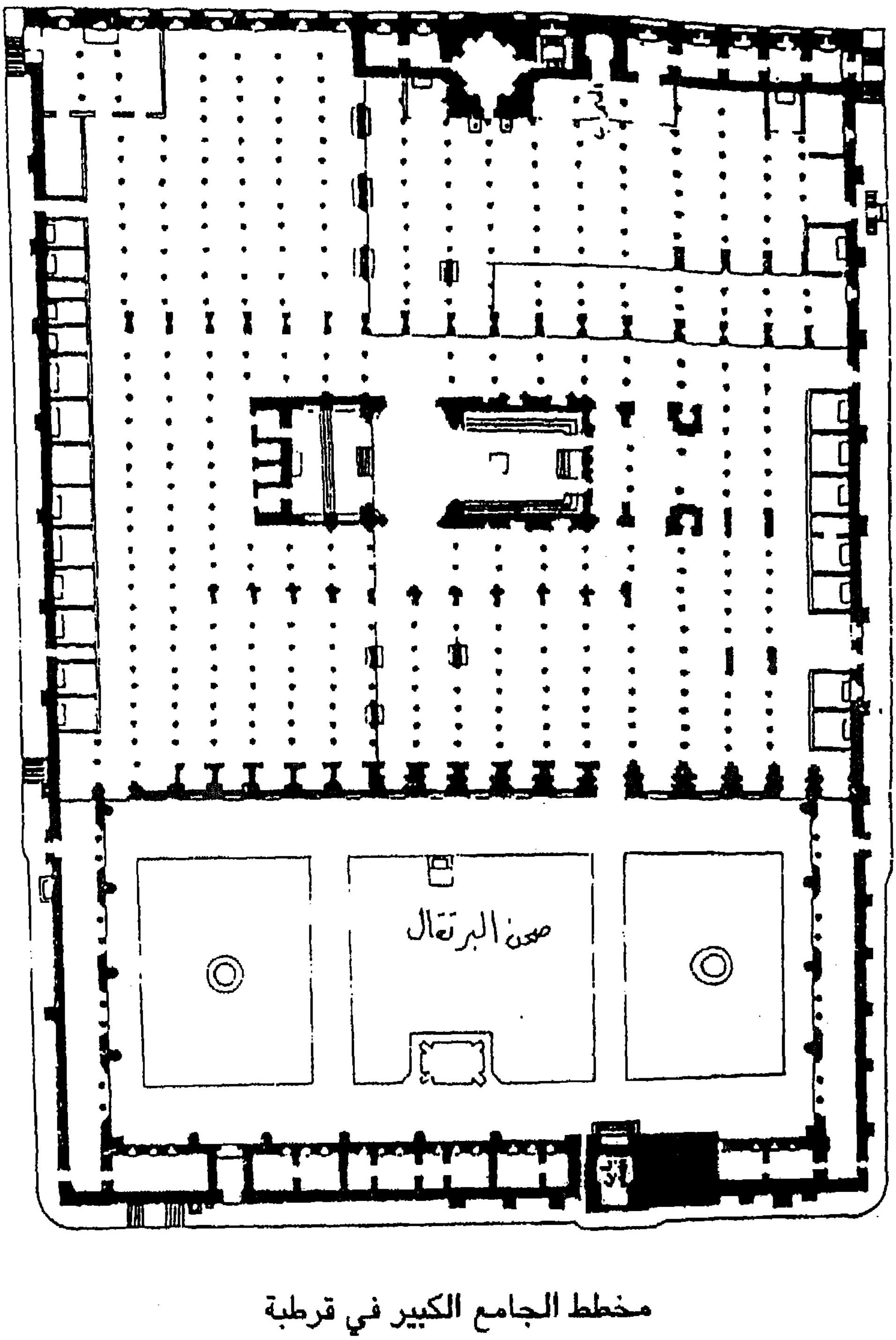
هـ-الصحن .

وكانت قاعة الصلاة في جامع قرطبة من أجمل قاعات الصلاة في العـــالم ، وتحتل ثلثي مساحة المسجد ، وفيها ٨٥٠ عموداً مزدوجاً أي أن كل عمود يتكـــون من عمودين متلاصقين، وتربط بينها الأقواس الحدوية والمفصصـــة والمتقاطعـــة والمتراكبة والمحمولة ، ولها تيجان من الآثار القديمة التي بالأندلس وإفريقيـــة ، وقد استخدم المعمار الأندلسي براعته في هندستها وزخرفتها حتى جاءت في غاية الروعة والجمال .

---

(١) الادريسي :نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص٥٧٥.

(٢) وجدان علي :سلسلة التعريف بالفن الإسلامي ، ص١٨٢.



مخطط الجامع الكبير في قرطبة



وكان للمسجد واحد وعشرون باباً طليت بالنحاس الأصفر اللماع وألف ومائتان وثلاث وتسعون سارية [1].

وبنيت مئذنة الجامع سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م في زمن عبد الرحمن الثالث بارتفاع ٣٦,٥ متراً على قاعدة مربعة بطول تسعة أمتار ، وكان لها درجين متجاورين يفصل بينهما حائط فلا يلتقي الصاعدون إليها إلا في أعلاها ، كان أحدها للصعود والآخر للنزول [2].

وبعد سقوط قرطبة بيد الاسبان في سنة ١٠٠٢هـ / ١٥٩٣م تحولت المئذنة إلى برج للنواقيس لأن الجامع تحول إلى كنيسة .

وصنع منبر الجامع من أخشاب الساج والابنوس والبقم وعود قاقلي ، واستغرقت صناعته سبع سنين واستخدمت لذلك ستة آلاف قطعة ، كانت تشد بمسامير من الذهب والفضة، وتطعم بالأحجار الكريمة [3].

أما المحراب وهو أهم أقسام الجامع فقد بني في عهد الحكم الثاني سنة ٣٥٤هـ/٩٦٤م، ولم يكن على نظام المحاريب المعروفة من قبل وهو المحراب المجوف أو على شكل نصف دائرة ، وانما كان على شكل مشكاة عميقة (قاعة صغيرة) مثمنة الشكل كسيت جدرانها بالرخام المحفور والجبص المذهب ، وفيه أعمدة جميلة من حجر اليشب والمرمر ترفع أقواساً مفصصة لتحمل قبة السقف الخاصة بالمحراب [4].

ويشتمل المحراب على لوحات فنية رائعة من الأشكال الزخرفية كالأوراق والأزهار والتيجان وعناقيد العنب المبسطة ومراوح السعف، بالإضافة إلى كتابات

---

[1] حسن إبراهيم :تاريخ الإسلام ،ج٢ ص٣٨٤،سعيد عاشور :تاريخ الحضارة الإسلامية ص٥٠٠.

[2] الادريسي :نزهة المشتاق ،ص٥٧٨، سعيد عاشور :تاريخ الحضارة الإسلامية،ص٤٩٩،وجدان علي :سلسلة التعريف بالفن،ص١٨٩.

[3] انظر الادريسي :نزهة المشتاق، ص٥٧٧.

[4] الادريسي : نزهة المشتاق ،ص٥٧٦-٥٧٧، وجدان علي : سلسلة التعريف بالفن ،ص١٩٠-١٩١،سعيد عاشور:تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٥٠١.

بالخط الكوفي تشتمل على آيات قرآنية ، وأسماء الله الحسنى كما يشتمل على الفسيفساء الزجاجية بالألوان المختلفة من الأحمر والأخضر والأبيض والأصفر والأسود .

وأطلق على صحن الجامع اسم (صحن البرتقال) ، وجاء توسيع الصحن في عهد عبد الرحمن الثاني ، حيث بنى إضافات جديدة على الصحن وأحاطه بالأروقة من الجهات الأربعة ، وزرع فيه بعض أشجار الزيتون والسرو والغار ، أما زراعة البرتقال فجاءت متأخرة وعلى يد الأسبان بعد تحويله إلى كنيسة[1] .

القصـــور

قصير عمـرة :

بناء أموي في الصحراء الأردنية إلى الغرب من الأزرق يعود تاريخ بنائه إلى عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك سنة٩٢هـ/٧١١م ، ويتكون من قسمين هما [2]:

أ-قاعة الاستقبال

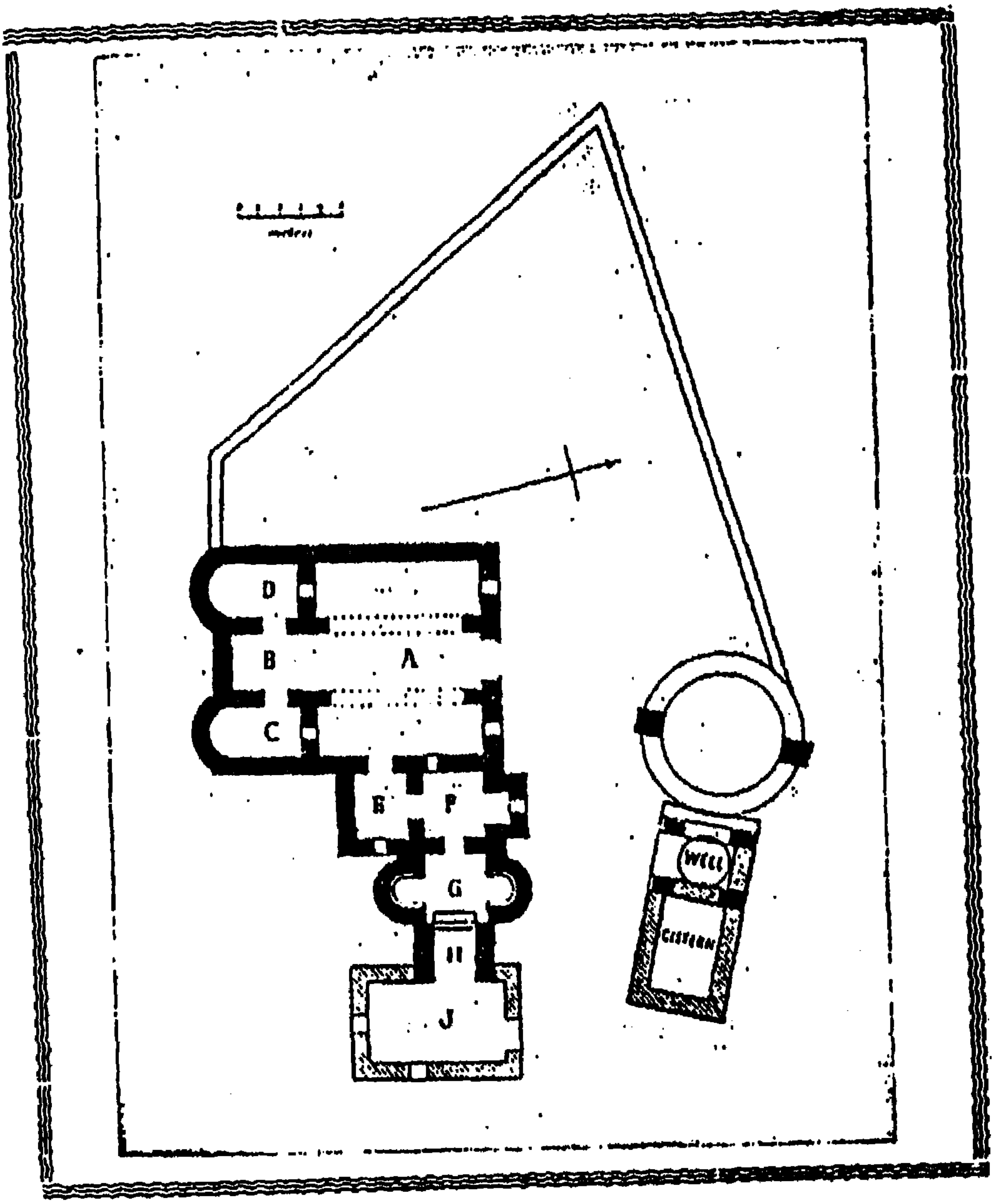
ب-الحمام

لقد صمم هذا لبناء على الرغم من صغر حجمه بهندسة جميلة رائعة ، فكانت قاعة العرش ، أكبر غرف القصر واستخدمت لاستقبال زوار الخليفة أو الوفود المختلفة ، وألحقت بها غرف جانبية صغيرة لتبديل الملابس ، ولهذه القاعة سقف نصف اسطواني ، أما الحمام فيتكون من ثلاث غرف هي غرفة الحمام البارد وتتصل بغرفة أكبر حجماً ذات سقف جملوني هي غرفة الحمام الدافئ ، وهي بدورها تؤدي إلى غرفة اخرى ذات مخطط بيضوي هي غرفة الحمام

---

(١) وجدان علي :سلسلة التعريف بالفن، ص١٩٢.

(٢) انظر فواز طوقان :الحائر في العمارة الأموية في البادية، عمان ١٩٧٩م، ص١٢٩-١٣٥،صفوان التل :الآثار العربية والإسلامية في الأردن،ص٣٢-٣٤.



مخطط قصير عمرة/ عن لانكسترهاردنج

الساخن وترتفع فوقها قبة معلقة نصف كروية تزينها رسوم جميلة تمثل الأبـــراج السماوية .

تميز قصير عمرة بالصور التي تغطي جدرانه الداخلية، وهي اقدم تصويـــر عربي إسلامي وهي الرسم بالالوان الزيتية او المائية على الجدران ويعرف هـــذا النوع من الرسم باسم (الفريسكو)[1]، واشتملت الرسوم التـــي مـــلأت الجـــدران والسقف وقباب الحمام على مواضيع متعددة ، منها موضوع الصيد حيث صـــور الكلاب السلوقية مع الصيادين، ومشاهد لصيد الخيول البرية والغزلان ، ومشـــاهد للغناء والموسيقى والرقص والمصارعات الرياضية ، ومناظر رمزيـــة للشـــعر والتاريخ ، وصورة الخليفة الوليد بن عبد الملك في صدر حنية العـــرش، وإلـــى يساره لوحة هامة جداً تعرف بلوحة أعداء الإسلام تمثل رسوماً لستة ملوك مـــن أعداء الإسلام الذين هزمهم المسلمون ، وكتبت أسماؤهم فوق رؤوسهم بـــاللغتين العربية واليونانية وهم:[2]

١-امبراطور بيزنطة هرقل .

٢-امبراطور الصين .

٣-آخر ملوك القوط - روذريق .

٤-ملك الفرس كسرى .

٥-ملك الحبشة النجاشي .

٦-أمير من أمراء الأتراك .

أما الرسوم الموجودة في غرف الحمام ، فهي تشتمل على رسوم للنباتـــات والأوراق ، وصور للطيور والحيوانات والأشخاص خاصة النســـاء والأطفـــال , وهناك تواجد لرسومات من الاشكال الهندسية في أرضيات بعض الغـــرف ، تـــم تنفيذها بالفسيفساء الحجرية الملونة .

---

(١) وجدان علي :سلسلة التعريف بالفن الإسلامي،ص٤٨.

(٢) لانكستر هاردنج :آثار الأردن ،ص١٩٦-١٩٧، صفوان التل،الآثار العربية والإسلامية ص٣٦-٣٧.

وتبرز ناحيتان أساسيتان في الرسومات والصور الموجودة علـــى جـــدران القصر ، الأولى : تصوير لأشخاص عراة، وهذا خروج علــى المـــألوف عنـــد المسلمين خاصة تصوير النساء وهو أمر يتكرر في قصير عمرة ؛ والثانيـــة : أن هذا العمل تضمن اقدم محاولة لتصوير الابراج السماوية على سطح كروي [١].

قصـــر المشـــتى

بناء أموي يقع إلى الجنوب من مدينة عمان وعلى بعد حوالي ٣٠كم ،ويعود بناؤه إلى عهد الوليد الثاني سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م ، وهو مبني من الحجارة الكلسية القاسية ومن الطوب المشوي ، ويتكون البناء من الاقسام التالية :

١-الاسوار والأبراج .

٢-مدخل القصر .

٣-قاعة العرش .

٤-المنازل السكنية .

٥-المسجد .

يرى البعض أن هذا البناء يعود إلى أيام الغساسنة أو إلى الساسانيين الذيـــن حكموا المنطقة في القرن السادس وأوائل القـــرن الســـابع الميـــلادي ، غـــير أن الأسلوب الفني لهذا البناء من الناحيتين المعمارية والزخرفية لا يتفـــق مـــع هـــذا الرأي ، وانما يطابق مخططات العمارة الأموية في بلاد الشام .

والقصر مربع الشكل طول ضلعه ١٤٤متراً [٢]، تحيط به الأسوار والأبراج الموزعة بانتظام على الأسوار الأربعة وعددها خمسة وعشـــرين برجـــاً، وهـــذه الأبراج ذات شكل نصف دائري ما عدا البرجين المحيطان بالبوابة الرئيسية فـــهما على شكل خماسي بارز على واجهة السور ويبلغ ارتفاع السور مـــــابين ٣-٥.٥

---

[١] وجدان علي :سلسلة التعريف بالفن الإسلامي، ص٥٥.

[٢] فواز طوقان :الحائر في العمارة الأموية،ص٧١.

متراً ويبلغ قطر الأبراج في واجهة السور خمسة أمتار، أما أبراج الزوايا فقطرها سبعة أمتار، وجميع الأبراج مملوءة باستثناء أربعة أبراج أحدها قرب البوابة الرئيسية في الجهة الجنوبية ، وثلاثة أبراج في الضلع الشمالي وملاصقة لقاعة العرش وخصصت لإقامة الحرس [١].

للبناء بوابة واحدة تؤدي إلى ساحة صغيرة عبر دهليز مستطيل ثم إلى ساحة اكبر حجماً ، وهي تؤدي بعد ذلك إلى مجموعة الأبنية التي تشكل قاعة العرش والاستقبال ، والبيوت الخاصة بالخليفة ، ويتم الوصول إليها عبر بوابة ثلاثية ذات أقواس مرتفعة أكثرها اتساعاً البوابة الوسطى التي تؤدي إلى قاعة العرش ، بينما تؤدي البوابتان الأخريان إلى أجنحة السكن .

إن قاعة العرش ذات شكل هندسي يشبه الوردة الثلاثية الأوراق (على شكل ورقة البرسيم)[٢]، كان يجلس الخليفة في صدرها، ويجلس أركان دولته وضيوفه في الأركان الأخرى.

ويقع المسجد الخاص بهذا القصر ملاصقاً للجهة الجنوبية من القصر وعلى مقربة من البوابة الرئيسية ، أبعاده ٢٨×١٣ متراً ، ويتسع لحوالي (١٥٠) مصلياً.

كانت سقوف المنازل وسقف المسجد نصف اسطوانية ، ومبنية من الطوب المشوي ، وتهدم معظم هذه السقوف من الإهمال .

تعتبر الزخارف الحجرية المنحوتة والموضوعة على واجهة المدخل الرئيسي وواجهة السور الخارجية نموذجاً خاصاً من نماذج الفن الإسلامي الرائع، فهي تتكون من ثلاثة أقسام[٣]:

---

[١] صفوان التل :الآثار العربية الإسلامية في الأردن، ص٤١-٤٢.

[٢] لانكستر هاردنج:آثار الأردن، ص٢٠٦.

[٣] صفوان التل :الآثار العربية والإسلامية،ص٤٥-٤٦.

-القسم الأول :- قاعدة زخرفية بارزة بارتفاع ١,٢٨ متراً وتتكون من شبكة من أغصان العنب المتشابكة تمتد على طول القاعدة على شكل حلقات متداخلة ومتعاقبة .

-القسم الثاني :- الشريط الزخرفي الأساسي وارتفاعه ثلاثة أمتار ، ويمثل مدرسة فنية مبتكرة في عالم الزخارف الإسلامية ، ويتكون من أشكال هندسية ونباتية وحيوانية في إطار فني مشترك ، وهي عبارة عن مثلثات متساوية الساقين عددها عشرين مثلثاً نصفها مثلثات منتظمة ، والنصف الآخر مقلوبة ، وهي منحوتة على صفائح من الحجر الكلسي الصلب ، ويتصدر وسط المثلث وردة متفتحة ذات ست أوراق قوسية ، ومركز هذه الوردة يمثل نواتها التي تتكون من شكل دائري متداخل .

إضافة إلى ذلك فهناك نحت بارز لأسد ولبؤة يقفان مقابل بعضهما يشربان من وعاء متوسط على قاعدة المثلث ، وانتشرت في بقية أجزاء المثلث غابة كثيفة من الأشجار والأغصان والأوراق والأزهار والطيور البرية المختلفة الأشكال والأحجام .

ومما يجدر ذكره أن الجناح الشرقي من البوابة لا يحتوي على نماذج واشكال خاصة بالمخلوقات ذات الروح كالحيوانات والطيور ، واكتفى بالأشكال النباتية وذلك بسبب وجود المسجد الذي يقع خلف الجدار مباشرة لأن الإسلام لا يقر وجود مثل هذه الصور في الأماكن الدينية .

وقبيل قيام الحرب العالمية الأولى قام امبراطور المانيا غليوم الثاني بزيارة إلى المنطقة ، فقدم له السلطان العثماني عبد الحميد الثاني واجهة القصر المزخرفة هدية، فنزعت عن جدار القصر ونقلت إلى برلين [1].

---

[1] لانكستر هاردنج :آثار الأردن ،ص٢٠٦،فواز طوقان،الحائر،ص٧٢.

قصـــر الحـــمراء

هي مدينة ملكية بناها بنو نصر على مشارف تلة مطلة على مدينة غرناطة، وكانت في الأصل قلعة تعود إلى القرن الثـــالث الـــهجري / التاســـع الميـــلادي استخدمت لأغراض عسكرية . وتشتمل قصور الحمراء علــــى مجموعـــة مـــن القصور والأبراج والممرات والحدائق ذات البناء الجميــل والهندســـة الرائعـــة، إضافة إلى حمام ومقبرة ملكية وأسوار تحيط بالمدينة تتخللها الأبـــراج الدفاعيـــة لحماية المدينة من الأخطار [1].

وتتميز قصور الحمراء بموقعها بين الغابات الكثيفة الممتدة علـــى ســـفوح جبال سيرا نيفادا، المغطاة بالثلوج، وبالمناظر الطبيعية الأخاذة التي تحيط بـــها . وقد استثمر المعماريون من مهندسين وفنانين ذلك كله في بناء وزخرفة قصـــور الحمراء حتى جاء بناؤها فريدة من فرائد هندسة البناء والفـــن مقرونـــة بجمـــال الطبيعة وسحرها الباهر .

واشتهرت الحمراء بساحاتها الخارجية الجميلة كساحة الآس (قمارش)، وهي ساحة فسيحة تمتد على جوانبها أشجار الريحان الشامي (الآس)، وأزهار النيلوفـــو والبرك وفوارات المياه وباحة الأسود (صحن السباع) التي تتوسطها بركـــة مـــن الماء يحيط بها إثني عشر أسداً من المرمر يخرج الماء من أفواهها إلى مجـــاري تحمله إلى فوارات اخرى للمياه داخل بعض قاعات القصر[2] .

كما اشتهرت قصور الحمـــراء بقاعاتـــها الفريـــدة ذات الهندســـة الرائعـــة والزخرفة الجميلة منها قاعة القارب، وقاعة السفراء، وقاعة بني سراج وكان لـــها قبة رائعة على شكل نجمة مغطاة بالمقرنصات، وقاعة الملوك (قاعة المحكمـــة)،

---

(1) وجدان علي :سلسلة التعريف بالفن الإسلامي،ص١٩٤.

(2) ن,م،ص١٩٦.

وهي عبارة عن ممر طويل فسيح يقسم إلى سبع حجـــرات، تمتـــاز بالتصـــاوير الآدمية التي تغطي سقوفها .

ويعتبر الحمام الملكي في قصر الحمراء من أروع الأبنية التي يشتمل عليـها القصر، وهو يقسم إلى أربعة أقسام، هي: قاعة الاستراحة، وقاعـات الاسـتحمام البارد فالدافي والحار، وأجمل ما فيه هي الزخرفة الجصية الملونـــة، والزخرفـة الخزفية المتمثلة في قطع القاشاني الجميلة الرائعة الموجودة في قاعة الاســتراحة بألوانها الذهبية والصفراء والزرقاء والحمراء .

الفنـــون الإسلاميـــة

كان الفن السائد قبل مجيء الإسلام هو الفن البيزنطي المسيحي الذي حـــل محل الفن الروماني منذ القرن الثالث الميلادي، عندما تحول الشرق عن الديانـــة الوثنية إلى الديانة المسيحية، وكان الفن البيزنطي المســيحي يتجــه إلــى رســم وتصوير الأشخاص المقدسين كالأنبياء والرسل والعذراء، وكـــان يركــز علـــى الصور المجسمة والتماثيل[1] .

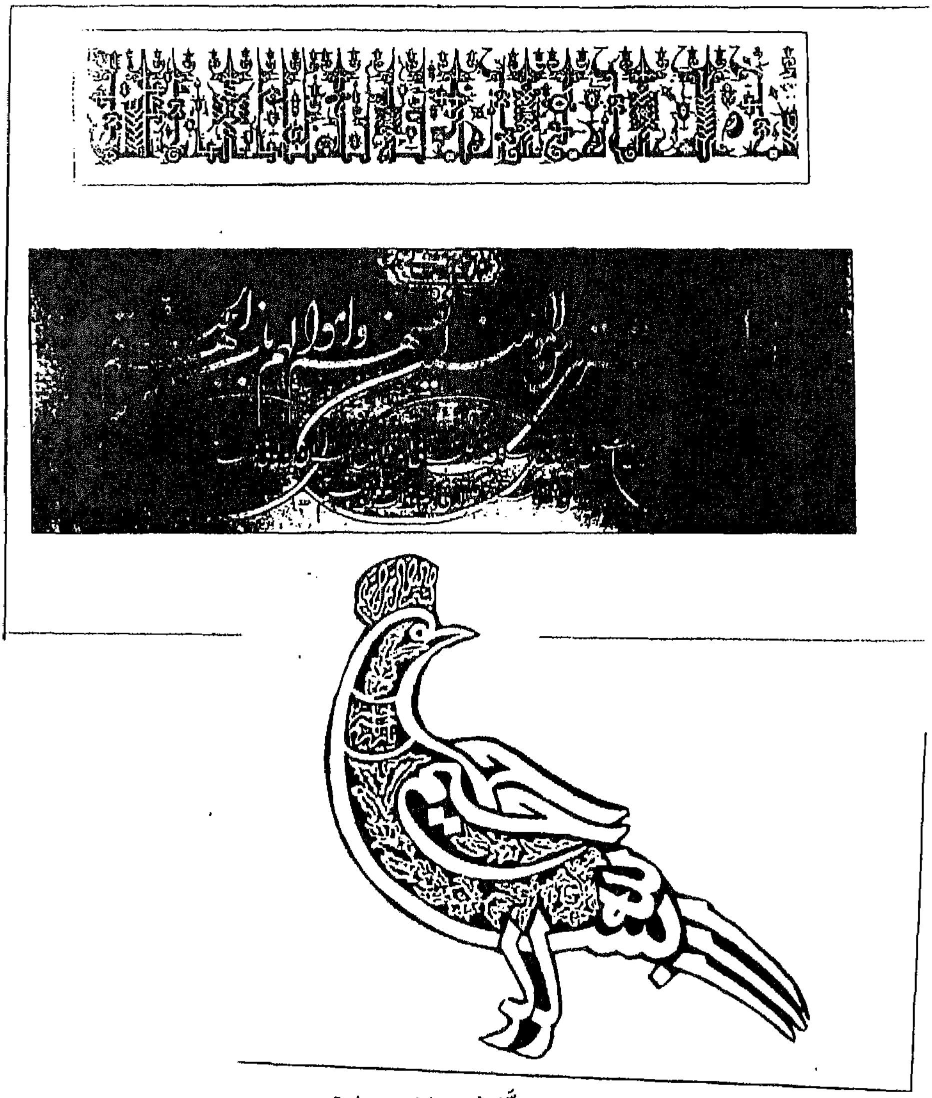
وعندما جاء الإسلام تحرج المسلمون من الصور المجسمة والتمـــاثيل، وابتعدوا عن تصوير الأشخاص والمخلوقات ذات الروح، كالحيوانات والطيـــور، واتجهوا إلى رسم النباتات والأشكال الهندسية المختلفة، وذلك للابتعاد عن مجاراة المسيحيين في تقديس الأيقونات باعتبار أن الله في الإسلام مجرد مطلـــق وأنــه وحده القادر على الخلق[2]، ولأن هناك إرشادات تدل على كراهية الإسلام تصوير المخلوقات ذات الروح .

إلا أن تصوير المخلوقات بعد فترة من ظهور الإسلام ومنذ العصر العباسي وجد طريقه عند بعض الفنانين، إلا أنه بقي يخدم أغراضاً غير دينية لذلك لا نجد

---

(1) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة العربية ،ص ٢٥٦ ٢٥٧ .

(2) محمود اسماعيل : تاريخ الحضارة العربية ، ص٢٠٣ .



كتابات بالخط العربي تبيّن جماليّة الفن الإسلامي

في تاريخ الحضارة الإسلامية، ما يشير إلى أن المسلمين عمدوا إلى تصوير المخلوقات ذات الأرواح في المساجد أو المناطق ذات الصفة الدينية، لكنها وجدت في القصور والأبنية العامة كالحمامات على سبيل المثال، فهناك صور للأشخاص وصور للحيوانات والطيور في قصير عمرة الذي يعود بناؤه إلى الفترة الأموية .

وتأثرت الفنون الإسلامية من حيث الشكل والتقنية بالفنون الصناعية التي كانت موجودة في العالم الهلينستي الغربي، والإيراني الشرقي، وبقي فترة من الوقت بعد ظهور الإسلام حتى تشكل فن إسلامي له صفات خاصة تميزه على غيره من الفنون[1] .

لقد زين فن الزخرفة العربي كل ما أخرجه الفنانون والصناع المسلمون ابتداء من السجاد والسروج إلى النوافذ والموائد والأدوات الزجاجية والخزفية المختلفة والمعادن والجواهر، والمصنوعات الخشبية والمنسوجات[2] وغيرها .

وعرف المسلمون فن صناعة الخزف الملون ذو البريق المعدني، وبدأت صناعته في إيران ثم العراق وبلاد الشام ومصر وانتشرت بعد ذلك في معظم البلاد الإسلامية، وبرع الغرب الإسلامي في هذا النوع من الفنون الصناعية، وأنتجت المصانع الإسلامية أنواعاً مختلفة من الصحون والأواني والمرايا والقوارير والمصابيح[3]، وبلغت هذه الصناعة درجة عالية من التطور والإتقان، وازدهرت صناعة القاشاني في سوريا والعراق والمغرب وفارس واستخدم لتغطية واجهات المساجد والأبنية، وأجوده النوع ذو البريق المعدني .

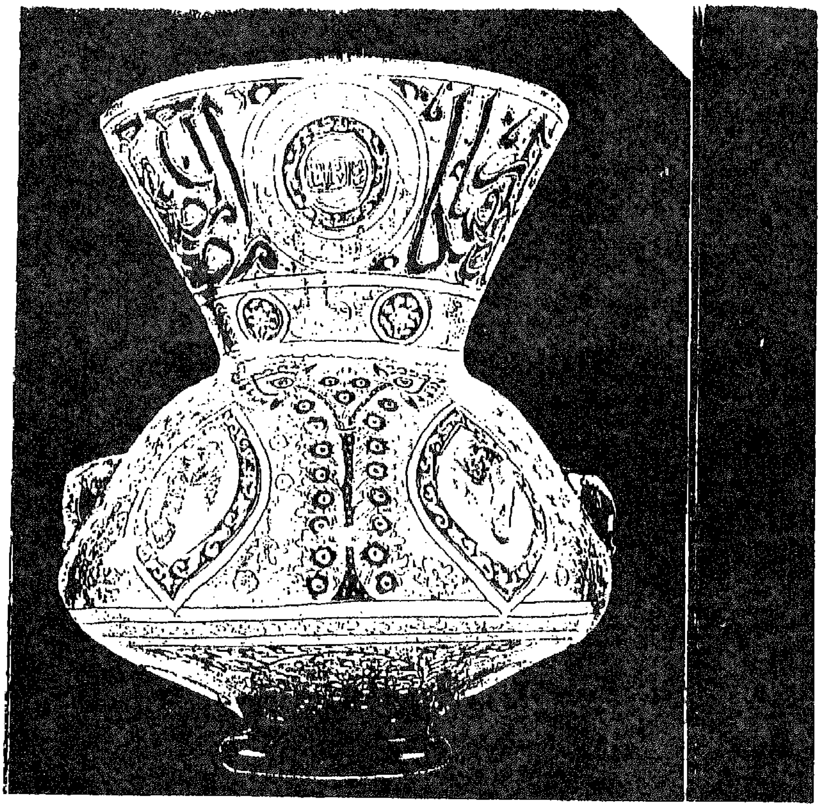
وتقدمت صناعة الزجاج تقدماً كبيراً، فكان يصنع بمصر زجاج شفاف يشبه الزمرد على درجة عالية من النقاء، وأنتجت مصانع دمشق ومدن الشام أنواعاً

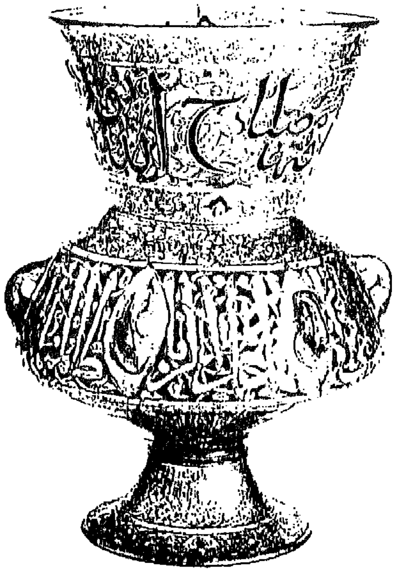
---

(1) سعيد عاشور : الحضارة الاسلامية ، ص٥١٩ .

(2) انظر روم لاندو : الاسلام والعرب ، ص٣٣١ ، عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص٢٦٢ - ٢٦٥.

(3) محمود اسماعيل : تاريخ الحضارة العربية ، ص٢٠٣ .





زخرفة على الأواني الزجاجية تبين جمالية الفن الإسلامي





رائعة من الزجاج كان يضرب بها المثل في النقاء والرقة، فيقال (أرق من زجاج الشام) .

وفي العصر الفاطمي دخلت على صناعة الزجاج الزخرفة بالكتابة والرسوم، ويموه بالمينا، وهي مادة تشبه الزجاج، كما استخدم المسلمون الفسيفساء الزجاجية وهي حجارة زجاجية ملونة استخدمت في تزيين النوافذ وبعض الواجهات للأبنية وكانت مصانع الزجاج تنتج أدوات مختلفة كالمزهريات والمكاحل والقوارير والأباريق والمصابيح الزجاجية المزخرفة بالخطوط والأشكال الهندسية والنباتات أو بصور الطيور[1] .

وكانت الصناعات الخشبية متعددة الأغراض تبرز روعة الفن الإسلامي خاصة إذا كان ذلك في صناعة منابر المساجد ومساند الكتب وواجهات المنازل والأثاث، فكانت تحفر عليه زخارف جميلة مطعمة بالعاج أحياناً ومرصعة بالجواهر، ولاقى هذا النوع من الصناعة رواجاً واهتماماً خاصاً في العصر الفاطمي، فكانت ترسم فيه زخارف من تفريعات أو توريقات، وصور للأشخاص والحيوانات والطيور.

وتتجلى دقة الصناعة اليدوية عند المسلمين في صناعة المعادن من النحاس والفضة والفولاذ، فكانت تصنع السيوف في دمشق من الفولاذ اللدن وفي طليطلة من الفولاذ المرن، واحتفظ الفولاذ الدمشقي المطعم بأشكال هندسية أو نباتية من الذهب أو الفضة بشهرته طوال قرون عديدة [2]وكان تطعيم المعادن يعرف باسم (التكفيت)[3].

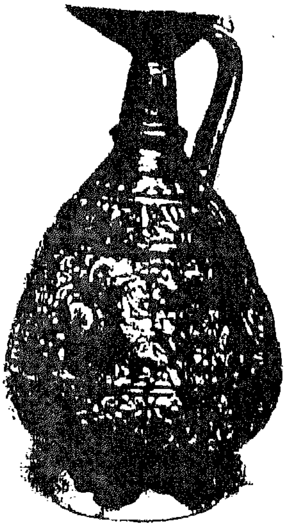
كما أنتجت مصانع المسلمين الصواني والأباريق والمباخر والثريات وركوات القهوة والصناديق المطعمة بالذهب والفضة، والأحواض المصنوعة من

---

(1) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص٢٦٢ ٢٦٣ ، روم لاندو : الاسلام والعرب ، ص٣٣٦

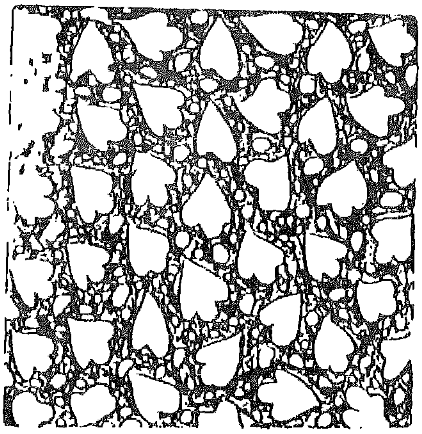
(2) روم لاندو : الاسلام والعرب ، ص٣٣٩ .

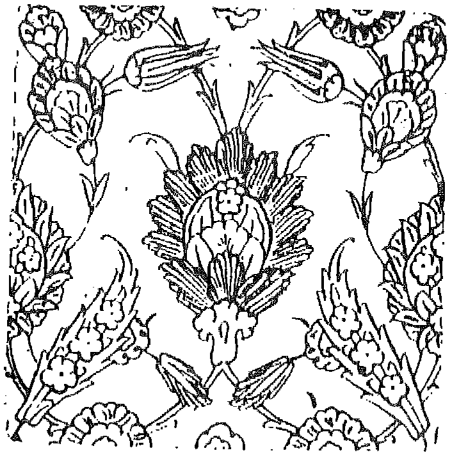
(3) المقريزي : الخطط ، ج٢ ص١٧٠ ، عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ،ص٢٦٣ .

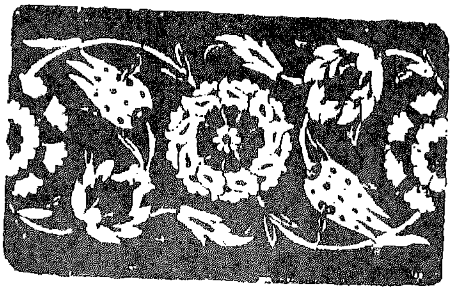




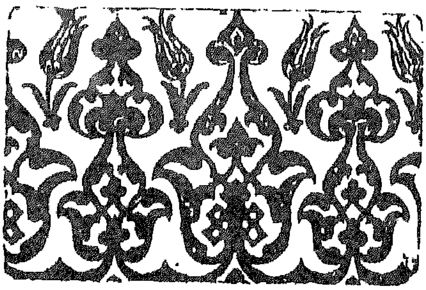












النحاس الأصفر والمزدانة بنقوش زخرفية وعلب الكتابة المخصصة لأقلام القصب والمحابر، وبلغت هذه الصناعة قمة مجدها في القرنين السادس والسابع الهجريين/الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين[1].

وتقدمت صناعة النسيج تقدماً هائلاً، فدخلتها الزخرفة وكان الصناع يستخدمون طرقاً معينة في ختم الزخارف وطبعها على المنسوجات، منها استخدام ألواح من الخشب، ويكتبون أسماء الحكام وألقابهم على المنسوجات التي يصنعونها للدولة، وينتجون لهم الملابس والرايات والشارات والأعلام، وكان يطلق عليها اسم الطراز[2]، وبرع المسلمون في استخدام الخيوط الذهبية، وكانت بلادهم مصدر إنتاج المنسوجات الفاخرة التي طبقت شهرتها الآفاق والمنسوبة إلى مدنهم كالفستيان والدمقس والموصلين والبلعسي وغير ذلك، وتألفت تصاميم النساجين من منظومات زخرفية تمثل الأزهار والرياحين والثمار ذات الأشكال المختلفة،والزخارف الهندسية تتخللها كتابات تزينيه بالخط العربي[3] .

وبرعت إيران بصناعة السجاد والبسط من الصوف أو الحرير وكانت تزين بمناظر طبيعية لحيوانات وطيور ونباتات، أو تحمل صوراً للمساجد والمآذن أو أشكالاً هندسية، وتفنن الصناع المسلمون بصناعة الجلود، وكانت تستخدم لصناعة الأحذية وتجليد الكتب وسروج الخيل، وكثيراً ما كانت تطعم بالمعادن والأصداف[4]، وأكثر ما اشتهرت بها بلاد المغرب والأندلس.

واحتل الخط العربي مكان الصدارة بين الفنون الزخرفية عند المسلمين، فلم يقف عند حد استخدامه كوسيلة للتعليم، بل استخدم كعنصر زخرفي في الكتابات التذكارية وزينت به العمائر والمنتجات المختلفة عند المسلمين.

---

(1) روم لاندو : الاسلام والعرب ، ص٣٣٩ .

(2) ابن خلدون : العبر ، ج١ ص٢١٠ ، عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص٢٦٤ ٢٦٥ .

(3) انظر روم لاندو : الاسلام والعرب ، ص٣٣٨ .

(4) المقريزي : الخطط ، ج٢ ص ١٥٩ ، محمود اسماعيل : تاريخ الحضارة العربية ، ص٢٠٤ .



زخارف خزفية تبيّن جمالية الفن الإسلامي

لقد تفرع الخط العربي إلى مجموعة من الخطوط تميز كل منها بخصائص محددة، واندثر بعض هذه الخطوط، وبقي بعضها الآخر، وتميز منها نوعان هما؛ الخط الكوفي والخط النسخي(١).

وغلب استعمال الخط الكوفي الذي أصبح فناً زخرفياً جميلاً نتيجة ما أدخل عليه من تحسين وزيادة العناية به لأغراض الزخرفة، والخط الكوفي نسبة إلى مدينة الكوفة في العراق، وهو تطور للخط الحميري القديم وهو خط يمني، والخط النسخي وهو ابتكار سوري، وغلب استعماله في المكاتبات اليومية وفي ديوان الإنشاء ونسخ الكتب، في حين استخدم الخط الكوفي في القرون الخمسة الأولى للهجرة في المصاحف والكتابات الأثرية وزخرفة الفنون(٢) وبرز عدد من الكتاب الذين اشتهروا بكتابة الخطوط العربية منهم الوزير ابن مقله، وعلي بن هلال،وياقوت الحموي، وكانت الكتابات بالخط العربي تزين جدران المساجد وبعض واجهات المباني، وعلى التحف، وفي الكتب، وكثيراً ما تكون مدهونة بماء الذهب والفضة.

وكان فن المنمنمات الفارسية من أشهر الفنون الإسلامية، وهي تمثل خروجاً على التحريم الإسلامي للتصوير فكانت تُملأ المنمنمات بصور بشرية وأشجار وأزهار وحيوانات، وكانت غايتها جمالية كفن الزخرف العربي (الأرابسك)(٣).

وكان لبراعة العرب في الشعر الذي يعتمد أساساً على الموسيقى دور في تطور فن الموسيقى، حيث أبدعوا فيها ألحاناً والآت وأصوات جديدة، واشتهرت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بريادتها في فنون الموسيقى والطرب، والى

---

(١) عرفت أنواع متعددة غيرها منها خط الثلث ، الخط الفارسي ، الخط الديواني ، وخط الطغراء ، وخط الرقعة (أنظر عطية القوصي : الحضارة الاسلامية ، ص٢٨٤، عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص٢٥٩).

(٢) انظر ابو زيد شلبي : تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، ص٢٦٥ ، عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية،ص ٢٥٩ ، عطية القوصي : الحضارة الاسلامية ، ص٢٨٤ .

(٣) روم لاندو : الاسلام والعرب ، ص٣٤٠ ٣٤١ .

العرب يعزى اكتشاف (النوتة) الموسيقية، وذلك بإعطاء رموز رقمية وحروف دلالية للأصوات والتمييز بين درجاتها.

وأفادت الموسيقى العربية من تراث الأوائل، وتنوعت الآلات المستخدمة في العصر الإسلامي وكان منها الناي والمزمار والبوق والطنبور والشبابة والدف والصنج والطبل والنقارة والعود والرباب والقانون وغيرها، واحتفظ بعض هذه الآلات باسمها في اللغات الأوربية، وأرخ للموسيقى بعض العلماء الكبار في العصر الإسلامي مثل الأصفهاني والجاحظ، وكان بعض فلاسفة المسلمين علماء في الموسيقى مثل الكندي والفارابي وابن سيناء وغيرهم[1].

---

(1) محمود اسماعيل : تاريخ الحضارة العربية ، ص٢٠٥ .

الفصل الثامن

أثر الحضارة الإسلامية على اوروبا وتفاعلها مع الحضارات الأخرى

١-الحضارة اليونانية .

٢-الحضارة الهندية .

٣-الحضارة الفارسية .

٤-أثر الحضارة الإسلامية في الحضارات الأخرى .

٥-وسائل انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا .

الحضارة اليونانية

تعتبر الحضارة اليونانية من اعرق الحضارات العالمية القديمة، فقد نبغ اليونان في مجالات الفلسفة والعلوم والآداب والفنون، وبرز منهم علماء وأدباء كانوا من أساطين الفكر العالمي، أمثال سقراط وافلاطون وارسطو وغيرهم، وحمل اليونان حضارتهم إلى الشرق خلال فتوحات الاسكندر التي إجتاح بها بلاد الشرق القديم[1] فبعد توقف الحروب اليونانية في الشرق بدأ الاتصال والتبادل الثقافي بين الحضارة اليونانية والحضارات الشرقية، وقام علماء السريان بترجمة الكثير من علوم اليونان في الفلسفة والطب والرياضيات والكيمياء والفلك والجغرافيا إلى اللغة السريانية وعلقوا عليها وشرحوا بعضها، كما قاموا بإنشاء المدارس لتعليم هذه العلوم في المدن الكبرى مثل انطاكيه والرها ونصيبين والاسكندرية وجند يسابور في إقليم خوزستان[2] .

فكانت جند يسابو، التي اتخذت اسمها من اسم بانيها سابور الأول بن أردشير الساساني ملك فارس مركزاً من مراكز الثقافة اليونانية،حيث كان سابور يجمع فيها أسرى الروم، ثم أسس فيها كسرى أنو شروان (٥٣١-٥٧٩م) مدرسة للطب، فاجتمع إليها الأطباء والأساتذة من الهنود واليونان والسريان الذين لجأوا إلى فارس، وتخرج منها عدد كبير من العلماء والأطباء الذين أصبحوا من أشهر الاطباء في العصر الاسلامي مثل جرجيس بن بختيشوع الذي أصبح الطبيب الخاص للخليفة العباسي أبو جعفر المنصور[3] .

وكانت حران مركزاً علمياً هاماً، وكان أهلها من اليونان والسريان والأرمن والعرب، ورفض أكثرهم اعتناق النصرانية أو الدخول في الاسلام ، وظلوا على

---

(١) وليم الخازن: الحضارة العباسية، ص١٠٤ .

(٢) أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الاسلامية، ص٦٩، ناجي معروف: أصالة الحضارة العربية ص٤١١-٤١٢ .

(٣) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص١٨٣-١٨٤، عطية القوصي: الحضارة الاسلامية، ص٢٢٦-٢٢٧ .

مذهب مزيج من الديانات القديمة وأصبحت حرّان مركزاً للعلوم الرياضية والطبية والهندسية والفلكية، ونبغ فيها عدد كبير من العلماء منهم ثابت بن قرة الحرّاني (ت٢٨٩هـ/٩٠١م) وابناه إبراهيم وهلال وأسرة هلال بن إبراهيم الصابي التي برز منها هلال بن المحسن بن إبراهيم (ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م) المؤرخ المشهور، وكان من علمائها أيضاً البتاني، (ت٣١٨هـ/٩٢٩م) العالم المشهور برصد الكواكب والانشاءات الهندسية[١] وكان أهل حرّان وأكثرهم من السريان حلقة الوصل ما بين العرب واللغة اليونانية.

بدأ أول اتصال للمسلمين بعلوم اليونان عندما أمر خالد بن يزيد بن معاوية بعض علماء اليونان في الاسكندرية بترجمة مجموعة أرسطو المنطقية إلى اللغة العربية ، ثم أمر جماعة أخرى بنقل كتب الكيمياء من اليونانية أو القبطية إلى العربية[٢] ، وترجمت أول موسوعة طبية عن اللغة اليونانية في خلافة عمر بن عبدالعزيز على يد الطبيب المشهور ماسرجويه .

واتسع اهتمام المسلمين بالترجمة في العصر العباسي ، نتيجة إزدياد تشجيع الخلفاء لحركة النقل والترجمة إلى العربية ، حيث أنشيء بيت الحكمة ليكون مقراً لحركة الترجمة إلى اللغة العربية، وخصصت الأموال للإنفاق على المترجمين،فكان المأمون يعطي كل مترجم وزن الكتاب الذي يترجمه ذهباً، بهدف إثارة قدرات المترجمين للإقبال على العمل بهمة عالية.

وكانت أهم الكتب والمؤلفات المترجمة عن اللغة اللاتينية والتي أفاد منها المسلمون، فقاموا بدراستها والاطلاع عليها، فصححوا ما فيها من أخطاء أو أضافوا إليها ، وللاطلاع على دور العرب في الترجمة انظر الفصل السادس من

---

(١) وليم الخازن: الحضارة العباسية، ص١٠٥ .

(٢) ابن النديم: الفهرست، ص٤٩٧ .

هذا الكتاب (موضوع الترجمة) ، لمعرفة ما ترجم إلى اللغة العربية في الطب[1] والرياضيات وعلوم الطبيعة والفلك والفلسفة .

الحضارة الهندية

كان للعرب علاقات تجارية مع الهند منذ العصر الجاهلي ، فقد وصلت قوافلهم وسفنهم التجارية إلى الهند والصين شرقاً ،ونقلوا بضائعهم إلى بلاد العرب أو حملوها إلى أوروبا .

وفي العصر الإسلامي بدأ الاتصال بالحضارة الهندية مبكراً ، فقد بدأ في خلافة عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب عندما بدأت جيوش المسلمين تفكر بفتح مناطق في غرب الهند لنشر الاسلام، وتكللت محاولات المسلمين في خلافة الوليد بن عبد الملك وعلى يد قائده الكبير محمد بن القاسم الثقفي، ثم أتم هذا الدور السلطان محمود الغزنوي (٣٨٨-٤٢١هـ/٩٩٨-١٠٢٩م)، حيث تمكن المسلمون خلال هاتين المرحلتين من نشر الإسلام في غرب الهند، ونشطت التجارة بين المسلمين والهند، وبدأ التفاعل والتمازج بين الحضارتين العربية الإسلامية والهندية، ومن مظاهر هذا التفاعل ما يلي:

١-ترجمة بعض الكتب الهندية إلى الفارسية، ثم إلى العربية، كما ترجمت بعض الكتب العربية إلى الهندية أيضاً .

٢-اقتباس اللغة الأوردية للأحرف العربية، فأصبحت تكتب بالأحرف العربية، واللغة الأوردية كانت مزيجاً من أفكار وألفاظ فارسية وتركية وسنسكريتية .

٣-تأثر فن العمارة في كل من الحضارتين بما هو في الحضارة الأخرى،فتأثر فن العمارة الإسلامية بطابع البيئة الهندي.

---

[1] انظر ابن النديم: الفهرست، ص ٤٠٠، ٤٠٨ .

٤-نقل كثير من العلوم والمؤلفات الهندية إلى اللغة العربية، فشمل ذلك الجوانب التالية :

-في الحساب : ترجم كتاب الفصول في الحساب الهندي إلى اللغة العربية في خلافة المنصور سنة ١٥٤هـ/٧٧٢م فاطلع العرب على حساب الهنود وأخذوا عنهم نظام الترقيم وهي الأرقام المعروفة اليوم إضافة إلى الصفر، فهذب المسلمون هذه الأرقام، وكونوا منها مجموعتين رقميتين هما: الأرقام الغبارية، والأرقام الهندية[١] التي استخدمت في البلاد العربية .

-الفلك : نقل محمد بن إبراهيم الفزاري[٢] كتاب (السند هند) بطلب من الخليفة أبي جعفر المنصور فأفادوا منه معلومات كثيرة تتعلق بالخسوف والكسوف والاعتدالين، واستخرج منه الفزاري زيجاً حول فيه جداول السنين الهندية الشمسية إلى سنين قمرية[٣] كما أفادوا من المعارف الهندية في رصد مواقع بعض النجوم ودورانها .

-في الطب : كان للهنود معرفة ببعض الأمراض وعلاجها،وانتقالها بالعدوى، واستخدموا التنويم المغناطيسي في العلاج،فاطلع العرب على هذه المعارف واستفادوا منها ونقلوا بعضها عنهم، وترجمت بعض الكتب الطبية منها كتاب (أسرار المواليد) و(التوهم في الأمراض والعلل)، و (علاجات النساء) و (عقاقير الهند) .

-في الأدب : اهتم الهنود بالقصص الرمزي الذي يقدم النصائح والحكم بطريقة جذابة ومؤثرة فنقل عنهم العرب كتاب (كليلة ودمنة) الذي نقل إلى الفارسية أولاً، ثم إلي العربية وقام بنقله عبد الله بن المقفع[٤].

---

[١] عطية القوصي: الحضارة الاسلامية،ص٢٥٠، محمد الحافظ: تاريخ العلوم ص٩٨-٩٩، عبدهالحلو: الوافي في تاريخ العلوم عند العرب، ص٢٨ .

[٢] ابن النديم: الفهرست، ص١١٨ .

[٣] عبده الحلو: الوافي في تاريخ العلوم عند العرب، ص٢٨ .

[٤] ابن النديم: الفهرست، ص١٧٢، ٤٢٤ .

الحضارة الفارسية

ارتبط العرب مع الفرس بعلاقات تجارية وسياسية إضافة إلى روابط الجوار التي كانت تربط بينهم وكان بين العرب من يعرف اللغة الفارسية، ومنهم من اطلع على بعض معارفهم في الطب والآداب وغيرهما .

وبعد ظهور الإسلام وقيام حركات الفتح الإسلامي التي تحركت باتجاه الشرق أقبلت جماعات من الفرس على الدخول في الإسلام،وترتب على ذلك حاجتهم إلى دراسة اللغة العربية، فأقبلوا عليها يدرسونها حتى برع في دراستها عدد كبير منهم، وظهر من بينهم أدباء وشعراء أسهموا في إثراء النشاط الفكري والأدبي(١)، وقلدوا العرب في أشعارهم، فكانوا يمدحون ويتغزلون ويهجون، وربما لجأ بعضهم إلى التكسب بالشعر أو استغلاله للحظ على الثورة وتحريض الناس ضد النظام القائم .

ودخلت اللغة العربية بعض الألفاظ الفارسية حتى عند بعض الشعراء الكبار كجرير والفرزدق، وكان بعضهم يستبدلون أحرفاً بأحرف أخرى، فنجم عن ذلك ظهور اللكنة بين الموالي(٢) .

وقام عدد من العلماء والأدباء العرب بدراسة الآداب والعلوم الفارسية، وأفادوا منها إفادات كثيرة، فترجم كتاب الخداي نامة (سير ملوك العجم)، وكتاب الأدب الكبير والأدب الصغير إلى اللغة العربية،حيث قام بترجمتها عبد الله بن المقفع(٣)، كما ترجمت بعض كتب الحكم والنصائح والتاريخ إلى اللغة العربية أيضاً .

أما ديانة الفرس وهي الديانة الثانوية، فلم يأخذ العرب شيئاً من تعاليمها، لمخالفتها للإسلام الذي يقوم على أساس التوحيد الخالص لله عز وجل، إلا أن

---

(١) أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الاسلامية، ص٦٧-٦٨ .

(٢) انظر الأصفهاني: الأغاني، جـ١ص٣٨٠ .

(٣) ابن النديم: الفهرست، ص١٧٢ .

بعض الفرق الغالية استغلت التعاليم الثنوية لافساد التعاليم الإسلامية وأضعاف العرب والسيطرة على الحكم، وبعضهم حاول إعادة المجوسية[١] .

والمجوس هم أتباع الديانات الثنوية من الفرس وهي الزرادشتية والمانوية والمزدكية، فالزرادشتية : نسبة إلى زرادشت (Zoroasetr) الذي ظهر في شمال غرب ايران في القرن السادس قبل الميلاد، ويرى أن للعالم أصلين أو آلهين هما؛ اله الخير وهو اهورامزدا واله الشر وهو اهرمن، وأصل الخير النور وأصل الشر الظلمة، والحرب قائمة بينهما سجالاً حيث تنتهي بانتصار اله الخير[٢] .

والمانوية نسبة إلى ماني (القرن ٣م)، وتعاليمه مزيج من الزرادشتية والنصرانية، وشارك زرادشت بالقول بالثانوية، لكنه خالفه بقوله ان الحياة شر يجب التخلص منه فدعا إلى الزهد وتحريم النكاح،لأن القضاء على الشر يكون بالفناء .

أما المزدكية فتنسب إلى مزدوك (مزدك) في القرن الخامس الميلادي، وكان يقول بالثانوية والنور والظلمة، وأن المال والنساء سبب الحروب والشر، فدعا إلى الإباحية وأن يكون المال والنساء مشاعين للناس[٣]، وحاول الفرس فرض هذه الديانة على عرب العراق، فلما رفض المنذر بن ماء السماء هذه الديانة كان جزاؤه الطرد من عرش العراق .

وفي العصر الأموي أحس الفرس أنهم لم ينالوا حقوقهم في الدولة الإسلامية، فشاركوا في قيام الثورات ضد الأمويين، ووقفوا الى جانب الثورة العباسية، فمنحهم خلفاء بني العباس الوظائف العالية في دولتهم كالوزارة

---

(١) اليعقوبي: التاريخ، جـ١ ص٢٠١، ناجي معروف: أصالة الحضارة العربية، ص٤٠٩ .

(٢) اليعقوبي: التاريخ، جـ١ ص٢٠١-٢٠٢، وانظر ص٢٢٠ .

(٣) اليعقوبي: التاريخ، جـ١ ص٢٠٧، ناجي معروف: أصالة الحضارة العربية ص٤١٠ .

والحجابة والإمارة على الأقاليم وقيادة الجيش، وكان الكثير من هـذه التنظيمـات مستمد من النظم الفارسية[1] .

وأخذ العرب عن الفرس نظام البريد، وذلك بتقسيم المسافات على الطـرق الواصلة بين المدن الإسلامية إلى مراكزها فيها أشخاص وخيول وكل مسـتلزمات السفر من الطعام والشراب والخيول والأعلاف وغيرها لتسهيل مهمات المسافرين وحاملي الرسائل، وتأثر العرب أيضاً بعادات الفرس كالاحتفال بعيـدي النـيروز والمهرجان في أول الربيع، وأول الخريف .

ونقل العرب عنهم وسائل الترف والنعيم فملأت قصور الأمراء والأغنيـاء، كما امتلأت القصور بالجواري، وتزوج منهن أكثر خلفائهم،وأدى هذا الوضع إلى فساد الحياة الاجتماعية، وانحطاط شأن المرأة العربيـة، فـأدخل الفـرس إلـى الحضارة العربية مجالس الطرب والغناء والتأنق في اللباس والزينـة، وتعـددت الأزياء واختلفت تبعاً للوظائف والطبقات الاجتماعية، فكـان للفقـهاء ملابسـهم وللشرطة ملابسهم وللكتاب ملابسهم وهكذا

---

[1] وليم الخازن: الحضارة العباسية، ص ١٠٧ .

أثر الحضارة الإسلامية في الحضارات الأخرى

كما تأثرت الحضارة العربية الإسلامية بمنجـــزات الحضـــارات العالميـــة كالهندية واليونانية والفارسية فقد أثرت بالحضارات الأخرى،وأكثر ما ظهر أثرها على الحضارة الأوروبية التي كانت تعاني من الجمود والتخلف في وقت ســـطع فيه نجم الحضارة العربية الإسلامية، وانتشرت المدارس في شرق البلاد وغربها، وامتلأت المكتبات بالمؤلفات في مختلف العلوم والفنون، فاجتذبت هذه المـــدارس والمكتبات إليها الباحثين والعلماء من البلاد الأوروبية يدرسون وينهلون مما أبدعه علماء العرب والمسلمين، فنقلوا ما أغنى أوروبا وجعلها قادرة على بناء حضـــارة متطورة تفوق ما كان منتظراً منها .

ففي مجال الطب نقل الأوروبيون المؤلفات الطبية وأدوات الجراحة والأدوية التي حضرها المسلمون، ونقلوا كتاب الحاوي في الطب[1] الـــذي ألفـــه الـــرازي ليكون المرجع الوحيد في جامعات أوروبا حتى القرن السابع عشر الميلادي .

واعترف علماء أوروبا أمثال كيلر وبيكون بما قام به الحسن بن الهيثم فـــي مجال العلوم حيث صحح نظرية الأبصار، التي كانت سائدة منذ عهد اليونان،وقال بأن الرؤيا تكون بانطلاق الشعاع من الجسم المرئي إلى العين وليس العكس،ونقـل العلماء أيضاً إلى أوروبا علم الجبر بقواعده وأصوله وتسميته .

وأصبحت أبحاث جابر بن حيان مؤسس علم الكيمياء[2] بما قدم خلالها مـــن معرفة متطورة وتحليل وتركيب لعدد من المواد الكيماوية من المراجع الرئيســـية لعلماء أوروبا حتى القرن الثامن عشر الميلادي،وسيبقى علـــم الاجتمـــاع مديـــن بظهوره وتقدمه إلى المفكر الكبير والمؤرخ الفذ ابن خلدون، فهو أول من صـــاغ

---

(1) ابن النديم: الفهرست، ص٤١٦-٤١٩، علي شلق، العقل العلمي في الاسلام، ص٦٩-٧١ .

(2) ابن النديم: الفهرست، ص٤٩٨-٤٩٩ .

قوانين تقدم الأمم وانهيارها، وأشار إلى أهمية العوامل الطبيعية والجغرافية فسبق بذلك علماء أوروبا بزمن طويل[1] .

والعرب هم الذين حفظوا تراث اليونان والرومان يوم فرط به الأوروبيون، وهم أول من قال بكروية الأرض قبل أن يثبت الأوروبيون ذلك بزمن طويل، وبعثوا فلسفة اليونان من جديد[2] وقد شهد علماء أوروبا بالدور الكبير الذي لعبته الحضارة العربية الإسلامية وأثرها في تقدم الفكر العالمي، وتطبيق المنهج العلمي في البحث الأوروبي وهو المنهج الذي يقوم على البرهان والدليل .

---

(1) أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الاسلامية ،ص٣٧٦ .

(2) ن.م/ ص٣٧٧-٣٧٨ .

وسائل انتقال الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا

١-الأندلس:

هي الجزء الذي فتحه المسلون وحكموه من شبه الجزيرة الأيبيرية،واستمر وجودهم فيها فيما بين ٩٢-٨٩٧هـ/٧١٧-١٤٩٢م وامتلأت الأندلس خلال حكم المسلمين لها بمراكز التعليم والجامعات،وازدهرت فيها الحياة العلمية، وأنشئت المدن، وكثرت حواضر العلم والأدب كقرطبة واشبيلية وطليطلة وغر ناطة وبلنسية وألمرية وبرع في هذه المدن عدد من العلماء والأدباء، منهم الطبيب أبو القاسم الزهراوي، والفلاسفة أمثال ابن طفيل وابن رشد وابن باجة وغيرهم[1] .

وأقبل علماء أوروبا وطلاب العلم على الاغتراف من التطور العلمي والأدبي الذي وصلت إليه الأندلس[2]، وظهرت حركة ثورية ضد تعاليم الكنيسة التي كانت تحد من القيام بالتجارب العلمية التي يمكن أن تغير كثيراً من النظريات والمفاهيم السائدة في أوروبا .

ويعتبر الحكم الثاني (ت٣٥٠هـ/٩٦١م) رائد الحركة العلمية في الأندلس، إذ بلغ التطور العلمي في عهده ذروته، فعمل على نشر العلم من خلال افتتاح المدارس التي عين لها المدرسين وأنفق الأموال الطائلة على طلابها، واشتهر بحبه للعلم فاحتوت مكتبة قصره على مئات الألوف من الكتب والمخطوطات، كما انتشرت في عهده المكتبات العامة.

واهتم الإسبان بالعلوم العربية فعملوا على ترجمتها إلى اللاتينية حباً في العلم ورغبة منهم في معرفة آراء خصومهم المسلمين ليتمكنوا من الدفاع عن ديانتهم المسيحية والوقوف في وجه المسلمين ودينهم .

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ص٤٢٩-٤٣١، سعيد عاشور: تاريخ الحضارة الاسلامية، ص٩٩,٧٩، ٢١٧-٢١٨ .

(٢) روم لاندو: الاسلام والعرب، ص١٧٨-١٨٠ .

وكان أشهر المترجمين جيرارد الكريموني الإيطالي (ت٥٨٣هـ/١١٨٧م) الذي حضر إلى إسبانيا لتعلم العربية وترجمة بعض الكتب، فأقام عشرين سنة ترجم خلالها ما يزيد على سبعين مؤلفاً من العربية إلى اللاتينية(١)، فترجم كتاب القانون في الطب لابن سينا،وكتاب المنصوري للرازي وكتاب المناظر للحسن بن الهيثم والجزء الجراحي من كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف للزهراوي،وكتاب المجسطي لبطليموس ترجمه عن الترجمة العربية التي عملها الفرغاني .

واشتهر من المترجمين الأسبان يوحنا الاشبيلي الذي ترجم بعض أعمال العلماء المسلمين كابن سينا والغزالي والخوارزمي والفارابي، وأديلارد أوف بلث الذي ترجم الجداول الفلكية للمجريطي سنة ١١٢٦م،وكانت هذه الجداول تعتمد على زيج الخوارزمي، ومنهم روبرت الشستري الذي ترجم كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي سنة ١١٤٥م وغيرهم .

ولما أصبحت قرطبة عاصمة الحضارة العربية في اسبانيا أنشأ حكامها المدارس للطب والفلسفة والعلوم والفنون، وبذلوا عليها بسخاء كبير إذ كانت دولتهم قد بلغت درجة عظيمة من الثراء والتقدم، وأرسل عبد الرحمن الثالث(الناصر) (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) لجمع الكتب واجتذاب العلماء للبحث والدرس والتأليف، فأصبحت حاضرته موطناً للعلوم ومركزاً طبياً اشتمل على عدد من المستشفيات والأطباء والصيادلة وعلماء الكيمياء والنبات والرياضيات والفلك والفلسفة، وكانت جامعة قرطبة ومكتبتها مركزاً فريداً للعلوم والترجمة من اللغات المختلفة إلى العربية .

وشابه عصر الحكم الثالث وهو ابن عم عبد الرحمن الثالث عصر أبيه في الاهتمام بالعلم والعلماء فقد كان شغوفاً بجمع العلوم ونشرها،فاهتم بمكتبة قرطبة حتى وصلت موجوداتها إلى نصف مليون كتاب، واحتوت على فهرسة مميزة

---

(1) Philip. Hitti: History of the Arabs, New York, 1970,P 588.

مكونة من أربع وأربعين كتاباً في كل منها خمسين صفحة، كما أرسل أيضاً في طلب العلماء والكتب إلى مراكز الحضارات العالمية، وكان يدفع بسخاء على شراء الكتب، ثم قلده بعض أمراء البلاد الأندلسية مثل أمير سرقوسة واشبيلية وطليطلة وغر ناطة، وقلدوا قرطبة بجامعتها ومكتبتها، وكانت الجامعة تدرس علوم الطب والصيدلة والكيمياء، واشتهرت مدريد بجامعتها ومدينتها الجامعية التي كانت تحتوي على أجنحة يعيش فيها الطلبة .

٢-صقلية :

خضعت جزيرة صقلية لحكم الدولة الرومانية الشرقية منذ القرن الخامس الميلادي وبقيت حتى القرن الثامن الميلادي عندما فتحها العرب المسلمون، وبدأت خطوات الفتح للجزيرة مع استغاثة (فيمي) الثائر ضد القسطنطينية والذي لجأ إلى بني الأغلب، فعهد الأمير إبراهيم بن الأغلب إلى القاضي أسد بن الفوات قيادة اسطول لفتح الجزيرة في ربيع الأول سنة٢١٢هـ/٨٣٠م، ودخل العاصمة بلرمو وفتح الجزيرة فحكمها المسلمون زهاء قرنين من الزمان أقاموا خلالها المساجد والمدارس والجامعات.

وحكم في الجزيرة بعد الاغالبة أبناء قبيلة كلب العربية، ثم اتبعت السيادة الفاطمية بعد أن فرض الفاطميون سيادتهم على شمال افريقيا ومصر، وعن طريق صقلية وصل المسلمون إلى جنوب إيطاليا فسقطت بايديهم (سالرنو) و(نابولي) و(مونت كاسينو)، حيث تأثرت هذه المدن برياح الحضارة العربية الاسلامية الغنية القادمة من ديار المسلمين[1].

واهتم المسلمون خلال حكم صقلية وجنوب ايطاليا بالزراعة فقاموا بحفر الترع والقنوات، وأدخلوا زراعة القطن وقصب السكر والكتان والزيتون، واهتموا

---

[1] أحمد الملا: أثر العلماء المسلمين، ص١٢١-١٢٢ .

بالصناعة والتعدين فاستخرجوا النحاس والكبريت والذهب والفضة والحديد والرصاص، وعلموا اهالي الجزيرةصناعة الحرير وصناعة السفن[1].

وظهر في جنوب صقلية جملة من العلماء والمحدثين والفقهاء والادباء والفلاسفة منهم أسد بن الفرات وابن حمديس الصقلي الشاعر المبدع وابن الفحام والحسن بن يحي العروف بابن الجزار صاحب تاريخ صقلية، والشريف الادريسي صاحب كتاب(نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) الذي جمع معلومات المسعودي وبطليموس وصنع لروجر النورماندي خريطة كروية للأرض من الفضة[2] .

وكان بعض ملوك صقلية النورمان على علاقة حسنة مع المسلمين ويثقون بهم ثقة كبيرة فتعلموا لغتهم ونقلوا بعض شعاراتهم الاسلامية[3]، وأسسوا في مدينة جنوة مدرسة لتعليم اللغة العربية سنة ١٢٠٧م فدخلت بعض الكلمات والألفاظ العربية إلى لغتهم بالاضافة إلى أسماء الموازين والمكاييل والألفاظ البحرية، وأنشئوا أيضاً مدرسة للطب في بلرمو .

٣-الحروب الصليبية :

توقع الصليبيون أن يواجهوا في الشرق الإسلامي مجموعة من الناس البربر المتوحشين من العرب والمسلمين[4]، إلا أن الحال لم يكن كذلك ففوجئوا بالمستوى الحضاري الرفيع الذي كان عليه العرب مما دفعهم إلى الاقتباس من صناعات

---

[1] ابن جبير: الرحلة،ص٣٠٠-٣٠١، أحمد الملا: أثر العلماء المسلمين ص١٢٣ .

[2] الادريسي: نزهة المشتاق، جـ١/المقدمة أ-جـ .

[3] ابن جبير: الرحلة، ص٢٩٨ .

[4] كانت أوروبا في العصور الوسطى تعيش حياة من التخلف والجهل وتسيطر فيها الأمية وينتشر الفقر فتوهموا أن يجدوا العرب والمسلمين في الشرق على حالة مشابهة لذلك، مع أن البلاد العربية كانت تشهد أرقى فترات الازدهار الحضاري في العصور الوسطى (انظر غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ص٥٦٦، عبد الله العمري: تاريخ العلم عند العرب، ص٢٥٥) .

العرب وفنونهم وعاداتهم وتقاليدهم وأنظمتهم وعلومهم فنقلوا منها ومن لغات العرب المسلمين إلى أوروبا،حيث وجدوا أنفسهم وجهاً لوجه أمام الثقافة العربية، فتحولت بعض الإمارات الصليبية مثل إنطاكية وطرابلس إلى مراكز للترجمة والتعليم، كما ساهمت فترات الهدوء التي تخللت الحروب الصليبية على إعطاء فرصة لبعض العلماء والمترجمين الذين رافقوا الحملات الصليبية على ترجمة بعض الكتب ونقلها إلى أوروبا[١] .

ورافق الحروب الصليبية بعض النشاط الفكري والحضاري، فبرز من بين اللاتين الذين استقروا في الأراضي المقدسة من كتب التاريخ مثل (وليم الصوري)، ومنهم من كتب القانون مثل (حنا الابليني) و(فيليب نافاري)، وكذلك انسابت بعض المصطلحات العربية إلى أوروبا[٢].

وأثرت الحروب الصليبية في تطور فن الحرب عند الأوروبيين لا سيما فيما يتعلق ببناء القلاع ذات الحائط المزدوج، وتقدم في استعمال آلات الحصار واستعمال المجانيق واستخدام الدروع للفرسان واستخدام الحمام الزاجل في المراسلات الحربية .

٤-التجارة :

فقام العرب والمسلمون بدور الوسيط التجاري بين أوروبا والعالم الشرقي، وكانت أوروبا قد تعودت على السلع الشرقية، وكان من الصعب الاستغناء عنها من التوابل والبهارات، فنقلوا تجارة الشرق إلى الغرب وتجارة الغرب إلى الشرق كما حملوا منتجات العالم الإسلامي إلى أوروبا، وكان بعضها مضرب المثل في الأسواق الأوروبية لإتقانها وجودة صناعتها، وكان لتنقل التجار أثر كبير في التبادل الثقافي وانتقال مظاهر الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا.

---

[١] عبد الله العمري: تاريخ العلم عند العرب، ص٢٥٦ .

[٢] احمد الملا: أثر العلماء المسلمين، ص١١٩ .

وقلد الأوروبيون العرب في إنتاج بلادهم ونقلوا معهم الثقافة والعلوم ووسائل المعاملات التجارية، ونشأت مراكز تجارية للمسلمين على سواحل البحر المتوسط كان يتردد عليها تجار أوروبا وعلماؤها، فتأثروا واستفادوا مما وجدوه أوشاهدوه في هذه المراكز الإسلامية[1] .

٥-البعثات العلمية :

بدأت أوروبا بإرسال البعثات العلمية إلى العالم الإسلامي منذ القرن الحادي عشر الميلادي، واتجهت الرحلات الأولى إلى مراكز الحضارة الإسلامية القريبة، فتوجه قسم من هذه البعثات إلى المغرب وقسم منها كانت وجهته الأندلس حيث كانت منطقة المغرب الإسلامي مركز إشعاع حضاري .

رحل كثير من علماء أوروبا وأقبلوا على الدراسة في الجامعات الإسلامية وترجمت الكتب العربية، ورحل بعض علماء أوروبا إلى المشرق الإسلامي للاطلاع على تطورات البلاد الإسلامية في العلوم والآداب المختلفة، ودراسة المخطوطات النفيسة التي كانت تحتفظ بها مكتبات ومتاحف العالم الإسلامي .

---

(١) عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الاسلامية، ص٢٨١ .

الخاتمة

لقد قدمت الحضارة الإسلامية منجزات في مجالات شتى، وكان أهم ما قدمته الحضارة الإسلامية هي العلوم المختلفة، فمنذ المراحل الأولى أقبل المسلمون على العلم والدراسة، سيما وأن الإسلام يدعو إلى العلم وطلب العلم،وجعل للعلماء مكانة متميزة .

اطلع العرب على ما كان موجوداً عند الأمم الأخرى في المجالات العلمية، فاطلعوا على علوم اليونان والرومان، ودرسوا العلوم الرياضية عند الهنود، وترجموا الكثير من الكتب عن الأمم القديمة فترجموا كتب اليونان في الرياضيات والفلسفة، وترجموا كتب الهنود في الرياضيات،والفلك وغيرها، وقام العلماء المسلمون بعد ذلك بدراسة هذه العلوم فأثبتوا كثيراً منها، كما صححوا كثيراً من المعلومات والنظريات التي كانت شائعة عند بعض الأمم، فأصلحوا بعضها وقدموا أدلتهم على ذلك، ومنها بعض النظريات الجغرافية والفلكية عن الأرض والكواكب المحيطة بها، وصححوا نظرية الأبصار التي يعود الفضل فيها إلى الحسن بن الهيثم، ثم طوروا بعض النظريات وقدموا فيها معلومات مفيدة.

ونتيجة للاهتمام الزائد من العلماء المسلمين، فقد تمكنوا من تطوير بعض المعلومات التي نقلوها عن غيرهم، واستخدموها في حياتهم،فنقلوا مثلاً الأرقام عن الهنود وأدخلوها في العمليات الحسابية، كما تمكن بعض العلماء المسلمين من اكتشاف علوم جديدة قدموها الى البشرية ونقلت إلى الأمم الأخرى بلفظها العربي ومنها علم الجبر الذي اكتشفه العالم الشهير محمد بن موسى الخوارزمي .

ويعتبر ابن خلدون رائداً لعلم الاجتماع، فقد نقل عنه الكثير من العلماء في العصور الحديثة، بل ان الكثير من النظريات الاجتماعية التي نسبت إلى علماء

في الغرب من أوروبا أو أمريكا هي في الحقيقة مأخوذة عن ابن خلدون الذي كان مؤرخاً وفيلسوفاً وعالم اجتماع،وموسوعياً في ميادين متعددة .

ولا تزال كثير من كتب العلماء المسلمين في الطب والأدوية ذات أهمية كبيرة للمتخصصين إلى يومنا هذا، وبعض كتب الطب بقيت تدرس على حالها في بعض الجامعات الأوروبية إلى فترة ليست بعيدة وفي طليعتها كتاب القانون في الطب لابن سينا، كما ابتكر المسلمون أدوات لإجراء العمليات الجراحية وشخصوا أمراضاً كثيرة وحددوا طرق علاجها بصورة سليمة .

هذا ولا بد من الإشارة إلى أن هذا كله مضافاً إلي أهم ما قدمته الحضارة الإسلامية للبشرية جمعاء، فقد جاءت برسالة سامية خالدة،تدعو الناس إلى عبادة الله وهي رسالة الإسلام ، الذي فيه سعادة الإنسان في الدنيا وفي الآخرة، والذي يساوي بين جميع الناس ويلغي الفوارق بينهم، لهذا سبق المسلمون بعدالتهم الحركة الإنسانية التي ظهرت في عصر النهضة الأوروبية، فإنسانية الإسلام، التي ساوت بين الجميع وألغت الفوارق الطبقية والجنسية والعرقية واللونية أمر عظيم قدمته الحضارة الإسلامية للعالم .

ثم جاء الاتصال الحضاري للمسلمين مع الحضارات الأخرى الذي لم يكن يقف أمام حد من الحدود ولا يتأثر بمؤثر من المؤثرات، فلا تمنعه الحروب، ولا تلغيه الخلافات السياسية أو العسكرية. لذلك انتقلت مظاهر الحضارة العربية الإسلامية مع المسلمين تجاراً وزواراً ورحالة وعلماء وطلاب علم، وحتى مع المسلمين المحاربين جنوداً، خلال حركات الفتح أو خلال حروبهم مع أوروبا أو خلال الحروب الصليبية،ليؤثروا في كل من اتصلوا به تأثيراً حضارياً فنقلوا إلى البلاد التي وصلوها سلماً أو حرباً وأخذوا عنها، فبنوا بذلك حضارة عظيمة شهد لها القريب والبعيد، فانتشرت علومهم إلى كل البلاد مترجمة أو على حالها، وكانت المدن الإسلامية بمدارسها وجامعاتها في الشرق والغرب محط أنظار العلماء وطلاب العلم من كل حدب وصوب. وكانت هذه المؤسسات العلمية تقدم

لروادها كل ما يحتاجون من مسكن ومأكل وملبس حتى ينتهي كـــل منـــهم مـــن المهمة التي جاء لها، حيث انتشرت مدارس العلم ومؤسسات التعليم العـــالي فـــي بغداد ومكة والمدينة ودمشق والقدس والقاهرة والقيروان وقرطبة وغيرهـــا مـــن المدن الإسلامية فكانت منارات إشعاع إلى العالم كله .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أ-المصادر:

١-ابن أبي أصيبعة (ت ٦٨٨هـ/١٢٦٩م) :

عيون الأنباء في طبقات الأطباء، طبعة دار الفكر، بيروت ١٩٥٦م، وطبعة دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥م .

٢-ابن الأثير، علي بن محمد (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م) :

أسد الغابة في تمييز الصحابة، القاهرة ١٩٦٤م .

٣-ابن الأثير :

الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت ١٩٧٨م .

٤-ابن الأخوة (ت٧٢٩هـ/١٣٢٨م) :

معالم القربة في أحكام الحسبة، مكتبة المثنى، بغداد .

٥-ابن بطوطة، محمد بن عبدالله (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م) :

الرحلة (تحفة النظار في غرائب الأسفار وعجائب الأمصار)، دار صادر، بيروت .

٦-ابن تيمية، تقي الدين (ت٧٢٨هـ/١٣٣٠م) :

الايمان، داراحياء العلوم، بيروت ١٩٨٤م .

٧-ابن تيمية :

الحسبة في الاسلام، تحقيق عبد العزيز رباح، مكتبة دار البيان، دمشق١٩٦٧م .

٨-ابن تيمية :
علم الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٩م .
٩-ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م):
الرحلة، دار صادر ودار بيروت، بيروت ١٩٦٤م .
١٠-ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م) :
غاية النهاية في طبقات القراء، القاهرة ١٩٣٢م .
١١-ابن الجزري، عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) :
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية، بيروت١٩٩٢م .
١٢-ابن حزم، علي بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) :
الفصل في الملل والأهواء والنحل، القاهرة ١٣١٧هـ .
١٣-ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) :
صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت .
١٤-ابن خرداذبة، عبيد الله بن عبد الله (ت٣٠٠هـ/٩١٢م) :
المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن ١٩٦٧م .
١٥-ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) :
العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت .
١٦-ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) :
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت .
١٧-ابن دقماق، ابراهيم بن محمد العلائي (ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م) :

الانتصار لواسطة عقد الأمصار، دار الآفاق الجديدة، بيروت .

١٨-**ابن سعد، محمد (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م) :**

الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت .

١٩-**ابن سيد الناس (ت٧٣٤هـ/١٣٧٤م) :**

عيون الأثر في فنون المغازي والسير، دار المعرفة، بيروت .

٢٠-**ابن شداد، عز الدين بن علي (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م) :**

الاعلاق الخطيرة في أمراء الشام والجزيرة، تحقيق سامي الدهان،دمشق ١٩٦٥م .

٢١-**ابن الصلاح (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م) :**

علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق ١٩٨٤م .

٢٢-**ابن الصيرفي، علي بن منجب (ت٥٥٠هـ/١١٥٥م) :**

الاشارة الى من نال الوزارة، تحقيق عبد الله مخلص، القاهرة ١٩٢٤م .

٢٣-**ابن الصيرفي :**

القانون في ديوان الرسائل، مطبعة الواعظ، القاهرة ١٩٠٥م .

٢٤-**ابن الطوير، محمد عبد السلام (ت٦١٧هـ/١٢٢٠م) :**

نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق أيمن فؤاد سيد، دار صادر، بيروت ١٩٩٢م .

٢٥-**ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م) :**

العقد الفريد، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان .

٢٦-**ابن عساكر، أبو القاسم على بن الحسن(ت٥٧١هـ/١١٧٥م) :**

تاريخ مدينة دمشق الكبير، تحقيق شكري فيصل وآخرون، دار الفكر، دمشق ١٩٨٢م .

٢٧-**ابن عساكر :**

تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام أبي الحسن الأشعري، دمشق ١٣٤٧هـ .

٢٨-**ابن العماد، عبد الحي بن أحمد**(ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) :

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار ابن كثير، دمشق ١٩٨٩م.

٢٩-**ابن كثير، عماد الدين اسماعيل** (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) :

اختصار علوم الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٩م .

٣٠-**ابن كثير :**

البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٦٦ .

٣١-**ابن كثير :**

تفسير القرآن العظيم، دار الحديث، القاهرة ١٩٨٨م .

٣٢-**ابن مسكويه، أحمد بن محمد** (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م) :

تجارب الأمم وتعاقب الهمم، شركة التمدن الصناعية، القاهرة .

٣٣-**ابن مماتي، الأسعد** (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م) :

كتاب قوانين الدواوين، تحقيق عمر طوسون، القاهرة ١٩٤٣م .

٣٤-**ابن المرتضى أحمد بن يحيى**(ت٨٤٠هـ/١٤٣٦م) :

فرق وطبقات المعتزلة (كتاب المنية والأمل)، تحقيق علي سامي النشار وعصام الدين محمد علي، دار المطبوعات الجامعية ١٩٧٢م .

٣٥-**ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم** (ت٧١١هـ/١٣١١م):

لسان العرب، دار صادر، بيروت .

٣٦-**ابن نباتة المصري، جمال الدين محمد بن محمد**(ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م):

سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٦٤م .
٣٧-**ابن النديم** (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م) :
الفهرست، دار المعرفة، بيروت-لبنان .
٣٨-**ابن هشام، عبد الملك** (ت١٤١هـ/٧٦٠م) :
السيرة النبوية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت .
٣٩-**أبو شامة، عبد الرحمن بن اسماعيل** (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م) :
الروضتين في أخبار الدولتين، دار الجيل، بيروت .
٤٠-**أبوشامة** :
المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، دار صادر، بيروت .
٤١-**أبو طالب المكي** :
قوت القلوب، المطبعة المصرية، القاهرة .
٤٢-**أبو عبيد، القاسم بن سلام** (ت٢٢٤هـ/٨٣٩م) :
الاموال، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت١٩٧٩م.
٤٣-**أبو المحاسن، ابن تغري بردي** (ت٨٧٤هـ/١٤٧٩م) :
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة.
٤٤-**أبو يوسف، يعقوب بن ابراهيم** (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م) :
الخراج، دار المعرفة، بيروت ١٣٤٧هـ .
٤٥-**اخوان الصفا** (القرن ٥هـ/١١م) :
رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا، دار صادر، بيروت ١٩٥٧م .
٤٦-**الادريسي، محمد بن محمد الحمودي** (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م) :
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٩م .

٤٧-**الازرقي، محمد بن عبد الله** (ت٢٥٠هـ/٨٦٥م) :
أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، مكة ١٩٦٥م .
٤٨-**الاسفراييني** (ت٤٧١هـ/١٠٧٨م):
التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين، تحقيق محمد الكوثري، القاهرة ١٩٥٥م .
٤٩-**الأشعري، أبو الحسن** (ت٣٢٤هـ/٩٣٥م) :
اللمع في الرد على أهل الزيغ والأهواء والبدع، تحقيق الأب مكارثي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٢م .
٥٠-**الأشعري** :
مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، فرانز شتاينر بفسبادن ١٩٨٠م .
٥١-**الأشعري** :
الملل والنحل ، ليبزك ١٩٢٣م.
٥٢-**الاصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين** (ت٣٥٦هـ/٩٦٧م) :
الأغاني، دار الكتب المصرية، القاهرة .
٥٣-**البخاري، محمد بن اسماعيل** (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م) :
الجامع الصحيح، الرياض ١٩٩٨م .
٥٤-**البلاذري، أحمد بن جابر** (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) :
فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٧٨م .
٥٥-**البيروني، أبو الريحان** (ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م) :
الآثار الباقية عن القرون الخالية، مطبعة ليبزغ ١٩٢٣م .
٥٦-**التوراة/كتاب العهد القديم-الأسفار** (الملوك/ارميا، حزقيال، والأيام) .

٥٧-**الثعالبي، عبد الملك بن محمد** (ت٤٤١هـ/١٠٤٩م) :
يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٥٦م .
٥٨-**الجاحظ، أبو عمرو بن بحر** (ت٢٥٥هـ/٨٩١م) :
البيان والتبيين، دار مكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٨م .
٥٩-**الجاحظ** :
كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة١٩٣٨م .
٦٠-**الجهشياري، محمد بن عبدوس** (ت٣٣١هـ/٩٤٢م) :
الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، القاهرة ١٩٣٨م .
٦١-**حاجي خليفة** (ت١٠٦٧هـ/١٦٥٧م) :
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بيروت .
٦٢-**الخطيب البغدادي، أحمد بن علي** (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) :
تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت .
٦٣-**الخوارزمي، محمد بن أحمد الكاتب** :
مفاتيح العلوم، منشورات مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٨١م.
٦٤-**الدمشقي، جعفر بن علي** (ت القرن ٦هـ/١٢م) :
الاشارة الى محاسن التجارة، مطبعة المؤيد، دمشق ١٣١٨هـ .
٦٥-**الذهبي، محمد بن أحمد** (ت٧٤٨هـ/١٣٧٤م) :
سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الاناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٤م .

٦٦-**الذهبي :**
ميزان الاعتدال، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة، ١٩٦٢م .
٦٧-**الرازي، أبو حاتم احمد بن حمدان** (ت قرن ٤هـ/١٠م) :
الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، تحقيق عبد الله سلوم السامرائي، دار واسط للنشر، بغداد ١٩٨٢م .
٦٨-**الزركشي :**
البرهان في علوم القرآن، مطبعة الشرق، عمان ١٩٨٣م .
٦٩-**الزمخشري** (ت٥٣٨هـ/١١٤١م) :
الكشاف، المطبعة البهية، القاهرة ١٣٤٣هـ .
٧٠-**السبكي، عبد الوهاب بن علي** (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م) :
طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة ١٩٦٥م .
٧١-**السيوطي، جلال الدين** (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) :
الاتقان في علوم القرآن، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة .
٧٢-**السيوطي :**
تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٥٢م .
٧٣-**السيوطي :**
طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣م .
٧٤-**الشيرازي، أبو اسحاق** (ت٤٧٦هـ/١٠٨٣م) :
طبقات الفقهاء، تحقيق احسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٧٠م، وطبعة بغداد ١٩٣٧م .

٧٥-**الشيزري، عبد الرحمن بن نصر (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) :**
نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٤٦م .

٧٦-**الشهر ستاني (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) :**
الملل والنحل، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٩٩٤م .

٧٧-**الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) :**
جامع البيان عن تفسير القرآن، الطبعة الثانية، القاهرة١٩٥٤م.

٧٨-**الطبري :**
تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة .

٧٩-**القابسي، علي بن محمد القيرواني (ت٤٠٣هـ/١٠١٢م)**
:الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين/ بذيل كتاب التربية في الاسلام، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٨م .

٨٠-**القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٩م) :**
صبح الأعشى في صناعة الانشا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م .

٨١-**الماوردي، علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) :**
الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة ١٩٦٠م، وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م .

٨٢-**المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) :**
التنبيه والاشراف، بيروت-لبنان ١٩٦٥م .

٨٣-**المسعودي :**
مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت ١٩٦٥م .

٨٤-مسلم بن حجاج (ت٢٦١هـ/٨٧٤م) :

الجامع الصحيح، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٥م .

٨٥-المقدسي، محمد بن أحمد البشاري(ت ٣٧٥هـ/٩٨٥م) :

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل-ليدن ١٩٦٧م .

٨٦-المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت ٩٩٢هـ/١٥٨٤م) :

نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، بيروت ١٩٨٨م .

٨٧-المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) :

اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، لجنة احياء التراث الاسلامي، القاهرة ١٩٦٧م .

٨٨-المقريزي :

المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت ١٩٩١م .

٨٩-المقريزي :

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨م .

٩٠-النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت٩٢٧هـ/١٥٢٠م) :

جامع بني أمية، دار ابن كثير، دمشق ١٩٨٥م .

٩١-النعيمي :

الدارس في تاريخ المدارس، مطبعة الترقي، دمشق ١٩٥١م .

٩٢-النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م) :

نهاية الأرب في فنون الأدب، المطبعة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥م .

٩٣-**ياقوت الحموي** (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) :
معجم الأدباء (ارشاد الأريب الى معرفة الأديب)، دار احياء التراث العربي، بيروت .

٩٤-**ياقوت الحموي** :
معجم البلدان، دار الكتاب العربي، بيروت .

٩٥-**اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب** (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م) :
كتاب البلدان، مطبعة ليدن ١٨٩١م .

٩٦-اليعقوبي:
التاريخ، دار صادر، بيروت .

ب-المراجع

١-**ابراهيم موسى عبد الله** : هداية الرحمن في علوم القرآن، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ١٩٩٢م .

٢-**أبو الأعلى المودودي** : الحضارة الاسلامية، أسسها ومبادئها/مجلة الاسلام والحضارة، المجلد الأول، الرياض ١٩٧٩م .

٣-**أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٦٤م .

٤-**ابو ضيف مجاهد حسن** : القول المبين في مباحث من علوم كلام رب العالمين، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ١٩٨٧م .

٥-**أحمد أمين** : ضحى الاسلام، لجنة التأليف والترجمة،القاهرة ١٩٥٦م.

٦-**أحمد شلبي** : التربية والتعليم في الفكر الاسلامي، القاهرة ١٩٦٤م.

٧-**أحمد علي الملا** : أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبيـــة، دار الفكر .

٨-**أحمد عيسى** : تاريخ البيمارستانات في الاسلام، دار الرائد العربـــي، بيروت ١٩٨١م .

٩-**أحمد محمد صقر** : الجوهر النفيس فـــي علـوم الحديـث ،مطبعـة الأزهر،القاهرة ١٩٤٩م.

١٠-**آدم متز** : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الـــهجري، ترجمـة محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧م.

١١-**آرنست كونل** : الفن الاسلامي، ترجمة أحمد موسى، مطبعة أطلـس، القاهرة ١٩٦١م .

١٢-**أكرم العلبي** : خطط دمشق، دار الطباع، دمشق ١٩٨٩م .

١٣-**أمير عبد العزيز** : دراسات في علوم القرآن، دار الفرقان، عمـــان ١٩٨٣م .

١٤-**توفيق عبد الجواد** : تاريخ العمارة والفنون الاسلامية، دار الكتـــب ١٩٧٠م .

١٥-**جلال محمد موسى** : نشأة الأشعرية وتطورها، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٨م .

١٦-**جمال الدين القاسمي** : تاريخ الجهمية والمعتزلة .

١٧-**جورج حداد** : المدخل الى تاريخ الحضارة، مطبعة الجامعة السورية، دمشق ١٩٨٤م .

١٨-**حسام الدين السامرائي** : المدرسة مع التركيز على النظاميات/مؤسسة آل البيت، عمان ١٩٨٩م .

١٩-**حسن ابراهيم حسن** : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٤م .

٢٠-**حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف** : المعز لدين الله، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٤م .

٢١-**حسن عبد العال** : التربية الاسلامية في القرن الرابع الهجري، دار الفكر العربي، القاهرة .

٢٢-**حسين مؤنس** : الحضارة، عالم المعرفة، الكويت ١٩٧٨م .

٢٣-**حنا الفاخوري وخليل الجر** : تاريخ الفلسفة العربية، دار الجيل، بيروت ١٩٨٢م .

٢٤-**خليل داود الزرو** : الحياة العلمية في الشام في القرن الأول والثاني للهجرة، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧١م .

٢٥-**حكمت فريحات** : مدخل الى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، دار الشروق، عمان ١٩٨٩م .

٢٦-**ديماند. م.س** : الفنون الاسلامية، ترجمة محمد أحمد عيسى، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٨م .

٢٧-**روم لاندو** : الاسلام والعرب، ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٧م .

٢٨-**رؤوف شلبي** : جواهر العرفان في الدعوة وعلوم القرآن، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ١٩٨٦م .

٢٩-**الزرقاني** : مناهل العرفان في علوم القرآن، القاهرة ١٩٥٩م.

٣٠-**زكي محمد أبو سريع** : أنوار البيان في علوم القرآن، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ١٩٩٢م .

٣١-**سعد زغلول عبد الحميد** : العمارة والفنون في دولة الاسلام، منشأة المعارف، الاسكندرية ١٩٦٨م .

٣٢-**سعيد اسماعيل علي** : معاهد التربية الاسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٦م .

٣٣-**سعيد عاشور** : دراسات في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية في العصور الوسطى .

٣٤-**شعبان عبد العزيز خليفة** : المكتبات والكتب في العصور الوسطى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٧م .

٣٥-**شعبان محمد اسماعيل** : التشريع الاسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٥م .

٣٦-**صبحي الصالح** : النظم الاسلامية، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م .

٣٧-**صفوان التل** : الآثار العربية الاسلامية في الأردن، وزارة الشباب، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان ١٩٨٨م .

٣٨-**عبد الحكيم بلبع** : أدب المعتزلة، دار نهضة مصر، القاهرة،١٩٧٩م.

٣٩-**عبد الستار الحلوجي** : المكتبات، تاريخها وتطورها، المؤسسة العربية، القاهرة ١٩٨٩م .

٤٠-**عبد الله الأمين** : دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة، دار الحقيقة، بيروت ١٩٩١م .

٤١-**عبد الله عبد الدائم** : التربية عبر التاريخ .

٤٢-**عبد الله العمري** : تاريخ العلم عند العرب، دار مجـــدلاوي للنشــر والتوزيع، عمان ١٩٩٠م .

٤٣-**عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٢م .

٤٤-**عبده الحلو وبهزاد جابر** : الوافي في تاريخ العلوم عند العـــرب : دار الفكر اللبناني، بيروت ١٩٩٦م .

٤٥-**عطية القوصي** : الحضارة الاسلامية، دار الثقافة العربية، القـــاهرة ١٩٨٥م .

٤٦-**عفيف البهنسي** : الشام والحضارة، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٨٦م.

٤٧-**عفيف البهنسي** : الشام، لمحات آثارية وفنية، دار الحريـــة، بغــداد ١٩٨٠م .

٤٨-**علي حسن رضوان** : مباحث فـــي علـــوم القـــرآن، دار الطباعـــة المحمدية، القاهرة ١٩٩٢م .

٤٩-**علي شلق** : العقل العلمي في الاسلام، جروس برس، طرابلس-لبنان ١٩٩٢م .

٥٠-**علي عبد الفتاح المغربي** : الفـــرق الكلاميـــة الاســـلامية/مدخـــل ودراسة، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٨٦م .

٥١-**عمر فروخ** : تاريخ العلوم عند العــــرب، دار النهضــــة العربيـــة ، بيروت ١٩٩٠م.

٥٢-**فتحية النبراوي** : تاريخ النظم والحضارة الاســـلامية، دار الفكــر العربي، القاهرة ١٩٩١م .

٥٣-**غوستاف لوبون** : حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة .

٥٤-**فواز طوقان** : الحائر في العمارة الأموية في البادية، عمان ١٩٧٩م.

٥٥-**فيصل بديرعون** : علم الكلام ومدارسة، مكتبة الحرية الحديثة، القاهرة ١٩٨٢م .

٥٦-**فيليب حتي** : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة كمال اليازجي، دار الثقافة، بيروت ١٩٥٩ .

٥٧-**فيليب حتي** : تاريخ العرب/ مطول، دار غندور، بيروت ١٩٨٦م .

٥٨-**قدري طوقان** : العلوم عند العرب، دار اقرأ، بيروت-لبنان ١٩٨٣ .

٥٩-**كارل بروكلمان** : تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٥م .

٦٠-**كامل موسى وعلي دحروج** : التبيان في علوم القرآن، دار بيروت المحروسة، بيروت ١٩٩٢م .

٦١-**كرد علي** : خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق ١٩٨٣م .

٦٢-**كلايد كلوكهون** : الانسان في المرآة، ترجمة شاكر مصطفي، المكتبة الأهلية، بغداد ١٩٦٤م .

٦٣-**لانكستر هاردنج** : آثار الأردن، منشورات وزارة السياحة والآثار، عمان ١٩٧١م .

٦٤-**محمد أبو زهرة** : أصول الفقه، دار الفكر، القاهرة ١٩٥٨م .

٦٥-**محمد أبو زهرة** : تاريخ المذاهب الاسلامية، دار الفكر .

٦٦-**محمد أبو شهبة** : المدخل لدراسة القرآن الكريم، الطبعة الثانية .

٦٧-**محمد أحمد الخطيب ومحمد عوض الهزايمة** : دراسات في العقيدة الاسلامية، دار عمار، عمان ١٩٩٠م .

٦٨-**محمد أمين فرشوخ** : المدخل الى علوم القرآن والعلوم الاسلامية، دار الفكر العربي، بيروت ١٩٩٠م .

٦٩-**محمد بن لطفي الصباغ** : الحديث النبوي، المكتب الاسلامي، بيروت ١٩٨٦م .

٧٠-**محمد حمزة** : التآلف بين الفرق الاسلامية، دار قتيبة، دمشق ١٩٨٥م.

٧١-**محمد رضا** : الاسلام والمدنية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م .

٧٢-**محمد الزحيلي** : مرجع العلوم الاسلامية، دار المعرفة، دمشق ١٩٩٢م .

٧٣-**محمد الزفزاف** : التعريف بالقرآن والحديث، مكتبة الفلاح، الكويت ١٩٨٤م .

٧٤-**محمد سعيد البوطي** : منهج الحضارة الانسانية في القرآن، دار الفكر، دمشق ١٩٨٧م .

٧٥-**محمد علي الحسن** : المنازل في علوم القرآن، مطبعة الشرق، عمان ١٩٨٣م .

٧٦-**محمد علي السايس** : تاريخ الفقه الاسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م .

٧٧-**محمد ماهر حمادة** : المكتبات في الاسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٨م .

٧٨-**محمد محاسنة** : تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفـــاطمي/رســالة دكتوراه، الجامعة الأردنية ١٩٩٣م .

٧٩-**محمد محاسنة** : بناء الدولة العربية الاسلامية/النظـــم والحضـــارة، مطبعة البهجة، اربد ١٩٩٩م .

٨٠-**محمد مختار المفتي** : محاضرات فـــي علــوم الحديــث، مكتبــة الأندلس، عمان ١٩٩٩م .

٨١-**محمد مصطفى شلبي** : أحكام الأسرة في الاسلام، الدار الجامعيــة، بيروت ١٩٨٣م .

٨٢-**محمد مصطفى شلبي** : المدخل في التعريف بالفقه الاســلامي، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٣م .

٨٣-**محمد مطيع الحافظ** : تاريخ العلوم عند العـــرب، مطبعـــة جامعـــة دمشق، دمشق ١٩٨٩م .

٨٤-**محمد مقبول حسين** : محاضرات في تاريخ التشـــريع الاســلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٩٤م .

٨٥-**محمود اسماعيل** : تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، مكتبة الفلاح، الكويت ١٩٩٢م .

٨٦-**مصطفى أحمد نجيب** : المدخل الى دراسة التشريع الاســلامي، دار عمار، عمان ١٩٩١م .

٨٧-**مصطفى البغا** : بحوث في علوم الحديث ونصوصه، مطبعة الاتحاد، دمشق ١٩٩٠م .

٨٨-**مصطفى السباعي** : من روائع حضارتنا، المركز العالمي للكتـــاب، الكويت .

٨٩-**مصطفى عباس الموسوي** : العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٢م .

٩٠-**ناجي معروف** : أصالة الحضارة العربية الاسلامية، مطبعة التضامن، بغداد ١٩٦٩م .

٩١-**ناجي معروف والدوري** : موجز تاريخ الحضارة الاسلامية، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٤٨م .

٩٢-**نبيه عاقل** : تاريخ خلافة بني أمية، دار الفكر، بيروت ١٩٧٥م .

٩٣-**نصر محمد عارف** : الحضارة، الثقافة، والمدنية، المعهد العالي للفكر ١٩٩٤م .

٩٤-**هاملتون جب** : المجتمع الاسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف، القاهرة ١٩٧١م .

٩٥-**هونكة،زيغريد** : شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة كمال دسوقي، دار الجيل، بيروت ١٩٩٣م .

٩٦-**وجدان علي نايف** : سلسلة التعريف بالفن الاسلامي .

٩٧-**ول ديورانت** : قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٥٦م .

٩٨-**وليم الخازن** : الحضارة العباسية .

ج-المراجع الاجنبية :

1-Creswell, K.A.C: Early Muslim Architecure in the Holy land, Oxford, second edition 1969.
2-George. Makdisi: The Rise of the Colleges.
3-Philip. Hitti: History of the Arabs, New York 1970.
4-Philip. Wiener: Dictionary of the History of Ideas, New York 1973.
5-Tylor. E. B: Primitive Culture, New York 1924.

